

المقدمة بقلم جوني إيريكسون تادا

الإعاقَة و الإنجيل

كيف يستخدم الله إنكسارنا
ليُظهر نعمته

مايكل
أس. بيتس

الإعاقَةُ والإنجيل

كيف يستخدمُ اللهُ انكسارنا

ليظهرَ نعمته



مايكل أس. بيتس

ترجمة: ناردين موريس

مراجعة وتنقيح لغوي: د. جرجس يوسف

Disability and the Gospel: How God Uses Our Brokenness to Display His Grace

Copyright © 2012 by Michael S. Beates

Published by Crossway

a publishing ministry of Good News Publishers

Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

Arabic Publisher: Equipping Pastors International

ISBN: 978-977-94-1129-3

الناشر في العربية: EPI

رقم الإيداع: ٧٣٤٨ / ٢٠٢٢

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة للناشر، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر. ومن يخالف ذلك يضع نفسه تحت طائلة القانون.

تمت الطباعة بمطبعة سان مارك

+20223374128
+201223172090

ST. MARK
PRINTING HOUSE



"إن كتابَ الإعاقة والإنجيل يتعاملُ وجهًا لوجه مع الأسئلة المنطوقة وغير المنطوقة في كثيرٍ من الأحيان والمختصة بالإعاقة. بعد بحثٍ جيدٍ وفي بعض الأحيان بشكلٍ استفزازي، يحفرُ مايكل بيتس إلى ما وراء السطح بحثًا عن المصالحة بين واقع المعاناة والعجز من ناحيةٍ وتعاليم الكتاب المقدس من ناحيةٍ أخرى. كتابُ الإعاقة والإنجيل هو كتابٌ مهمٌ لا يكشفُ فقط عن المنظور العالمي الكتابي فيما يختصُ بالإعاقة الجسدية، ولكنه يعطي أيضًا تأكيدًا مطمئنًا أن الله حقًا هو صاحبُ السيادة دائمًا، وهو متحكمٌ في الأمور دائمًا، ويتممُ كلَّ الأمور بهدف".

دوج مازة Doug Mazza

رئيسُ مركز جوني وأصدقائها الدولي للإعاقة

"إن مايك بيتس صديقٌ عزيزٌ منذ اثني عشر عامًا، وقد لاحظتُ شخصيته النقية وكذلك سمعتُ وقرأتُ تعاليمه الثابتة. لقد قرأتُ كتابَ الإعاقة والإنجيل عند عدة مراحل وأنا أوصي به بشدة. تحتاجُ الكنيسة أن توظف على وجود ذوي الإعاقة في مجتمعاتنا، وكما يؤكدُ مايك، أن تستيقظَ للإعاقات التي لدينا جميعًا بصفتنا خطاةً بحاجةٍ إلى نعمة الله. يحتوي الكتابُ على علم تفسيرٍ ممتاز، وعلم لاهوتٍ رائع، ودراساتٍ تاريخية دقيقة تجعله حجةً قوية. لا أعرفُ مكانًا أفضلَ لسماع كلمة الله في هذه القضية المهمة".

جون إم فريم John M. Frame

أستاذُ علم اللاهوت النظامي والفلسفة، في كلية اللاهوت المُصلحة،

ومؤلفُ كتاب عقيدة الحياة المسيحية

"لماذا يجبُ أن تحتضنَ الكنيسةُ الأشخاص ذوي الإعاقة؟ هل لأنهم بحاجةٌ إلينا؟ ربما. ولكن في كتابَ الإعاقة والإنجيل، يذكرنا مايكل بيتس أن قوة الإنجيل المُغيرة يمكن أن تكونَ لنا فقط عندما نعترفُ نحن، ذوي الأجسام القادرة، بانكسارنا وضعفنا شخصيًا

ونتعلم حقيقة أن الله يستخدمُ ضعفاءَ هذا العالم ليخزي الحكماء. لدى الكنيسة الكثيرُ لتتعلّمه من الأشخاص ذوي الإعاقة بقدرٍ ما لديها لتمنحهم".

دون كلارك Dawn Clark

مديرُ خدمات المعوقين، في كنيسة كوليدج تشيرش، ويتون، إلينوي

" **الإعاقة والإنجيل** كتابٌ رائعٌ! إنه كتابي، وعميقٌ، وعمليٌّ، وبه تحدٍ. وهو أيضًا كتابٌ كتبه الشخصُ المناسبُ في الوقتِ المناسب. يحتاج كلُّ شخصٍ مسيحي في أمريكا إلى قراءة هذا الكتاب، وعلى كل كنيسة أن تدرسه، وتضع خطأً تحته وتعيشه! يا لها من هدية أعطاها مايكل بيتس لنا ولأولئك الذين دُعيت الكنيسة لإظهار الرحمة والفهم والتعاطف لهم. إنني أنهض وأدعو مايك بيتس مباركًا. اقرأ هذا الكتاب. وسوف تفعلُ أنت ذلك أيضًا!"

ستيف براون Steve Brown

أستاذٌ فخريٌّ بكلية اللاهوت المُصلّحة، ومعلمٌ لبرنامج الحياة المفتاحية، وهو برنامجٌ تعليميٌّ يوميٌّ، ومؤلفٌ لكتاب "ثلاث خطايا مجانًا!" و"الله ليس غاضبًا منك"

"في كتاب **الإعاقة والإنجيل**، يُحثُّ مايكل بيتس المسيحيين على دعوة الأشخاص من ذوي الإعاقة إلى كنائسنا وحياتنا ليس لأنهم بحاجةٌ إلى مساعدتنا، ولكن لأن العبادة والخدمة جنبًا إلى جنب مع الأشخاص ذوي الإعاقة تساعدنا على إدراك انكسارنا الشخصي، وعلى تعلم أن نعمة الله تصبحُ أعمقَ وضوحًا وأقوى عندما نكون أكثرَ ضعفًا وجُرْحًا. بينما يختلفُ علم اللاهوت الخاص بي فيما يختصُ بموضوع الإعاقة عن ذاك الذي لبيتس في نواحٍ كبيرة، إلا أنني أوصي بهذا الكتاب شاملًا، والذي يسهلُ الوصول إليه للقساوسة، وأعضاء الكنيسة، والأفراد الذين يرغبون في المشاركة بشكلٍ كاملٍ مع أولئك الموجودين في مجتمعاتهم الذين يعانون من إعاقات، وبالتالي يعيشون الإنجيل بطرقٍ جديدة ومُغيّرة".

إيلين بينتر دولار Ellen Painter Dollar

مؤلفهٌ كتاب "لا يوجدُ خيارٌ سهل: قصةٌ إعاقة، وأبوة، وإيمانٍ في عصرِ التكاثرِ المتقدم"

المحتويات

٧	الكلمة الافتتاحية: قبل أن تبدأ بقلم جوني إيريكسون تادا
١٠	شكر وتقدير
١٢	المقدمة
٢١	الجزء ١ صوتُ الله
	١ صوتُ الله في الشريعة والأنبياء والكتابات:
٢٣	ما يتعلّمه العهد القديم عن الإعاقة
٥١	٢ صوتُ المسيح: ما تتعلّمه الأناجيل عن الإعاقة
	٣ صوتُ الروح القدس من خلال الرسل:
٦٥	ما تتعلّمه أعمالُ الرسل والرسائل عن الإعاقة
٨١	٤ الاستنتاجات والتأملات الكتابية
٩٧	الجزء ٢ أصواتُ من الماضي
٩٩	٥ ما نتعلّمه من الرايين، ومن الكنيسة الأولى، ومن عصر الإصلاح
١١٣	٦ ما نتعلّمه من العصر الحديث
١٢١	الجزء ٣ أصواتُ اليوم
١٢٣	٧ ما نتعلّمه من الأصوات العلمانية الحالية
١٣٧	٨ ما نتعلّمه من الأصوات المسيحية الحالية
١٥٣	الجزء ٤ التحدثُ إلى الغد
١٥٥	٩ ما يجبُ أن تقولَه الكنيسةُ للعالم في القرن الحادي والعشرين
١٧٩	١٠ السيادة والصوتُ الهامسُ للرجاء
١٩٥	الملحق ١: سيادة الله والشذوذ الجيني
٢١١	الملحق ٢: محبةُ الله للمكسور
٢١٨	المراجعُ المختارة

الكلمة الافتتاحية

قبل أن تبدأ ..

في مُنتصفِ الستينياتِ عندما آمنتُ بالمسيح للمرة الأولى، كنت أقولُ للناسِ إن الأمر كله يتعلقُ بيسوع، لكن لم يكن لدي أية فكرة عما يعنيه ذلك. بالتأكيد، تتمحورُ المسيحية حولَ المسيح، لكنه هو من بدأ تشغيلَ مُحركي الروحي بشكلٍ أساسي. ما دمتُ أمتليء منه كلَّ صباحٍ خلالَ وقتِ خلوتي، كنت قادرًا على الركض على ما يرام.

تغيرتِ الأمورُ بشكلٍ كبيرٍ في عام ١٩٦٧ بعد أن سُحِقَ عمودي الفقري في حادثٍ غوصٍ أصابني بالشلل الرباعي. كنت شديدة الغضب وممتلئة بالخوف. يا إلهي، لا أستطيع أن أفعلَ هذا. لا أستطيع أن أعيشَ هكذا! في هذا الوقتِ كنتُ بحاجةٍ إلى المُخلّص بشكلٍ عاجل. كل ساعة. كل دقيقة. وإلا سأختنق يا الله! فجأة، أصبحَ الكتابُ المقدسُ بكل ما لديه من بصائرٍ حولَ الألم والضعف هو الشيء الأسمى في حياتي.

أمضيتُ ساعاتٍ أقلبُ صفحاتِ الكتابِ المقدسِ بعصا فمي، وأنا أحاول بشدة أن أفهمَ من هو الله بالضبط وما علاقته بالألم. لم يستغرقِ الأمرُ وقتًا طويلًا للعثور على إجاباتٍ مرضية. عندما يتعلقُ الأمرُ بإصابتي التي غيّرتِ حياتي، لم يعزني شيءٌ أكثرَ من الضمان بأن الله لم يرفع يديه عن عجلة القيادة لمدة ثانية. اكتشفتُ أن الفهمَ الصحيحَ ليد الله في مصاعبنا كان أمرًا بالغ الأهمية من أجل رضائي. كما اكتشفتُ أيضًا مدى أهمية علم اللاهوت الجيد.

لنتقدم سريعًا بالزمن لأكثرَ من ثلاثة عقود للخدمة العالمية التي أساعدُ في قيادتها الآن في مؤسسة جوني وأصدقائها- وهي خدمةٌ للأشخاص ذوي الإعاقة الذين يعانون من نفسِ الأسئلة التي كنتُ أتصارعُ معها قبلاً. بينما أسافرُ حولَ العالم، أسمعُ: "ما الذي

يقوله الكتاب المقدس عن طفلي الذي وُلِدَ بإعاقاتٍ متعددة؟" و"لماذا يسمحُ اللهُ بهذا القَدَرِ من الانكسارِ في العالم؟" يتألمُ قلبي لأن هؤلاء الناسَ في كثيرٍ من الأحيان يسمعون الصمتَ فقط (أو يختبرون الرفض) من جسدِ المسيح. للأسف، الكنيسةُ غيرُ مجهزةٍ للإجابةِ عن الأسئلةِ الصعبةِ عن صلاحِ الله في عالمٍ ينهارُ إلى أشلاء.

عندما يتعلّق الأمرُ بالألم، فأنا مقتنعة أن الله لديه في فكره ما هو أكثرُ بالنسبةِ لنا من تجنبه ببساطة، أو إعطائه إيبوبروفين، أو الإفلاتِ منه، أو إضفاء الطابع المؤسسي عليه، أو معالجته بأعجوبة. ولكن كيف نحتضنُ ما يعطيه اللهُ بيده اليسرى؟ لقد اكتشفتُ أن رضا الشخص بالضعف يتناسب طرديًا مع فهمِ الله وكلمته. إذا أصيبَ الشخصُ المُعاق بخيبةِ أملٍ من الله، فعادةً يمكن إرجاعُ ذلك إلى نظرةٍ ركيكةٍ عن إلهِ الكتاب المقدس.

أنت تفهمُ الآن لماذا أوُمنُ بأن هناك حاجةً ماسةً اليومَ إلى "لاهوت الانكسار" - أي إلى لاهوتٍ يُعلي من سمو الله مع التأكيد على رحمته وعطفه على الضعفاء ومنكسري القلوب. لهذا السبب أنا متحمسة للغاية بشأن هذا الكتاب الذي تحمله بين يديك!

يقدمُ كتابُ الإعاقة والإنجيل ما تحتاجه الكنيسة بالضبط اليوم. قابلتُ المؤلف، مايكل بيتس، لأول مرة في مؤتمر لاهوت مُصلح في عام ١٩٩٢، ثم في صيف عام ١٩٩٣ في مؤتمر عائليٍّ تقيمه خدمتنا للأسر ذات الاحتياجات الخاصة. كان مايك وماري قد أحضرا أطفالهما الخمسةَ مِن فيهم جيسيكا، ابنتهم ذاتُ الإعاقات المتعددة. أجرينا محادثةً بعد ظهرِ أحدِ الأيام وفورًا، أعجبتُ بهذا الرجل. عرفتُ عن حبه للاهوت المُصلح وشغفه بالحفاظِ على استقامةِ كلمةِ الله - لكنه لم يعطِ إنطباعَ الشخصِ المتحفظ والأكاديمي. أوضح مايك أن سنواتٍ من تربية ابنته المُعاقة قد خففت حوافه - هذا تلميذٌ لكلمةِ الله لم يعيش في بُرجٍ عاجيٍّ ولكن في عالمٍ حقيقيٍّ بألمٍ حقيقيٍّ.

يمكنني أن أسترسلَ عن الخلفية اللاهوتية لـ مايكل، وخبرته التعليمية، ودرجاته العلمية. ولكن أكثر شيءٍ أريدُك أن تعرفه عنه هو غيرته على يسوع المسيح ورغبته العميقة في

الوصول إلى العائلات المتأثرة بالإعاقة ليوصلَ لهم رجاء الإنجيل - ولهذا السبب ساعدنا على توزيع الكراسي المتحركة حول العالم للمُعاقين المحتاجين، فخدم معنا في أفريقيا وأوروبا الشرقية. مع نمو خدمتنا، أدركتُ أننا نحتاجُ إلى شخصٍ مثل مايك ليكونَ بمثابة مراقبٍ، يساعدُ في الحفاظ على أسسنا اللاهوتية آمنة. لذلك طلبتُ منه أن يخدمَ في مجلس الإدارة الدولي لمركز جوني وأصدقائها في عام ٢٠٠٠.

وأتمنى أن أتمكنَ من التعبير بشكلٍ مناسب عن مدى سعادتي بكتابته الجديد، الإعاقة والإنجيل، لأن هناك الآلاف من العائلات مثل عائلة بيتس والملايين من الأشخاص مثلي الذين تفرضُ الإعاقاتُ عليهم أسئلةً شديدة الأهمية عن الله والكنيسة:

ما الذي يجبُ أن يقوله القس عندما تضربُ الإعاقة عائلةً ما في مقدمة سفينة أعضاء كنيسته؟ كيف يستجيبُ مديرو التعليم المسيحي عندما يصبحُ التوحدُ أمرًا خطيرًا في الفصل في المدرسة؟ كيف يمكن للكنيسة أن تنخرطَ مع القضايا التي تؤثرُ على ثقافتنا، مثل الانتحار بمساعدة الطبيب؟ ما الذي يتطلبه الأمرُ ليعرفَ أعضاء الكنيسة أن أعضاءها الأضعف "لا غنى عنهم"؟ باختصار، كيف نَمسُكُ الكنيسة من أكتافها ونهزُها إلى أن يدخلها بعضُ الفهم بشأن "إيجاد المجد في ضعفاتنا"؟

يقدمُ هذا الموردُ الممتازُ الذي كتبه مايكل بيتس إجاباتٍ قويةً عن أسئلةٍ صعبةٍ مثل هذه وأكثر. إنها صلاتي القلبية أن تحصلوا على بصائرٍ من كتابِ الإعاقة والإنجيل وتستخدمونها بصفتها دليلاً ومورداً لعائلة الكنيسة الخاصة بك. ولا تتفاجأ إذا رأيتَ اندلاعاً مفاجئاً للقوة المرسله من السماء يدوي في حياتك وحياة كنيستك - لأن قوة الله تظهرُ دائماً بشكلٍ أفضل في الانكسار. ولا داعي لكسر رقبتك لتصدق ذلك.

جوني إيريكسون تادا

مركز الإعاقة الدولي لجوني وأصدقائها

شكرٌ وتقديرٌ

قال الواعظُ في سفرِ الجامعة إنه لا شيءَ جديدَ تحتَ الشمسِ. وأنا أولُ من يعترفُ بأنني لستُ متأكدًا من أنني قد كانتُ لي فكرةٌ أصليةٌ تمامًا. لقد وُلِدَ هذا الكتابُ من خلال السنواتِ الكثيرةِ من الخبرة، والمحادثات والتعاون مع العائلة، والأصدقاء وشركاءِ الخدمة. أنا ممتنٌ لكلٍ من قطعَ رحلةَ الحياةِ هذه معي وتحدثَ بالحق في حياتي على مدار السنوات.

إنني مدينٌ بجزيلِ الشكرِ لجوني تادا وزملائنا المشتركين العديدين في مؤسسة جوني وأصدقائها لما يقرب من عشرين عامًا من الشراكة في الإنجيل. لقد تركت رحلاتٍ إلى الخارج مع "Wheels for the World"، والوقتُ الذي قضيناه في مؤتمرات العائلات، والعديد من المناقشات الشخصية في اجتماعات مجلس الإدارة والمؤتمرات تركتُ بصمة لا تُمحى في هذا الكتاب.

وقد وجَّه الدكتورُ ستيف تشايلدرز Dr. Steve Childers، والدكتورُ ستيف براون Dr. Steve Brown، وخاصة الدكتورُ جون فريم Dr. John Frame هذا العملَ في شكله الأولي في برنامج الدكتوراه في كلية اللاهوت المُصلحة في أورلاندو. وقامَ مايك يوين Mike Yuen في مؤسسة جوني وأصدقائها بتحويل ملفاتِ الماك القديمة لأطروحتي إلى شكلٍ قابلٍ للاستخدام حتى أتمكن من تحويل هذا الكتاب (هذا ما نأمله) إلى شكلٍ أكثرَ قابلية للقراءة وأكثرَ فائدة. وقرأَ كوني آمون Connie Amon وإيمي لوجر Amy Lauger، وحررا، وعلقا على نطاقٍ واسعٍ على المسودات. شجعني ثوم ناب Thom Narbe على مدى سنوات عديدة. كلهم أصدقاءٌ وخدامٌ حقيقيون.

وَقَرَّ هاري Harry وشيلي Shellie المناخَ اللازم للكتابة دون تشتيتٍ لعدة ساعات وأُثْنِي على عدم تقاضيهما أجرا مقابل مساحة العمل على الطاولة الأمامية بجوار النافذة! قدم هوارد شور Howard Shore وفيل كاجي Phil Keaggy المدرجَ الصوتي لمعظم العملية، مضيفين الموسيقى الجميلة لعمل الكتابة المضمني.

وأدينُ بالكثيرِ أيضًا للأشخاصِ الصالحين في Crossway، وخاصة آلان فيشر Allan Fisher لأنهم فكروا أولاً في المسودات، وجيل كارتر Jill Carter، وماتي وولف Mattie Wolf لتوجيههم لها، وللعديد من الآخرين في ذلك المجتمع الإنجيلي القوي للمساهمة بوقتهم ومواهبهم لهذا العمل النهائي. أبة نقاط ضعف واردة هنا هي مني ولكنها أصبحت أقل بسبب عملهم الدقيق والدؤوب.

كان لجيمسون، وإبراهيم، وآبي، وشوشنة، وإيلي، وجوزيا، بصماتهم (في بعض الأحيان حرفيًا) في جميع أجزاء المسودات المبكرة لهذا الكتاب عندما كانوا أطفالاً أصغر سناً. كان شوتجن الكلب السلوقي ريفي الدائم، ممدداً على الأرض عند قدمي عبر الكثير من الكتابة الأصلية. وبالطبع، دفعتني حياة جيسيكا للكتابة - هذا الكتاب هو إسهامها بشكل أساسي، إنه عطيتها لشعب الله.

أخيراً، عاشت عزيزتي ماري الحق وكانت نموذجاً له في هذا الكتاب يوماً بعد يوم لمدة ثلاثين عاماً. أنا ممتنٌ لله إلى الأبد لقلبها الأمين، والمثابر، والواثق.

وأنا أعلمُ أن كل هؤلاء الأشخاصِ الصالحين (والعديد من الأشخاص الآخرين المعروفين عند الله على إسهاماتهم) ينضمون إليّ في قول: "Soli Deo Gloria) لله وحده المجد!"

المقدمة

لن أنس أبداً ذلك اليوم في صيف عام ١٩٨٢. نقلت ابنتنا البالغة من العمر ثلاثة أشهر إلى الطبيب لأنها كانت مريضة، آخر شيء كنا نتوقعه أنا وزوجتي، ماري، أن تتغير حياتنا إلى الأبد وأن تتميز أرواحنا بشكل لا يُحصى بجروح الألم وبالأحلام التي ماتت. ستُشخص ابنتنا جيسिका في النهاية "بشذوذ كروموسومي" فريد: عند الحمل أو مع أول عدد من الانقسامات الخلوية، حدث شيء ما مع كروموسومها الثامن وهذا، إلى جانب حالات شذوذ جسدية أخرى (ربما تكون لها علاقة بهذا الأمر، وربما لا)، يعني أنها ستمر في هذه الحياة مُعاقفة، بشكلٍ جادٍ وعميق، غير قادرة أبداً على التحدث، أو المشي، أو الاهتمام بنفسها بطريقةٍ هادئةٍ تحددها هي نفسها.

لم تمت ابنتنا جيسिका، ورغم أن مراتٍ كنا نظن أنها قد تفعل، إلا أنها لا تزال هنا وأنا أكتبُ هذا في عام ٢٠١١. لكن بكل صدق، سأعترفُ لك، كان الأمرُ سيكون أسهلَّ جداً من نواحٍ كثيرة لو فعلت. هذا ليس شيئاً يمكنك قوله بصوتٍ عالٍ في معظم الكنائس، لكنها الحقيقة القاسية. ربما تكونُ قد عانيت من درجة شديدة من الانكسار، سواء كانت جسدية أو غير ذلك، أو كنتِ تعتني بشخصٍ يعاني منه. إذا كان الأمرُ كذلك، فقد تعرفُ ما أتحدثُ عنه.

إن موتَ الطفلِ حديثِ الولادة، بالرغم من أنه مؤلمٌ للغاية، إلا أنه نهائيٌ بنعمة. ويمضي الناس. بكل تأكيد، لم يعودوا كسابقِ عهدهم أبداً، ولكن مع ذلك بالضرورة يكملون مسيرتهم في الحياة. أما انكسارُ العجزِ المُستمرِ مدى الحياة فإنه يترك الكثير من الناس في حالة يسميها البعض "الأسى المزمن". وفي الكثير من الأحيان، تخبرُ الكنيسة المسيحية في الغرب الناس أن الحزنَ والانكسارَ هما ظروفٌ نتوقعُ من الناس التغلبَ

عليها وقهرها. يجبُ على الناسِ تجاوزَ مثل هذه الأماكن في اختبراتهم. لكن الحقيقة الصعبة هي أن بعضنا، من خلال العناية الإلهية الصعبة، نجد أنفسنا نواجه الانكسار يوماً بعد يوم بدون احتمالٍ لحدوث تغييرٍ كبيرٍ في الوضع.

في الواقع، على الرغم من أنك تكمل مسيرتك مع المسيح، بالإيمان، وفي الكثير من الأحيان بتفانٍ شديدٍ وفي شجاعةٍ وكُد، فإن الوضع لا يتحسنُ فقط أو لا يختفي، ولكنه غالباً أيضاً، ما يزدادُ صعوبة مع مرور كل عام.

ربما تعيشُ مع حالةٍ منهكةٍ ومتدهورة. ربما تعاني من أسى مزمنٍ مرتبطٍ بصدمة عاطفية عميقةٍ ودائمة. لدى البعض عبءُ رعاية زوجٍ أو طفلٍ مُصابٍ بالشلل. يواجه الكثيرون معركةً طويلةً مع السرطان الذي يهددُ بالموت. ويعيشُ البعض الآخرُ في أعقابِ وفاةٍ شخصٍ عزيز. أثناء كتابتي لهذا الفصل الافتتاحي، تلقيتُ مكالمةً أخرى من رجلٍ مسيحيٍّ صالح، وسمعتُ أن صديقه العزيز أخذ فجأةً من هذه الحياة بسببِ حادثٍ سيارة. وفي كنيسة الصغرة، ليستُ هذه هي المرة الأولى أو حتى الثانية التي تتأثرُ فيها بمثل هذه الخسارة هذه السنة. يمكن أن يكونَ الألمُ والشعورُ بالارتباك واضحاً وملموساً في بعض الأحيان لأن الكثيرَ من الأشخاص الذين نعرفهم ونحبهم يعيشون الكثيرَ من حياتهم وسطَ هذا الألم.

إذا لم يكنْ هناك أملٌ في التحسن، إذا بدا الفجرُ وكأنه لن يأتي أبداً، ربما تشعرُ مثل أيوب عندما قال في إصحاح ٣:

لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ، وَقَدْ سَيَّجَ اللَّهُ حَوْلَهُ. لِأَنَّهُ مِثْلُ خُبْزِي يَأْتِي أَنِّي، وَمِثْلُ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفَرَتِي، لِأَنِّي ارْتَعَابًا ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي، وَالَّذِي فَرَعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ. لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْرَحْ، وَقَدْ جَاءَ الرَّجُلُ. (٣: ٢٣-٢٦)

كيف نعالجُ هذا الاختبارَ مع تعليم باقي الكتاب المقدس؟ وكيف يجبُ أن يتجاوب المجتمعُ الكنيسي مع مثل هذه الظروف؟ كانت هذه هي الأسئلة التي بدأتُ في طرحها عندما كنت طالبَ دراساتٍ لاهوتيةٍ شاباً تخرج لتوه ومثاليًا منذ ما يقربُ من ثلاثين

عامًا. ولا تزال هذه الأسئلة، وغيرها من الأسئلة المتعلقة بها، تزعجني عندما أكون وحدي في السيارة أو أقوم بجَزَّ العُشب. وتزعجني أيضا استجاباتنا المتوقعة في الكنيسة. لماذا نطالب نحن في الكنيسة الإنجيلية في الغرب أن يكون الجميع "طبيعيين" ويظهرون نفس المظهر؟ لماذا نحاول نحن ثقافيا جامهدين (ونجح بهذا الشكل الجيد!) في إخفاء الأشخاص ذوي الإعاقة من مشهديننا اليومي؟ لماذا يشعر الأشخاص الذين يعانون من الانكسار المرئي وغير المرئي في الكثير من الأحيان كما لو كان عليهم إخفاء المشكلة لكي ينضموا إلى شعب الله في العبادة؟ وأخيرًا، وربما الأهم من ذلك، ما الإجابات التي تقدمها لنا أخبار الإنجيل السارة عن هذه الأسئلة، وكيف يمنحنا الإنجيل الرجاء في هذه المواقف؟

عندما طرحْتُ هذه الأسئلة على مر السنين، بدأت أدرك من خلال الملاحظة البسيطة أن الأشخاص ذوي الإعاقة غائبون في جميع أنحاء العالم تقريبًا عن عضوية الكنيسة في معظم الكنائس الأمريكية. في ١ كورنثوس ١٢: ١٤-٢٧، يصف الرسول بولس الكنيسة باستخدام تشبيه جسم الإنسان. قال: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ الْأَعْضَاءَ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ، كَمَا أَرَادَ" (آية ١٨). وصف بعض الأجزاء بأنها أضعف ولكنه لا غنى عنها والبعض الآخر أقل كرامة وأقل احترامًا ولكن تُعامل بشرفٍ خاص واحترام أكبر (الآيات ٢٢-٢٣). بالتأكيد على أحد المستويات، يصف بولس الأشخاص ذوي الإعاقة، والأشخاص المنكسرين، بصفتهن جزءًا من جسد المسيح، والمجتمع الجديد. وينبغي فهم وصفه للمجتمع المسيحي على أنه معياري، بصفته الشيء الذي يجب أن نراه عندما ندخل إلى الكنيسة.

تحصى الإحصائيات المأخوذة من عدة مصادر عدد الأمريكيين ذوي الإعاقة بأكثر من أربعين مليون شخص. هذا ما يقرب من واحد لكل ستة مواطنين. أضف إلى هذا العدد الأشخاص الذين يكون "كسرهم" هو في العلاقات والمشاريع، وقد تشمل هذه الفئة تقريبًا كل شخص آخر في المقاعد الخشبية. لكن حتى المسح غير الرسمي لمعظم الجماعات الكنسية الأمريكية يظهر أن هؤلاء الأعضاء الأضعف، والذين لا يوجد غنى عنهم، هؤلاء الأعضاء المكرمون بشكل خاص، في الغالب، هم غير موجودين ببساطة.

أو، إذا كانوا حاضرين، فغالبًا ما يكونون منفصلين عن الآخرين (وأنا أدرك أن هذا قد يكون ضروريًا في بعض الحالات) أو أنهم يخفون انكسارهم وراء أقتعة السعادة الزائفة والحالة الطبيعية السطحية.

من المؤكد أن أولئك الذين يعانون من إعاقات مرئية لا يُمثلون بشكل متناسب مع أعدادهم في عموم السكان. قبل وقتٍ طويل، في عام ١٩٨٣ (قبل قانون الأمريكيين لذوي الإعاقة بوقتٍ طويل)، كتبتُ جوني إيريكسون تادا قائلة: "يعاني عشرة في المائة من سكاننا الإعاقة الشديدة. (هذا رقمٌ تمّ تقريبه، بما في ذلك حالات الإعاقة من جميع الأنواع). إذن، نظريًا، في أي يوم من أيام الأحد، يجبُ على القس أن ينظرَ إلى شعبه ويرى عشرة في المائة محدودين- الصم، المكفوفين، أشخاصا في الكراسي المتحركة - أيًا كانوا."^١ لم يتغير هذا منذ أن كتبتُه جوني قبل خمسة وعشرين عامًا. في الواقع، مع تحسن التكنولوجيا، ازداد عددُ الأشخاص ذوي الإعاقة القادرين على البقاء على قيد الحياة لفترات أطول، لذلك ربما يجبُ أن يتواجدَ المزيدُ في الكنيسة.

لنكن واضحين: لم يُستبعدَ هؤلاء الأشخاص عن قصد من الكنيسة. ونعلم أن معظم أعضاء الكنيسة وقادتها سيؤكدون بكل تأكيد أن الأشخاص المكسورين وذوي الإعاقة مرحبٌ بهم في كنيستهم المحددة. لكن أولئك الذين يعيشون بإعاقة (أي، أولئك المعاقون والذين يعيشون مع شخصٍ معاقٍ ويرعونهُ) سيشهدون بأنه، على الرغم من أن الثقافة الأمريكية بشكلٍ عام أصبحت أكثرَ وعيًا واستجابةً لاحتياجاتٍ وقدراتٍ هذه الشريحة المعوقة من المجتمع (خاصة منذ قانون الأمريكيين لذوي الإعاقة في عام ١٩٩٠)، إلا أنه بطرقٍ خفيةٍ عديدةٍ يشعرُ الأشخاص ذوو الإعاقة بعدم الترحيب بهم من الكنيسة. تتفق معي نانسي أيسلاند Nancy Eiesland، حين قالت:

¹ Joni Eareckson Tada, "If God Is Not Embarrassed, Why Are We?," *Moody Monthly* 83(2):19.

إن تاريخ تفاعل الكنيسة مع المعاقين يوصف على أفضل حال بأنه تفاعل غامض. بدلاً من أن تكون هيكلًا للتمكين، دعمت الكنيسة في الكثير من الأحيان الهياكل والمواقف المجتمعية التي تعامل الأشخاص ذوي الإعاقة بوصفه موضوعًا للشفقة وللمعاملة الرحيمة. بالنسبة للعديد من المعوقين، كانت الكنيسة "مدينة على تل". يتعذر الوصول إليها جسديًا وغير مضيافة اجتماعيًا.²

تعيش عائلتي شخصيًا مع الإعاقة. لقد ذهبنا إلى الكنائس حيث كان علينا حمل كرسي جيسيكال المتحرك فوق عقبات أو لصعود سلم للدخول. لقد اخترنا التحديق الصامت الذي يخون عدم ارتياح غير مُعلن لوجودنا. منذ سنوات عديدة عندما كانت صغيرة، سمعنا عمال الحضانة ومعلمي مدارس الأحد يقولون فعليًا: "لن تتركها هنا معنا، أليس كذلك؟" وبالطبع، سألنا المؤمنون ذوو النوايا الحسنة، ولكنهم قليلو المعرفة اللاهوتية، بصدق عما إذا كنا قد اعترفنا بالخطية في حياتنا والتي يجب أن تكون مسؤولة عن بلائها.

في كثير من الأحيان، وبالرغم من قبولهم ومحبتهم لكل الناس، إلا أن الناس في الكنيسة يفتقرون إلى المبادرة أو البصيرة لتقديم تدابير بسيطة، من شأنها أن تجعل المجتمع الكنسي أكثر اكتمالاً وإرضاءً وترحيباً لمن يعيشون مع الانكسار. لا يعرف الناس الاحتياج لأنهم لا يسألون أو يأخذون زمام المبادرة لمعرفة ذلك. إن وضعنا شبه نموذجي لعدد لا يُحصى من العائلات الأخرى التي تحدثنا معها — العائلات التي تمتد إعاقاتها على نطاق واسع بدءًا من الإعاقة الواضحة على الكراسي المتحركة لأولئك الذين يتمتعون بأمور انكسار أخرى أكثر خفية ولكنها تطالب بنفس الاهتمام مع كونها هامشية.

المشكلة هي أن المسيحيين بشكل عام لديهم فهم غير صحيح لدور الله في الإعاقة. يؤدي هذا النقص في الفهم إلى أبواب مغلقة للأشخاص ذوي الإعاقة حتى بعد طلاء

² Nancy Eiesland, *The Disabled God: Toward a Liberatory Theology of Disability* (Nashville, TN: Abingdon, 1994), 20.

المساحاتِ المُخصَّصةِ للمعاقين في موقف السيارات، وقطع الأرصفة لتكون منحدرّة، ووضع مسارٍ منحدّرٍ للمدخلِ الأمامي للكنيسة. لكن المشكلة الأكثر حيوية هي أن المجتمع المسيحيّ يميلُ عمومًا إلى إبقاء الأشخاص ذوي الإعاقة مُهمشين في الكنيسة. كتب ستانلي هويرواس Stanley Hauerwas (مع بوني راين Bonnie Raine) قائلاً:

في حين أن الوصايا الأخلاقية للإنجيل تبدو واضحة ولم تنسها كنائسنا أبدًا، إلا أن الإرشاد الذي قد تقدمه لنا بصفتنا أعضاء في المجتمع لم يظهر كمبررٍ منطقي يلزمنا برعاية أعضائنا المُعاقين أو بالاعتزاز بهدفٍ قابلٍ للتحقيق وهو اندماجهم التام في مجتمعنا.^٣

لماذا عيّن الله البعض ليكونوا أعضاء مُعاقين وضعفاء؟ كيف يعكسُ مثل هذا التصميم رعايته السيادية والمحبة لشعبه؟ وإذا كان على الكنيسة أن تحتوي الأعضاء الأضعف والأقلّ كرامة، تمامًا كما قصدَ لهم (١ كورنثوس ١٢: ١٨)، فلماذا إذن يغيبُ الأشخاص ذوو الإعاقة بشكلٍ مؤلمٍ عن معظم الكنائس الأمريكية؟ وفقًا لتعريف بولس للكنيسة، فإن معظم الكنائس اليوم غيرُ مكتملةٍ بدون الأشخاص ذوي الإعاقة. هذه مشكلةٌ تتعلق في الأساس بالإنجيل ويجب معالجتها.

كيف يمكنُ للكنيسة أن تحتضنَ الأشخاص ذوي الإعاقة بطريقةٍ أكثرَ كتابية وأكثرَ فاعلية وبالتالي تعيشُ الإنجيلَ بشكلٍ كاملٍ أمامَ العالم المراقب؟ يجب أن نهدفَ إلى تدميرِ بعض المفاهيم الخطيرة التي عفا عليها الزمنُ بشأن الأشخاص ذوي الإعاقة وكيف يجبُ أن يُعاملوا. يجب أن نعيدَ النظرَ في افتراضاتنا الثقافية الراسخة بعمقٍ حولَ ما يعنيه أن تكونَ "طبيعيًا" في مقابل ما قد يعنيه العيشُ لسنواتٍ في حالةٍ يجب اعتبارها "كسرًا". يجبُ أن نجتهدَ لإحلال التفكير الخاطئ (حتى لو كان صادقًا) حولَ

³ Stanley Hauerwas, *Suffering Presence: Theological Reflections on Medicine, the Mentally Handicapped, and the Church* (South Bend, IN: University of Notre Dame Press, 1986), 182.

هذه الأمور، بفهمٍ ذي أساسٍ كتابي، وذو صلةٍ ثقافيًا، وموجهة تجاه الخلاص لذوي الإعاقة والانكسار في الكنيسة في أمريكا. إن إعادة التقييم هذه بالغَةُ الأهمية إذا كان على الكنيسة أن تُجسّد، على الإطلاق وبشكلٍ أدق، رؤية يسوع في الأناجيل ورؤية بولس في كورنثوس الأولى.

شرعتُ في هذه الصفحات أن ألقى نظرةً على ما يقوله الكتاب المقدس عن الانكسار بشكلٍ عامٍ والإعاقة على وجه التحديد. ثم أريدُ أن نفكرَ قليلًا فيما قاله الحكماء على مر السنين منذ أن بدأتُ الكنيسة- بعضُ الأقوال عميقٌ ومشجع، وبعضها مخجلٌ ومُحرجٌ ببساطة. ولكن بمجرد أن تكون لدينا هذه القاعدة من الكتاب المقدس والتاريخ التي نبني عليها، يمكننا تطويرُ المبادئ وتحديدُ الخطوط العريضة لأطر التفكير الإنجيلية التي ستساعدُ المؤمنين بشكلٍ فردي والكنائس بشكلٍ جماعي أولاً على احتضان كسرهم الشخصي ثم تجهيزهم لاحتضان أولئك الذين يعانون من الانكسار الجسدي بشكلٍ مرئيٍ حولهم.

أنا لستُ شخصًا من ذوي الإعاقة بالمعنى التقليدي، لذلك لا يمكنني أن أتكلّم بصفتي شخصًا تحمل التجربة من خلال الرفض المجتمعي والعوائق التي تحول دون التقدم طوال حياته. إن اختباري مع الأشخاص الذين يعيشون بإعاقاتٍ يظلُّ محدودًا بشكلٍ مؤلمٍ في العموم. نعم أنا أحدُ الوالدين لطفلةٍ معاقةٍ بشدةٍ تبلغُ من العمر الآن ثلاثين عامًا. ونعم، تبنيًا طفلين (كليهما يبلغ من العمر حوالي عشرين عامًا الآن) واللذين لديهما مواقفهما الصعبة الخاصة بهما منذ الولادة. ونعم عملي بصفتي عضوًا في مجلس الإدارة الدولي في مؤسسة جوني وأصدقائها وارتباطي بشبكات الإعاقة المحلية وسعتُ من خبرتي قليلًا. لكن أصنافَ الإعاقات الشائعة لدينا في مجتمعاتنا (وبالتالي الخبرات المتعلقة بتلك الإعاقات) هي واسعةُ النطاق، ولقد تفاعلتُ شخصيًا مع شريحةٍ صغيرةٍ فقط من هذا النطاق.

كما أدركُ أيضًا أن مجالَ أخلاقيات الطب، والذي يمسُّ هذه المنطقة، في حالةٍ تدفقٍ مستمر. يبدو أن الاكتشافات الجديدة والتقدمَ يجلبُ بركاتٍ ولعناتٍ جديدة مع مرورِ كلِّ أسبوع، وبالتالي أصبحَ من المستحيل تقريبًا مواكبةَ المعلوماتِ وحتى إلى حدٍ كبيرٍ الطبيعة المتغيرة بسرعةٍ للقضايا التي يتمُّ تناولها.

أنا لستُ خبيراً بأي شكلٍ من الأشكال سواء في الإعاقات أو في طبيعة الإنجيل. ولكن بعد كل ما يقال، دعونا نستكشفُ معاً بعضَ الآيات والمقاطع والمواضيع المهمة في الكتاب المقدس حتى نتمكنَ من البدء في تعديل تفكيرنا. نريدُ أن يكونَ لنا فكرُ المسيح، لذلك نحتاجُ أن نرى ما قاله اللهُ من خلال أسفار العهد القديم، من خلال حياة يسوعَ وكلماته في الأناجيل، ومن خلال الروح القدس الذي يتحدث من خلال الرسل في الأعمال والرسائل.

ثم دعونا نلقي نظرة على بعض التاريخ حتى نتمكنَ من تجنبِ الأخطاء التي اقترفوها قبلاً. هناك أصواتٌ قديمة وحديثة يمكن أن تعطينا حكمة، وتحذرننا من الخطأ، وتساعدنا على سماعِ صراخ هؤلاء، وحتى اليوم، الذين يتوقفون إلى الشركة العميقة مع شعبِ الله حيث يختبرون القبول.

أخيراً، دعنا نعيدُ النظرَ في هذه الأسئلة الصعبة ونسألُ كيف يمكننا العيشُ تحتَ نعمةِ الله بقوةِ الإنجيل، حتى لو كنا نعيشُ في ضعفِ العجزِ وانكسارِ الروح.

الجزء الأول



في النصوص العبرية القديمة التي نسميها العهد القديم، نجد الإعلان الذي يعلم فهمنا فيما يتعلق ليس فقط بمن نحن بوصفنا أشخاصًا ولكن أيضًا بكيف يرانا الله. كما أننا نبدأ أيضًا في رؤية نمط فيه يظهر الله نعمة للمكسور، والضعيف، والمنبوذ - والمثير للدهشة، في كثير من الأحيان، يستخدم مثل هؤلاء لأهدافه الخاصة ومجده. سوف ننظر في نصوص العهد القديم بحسب تقسيمها العبري التقليدي: الناموس والأنبياء، والكتابات. في الناموس (ويُسمى أيضًا التوراة، أو أسفار موسى الخمسة) سنلقي نظرة على المقاطع في التكوين وحتى سفر التثنية. ثم نتأمل الأنبياء. في هذه الفئة تشمل الأسفار العبرية الأسفار التاريخية التقليدية (من يشوع حتى الملوك) والأسفار النبوية (من إشعياء حتى ملاخي). أخيرًا، سوف نلقي نظرة على بعض المقاطع من الكتابات. هذا الجزء من الأسفار العبرية المقدسة عبارة عن مجموعة من كتب الحكمة والشعر (من أيوب وحتى الأمثال) بالإضافة إلى عدد قليل من الأسفار الأخرى مثل عزرا، ونحميا، ودانيال والمخطوطات الخمسة (راعوث، أستير، مراثي إرميا، نشيد الأنشاد، والجامعة).

الفصلُ الأولُ

صوتُ الله

في الناموس والأنبياءِ والكتاباتِ

ما يَعْلَمُه العَهْدُ القَدِيمُ عن الإِعاقة:

بينما نفتحُ نصوصَ العهدِ القديمِ، تَقْفُرُ أماننا العَديدُ من القصص. قد تكونُ مثلي وتثيرُ هذه القصصُ طوفاناً من الذكريات: دروس مدرسة الأحد، خبرات مدرسة الكتاب المقدس الصيفية، وربما دراساتُ الكتاب المقدس في الجامعة، وبالطبع عِظاتٌ من إجتماعِ عبادة صباح الأحد. حتى لو لم تُكُنْ هذه هي خبرتك، حتى لو لم تكن قد قرأتَ الكتاب المقدسَ وأنتَ تكبر، فإن معظمَ الناس يعرفون أبطالَ الكتاب المقدسِ مثل إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وجدعون، وشمشون، والملك داود. حتى لو كان البعضُ من هذه القصص جديداً بالنسبة لك، فإن الأسماءَ مألوفة لك في الغالب من الأفلام وجميع تلك البرامج التلفزيونية (مثل: الكشف عن أسرار الكتاب المقدس!).

ولكن أيّاً كانتْ خبرتُنا ومعرفتُنا بالكتاب المقدس، فأنا أجدُ أن معظمنا لديه فكرةٌ مسبقةٌ بأن كل هذه الأسماء الكبيرة من العهد القديم هي أسماءٌ كبيرة بسبب شخصيتها، وعظمة شجاعتهم وصفاتهم القيادية. لا شيءٌ يمكنُ أن يكونَ أبعدَ عن الحقيقة من ذلك! أتمنى أن ترى ذلك، كما رأيته أنا، أنه على العكس من ذلك، تستخدم قصة الله في الكتاب المقدس هذه الشخصيات لتسليط الضوء على ضعفهم، وعجزهم، وانكسارهم. وبذلك، فإن مجدَ الله ونعمته يتعظمان أكثر!

تحدثُ الأسفارُ الكتابيةُ الخاصة بالتقليد اليهودي المسيحي، أي العهد القديم، عن الإعاقة والانكسار أكثر مما قد نَظُنُّ في البداية. إذا أردنا أن نفهمَ قلبَ الله ونعانقه في هذه القضية الحاسمة، فيجبُ أن نسمحَ للوحي الإلهي بتوجيه تفكيرنا فيما يتعلقُ بخلقِ الله للإنسان، وبأية طريقةٍ وضعَ الله صورته في الإنسان، وما هو الدورُ الذي يؤديه الله في هذه الظروف التي نعتبرها غيرَ طبيعيةٍ وتلك الحالات التي من الواضح أنها تعيقُ الناس.

غموضُ الإنسان:

لا يمكنُ أن يكونَ مسحُناً شاملاً بأية وسيلة - فإن شهادة الكتاب المقدس لموضوعاتٍ ضعفين وانكسارنا عميقة. لكن دعونا نحاولُ عملَ مسحٍ للنصوصِ المختصةِ بهذا

الموضوع من العهد القديم، مع الأخذ في الاعتبار تقاطع التعاليم الكتابية، فسنعلّق على أكثر النصوص البارزة والغنية بالمعلومات، وعلى الموضوعات المكتشفة لنا من خلال الوحي الإلهي.

الناموسُ

في الكتب الخمسة الأولى-أي التوراة في التقليد اليهودي، وأسفار موسى الخمسة في التقليد المسيحي- سوف نستخلص النقاط من كلا النصوص السردية والقانونية. سوف نستنتج المبادئ من السرد، بينما نتحدثُ النصوص القانونية بوضوح بشأن ما يجب أن يكون حقًا.

تكوين ١: ٢٦-٢٧؛ ٥: ١؛ ٩: ٦

الأمر الأساسي لدراستنا، بالطبع، هي النصوص الأقدم التي تتحدث عن كون الإنسان مخلوقًا على صورة الله ومثاله. في تكوين ١: ٢٦-٢٧؛ ٥: ١؛ ٩: ٦، يتضح أن الله قد وضع شيئًا من ذاته في البشر- شيئًا ذا أهمية جوهرية - وهو الأمر الذي يفصل البشر عن بقية الخليقة. يسمي اللاهوتيون هذا الأمر **إماجو داي** imago Dei أو "صورة الله" في الإنسان. يجب أن نتطرّز المزيد من الإعلان لتوسيع فهمنا فيما يتعلّق بطبيعة هذه الصورة عينها في الإنسان. إلا أنه يجب علينا أن نلاحظ نقطتين مهمتين.

أولًا، الملاحظة النحوية. تُرجم تسلسل الجمل اللفظية في ١: ٢٦-٢٧ تقليديًا: "نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ ... فَيَتَسَلَّطُونَ". إلا أن الفهم الأكثر دقة للعلاقة بين الجمل في اللغة العبرية، يمكن أن يؤدي بشكلٍ مُبرّرٍ للمعنى التالي: "لنصنع الإنسان على صورتنا حتى يحكم". في ضوء ذلك، يمكن للمرء أن يخمن أن "السيادة" هي جانب واحد؛ يقول البعض ربما يكون هو الغرض الأساسي أيضًا من الصورة. إلا أنه بعد قولنا هذا، علينا أن نضيف بسرعة أن السيادة ليست بأي حالٍ من الأحوال الجانب الوحيد، ولا هي الغرض الوحيد بالتأكيد، من مشابھتنا لصورة الله.

ثانيًا، فهمُ جوهرِ صورةِ الله هذا تقليديًا على أنه يكمنُ في الجوانبِ غيرِ الماديةِ للإنسان: أي العقل، والتواصل وغير ذلك من صفاتِ الله المشتركة (قدرتنا على التعبير عن المحبة والتحنن واللفظ والرحمة وما إلى ذلك). ومع ذلك، ومن البداية، اسمحوا لي أن أحاول إجراءَ قدرٍ من التصحيح لهذا الفهم التقليدي. الكلمات **الصورة** و**المثال** في تكوين ١ مبنيةٌ على كلمتين عبرانيتين مختلفتين (تسيلم **tselem** ودموت **demut**). هاتان الكلمتان، الصورة والمثال، يبدو أنهما تحملان نحوياً ومعجمياً، عنصرًا ماديًا قويًا في معانيهما الواسعة. عن هذه الكلمات، قال جون باير، "على الرغم من وجودِ صفاتٍ مجردة، إلا أن **دموت** تُستخدم بشكلٍ مُوحّد فيما يتعلقُ بإعادةِ إنتاجِ بصريٍّ ملموسٍ لشيءٍ آخر. مرةً أخرى، كما هو الحال مع تسيلم، فإن استخدامَ **دموت** يحثنا بقوةٍ شديدةٍ في اتجاه الشبهِ المادي."°

إلى جانب ذلك، يؤكدُ باير:

إن إنكارَ أن الكاتبَ يقصدُ أن المظهرَ الجسديَ للإنسانِ هو على صورةِ صانعِه سيكونُ بمثابة تحيزٍ لاهوتي. كما قال فون راد von Rad: "لا يجبُ أن يُستثنى مظهرُ الإنسانِ الجسدي على الإطلاق من نطاقِ صورةِ الله. . . لذلك، سوف يصنعُ المرءُ حسنًا إن كان فصلُ المادي عن الروحي أقلَّ ما يمكن: خُلِقَ الإنسان كله على صورةِ الله".°

في القاموس اللاهوتي للعهد الجديد، يؤكد فون راد في مقالته حول المُرادف اليوناني الأساسي، إيكون eikon، أن الشبهَ الإلهي لا يتكوّن من أشياء مثل الشخصية، والقدرة الأخلاقية، إلخ. إذا طُلب منك الاختيارُ بين الشبه الروحي والجسدي، يقول فون راد إنه

⁴ John Piper, "The Image of God: An Approach from Biblical and Systematic Theology," *Studia Biblica et Theologica* 1, no. 1 (1971): 17.

⁵ Ibid., 18.

"يجب أن يتخذ قرارًا لصالح الشبه الجسدي في العهد القديم بشكل أساسي".^٦ أخيرًا، قال أنتوني هويكيما Anthony Hoekema، "ليست صورة الله، بحسب ما اكتشفناه، شيئًا يمتلكه الإنسان، ولكنه شيء يكون الإنسان عليه. وهذا يعني أن البشر يعكسون الله ويمثلونه. وبالتالي، هناك مفهوم بأن الصورة تتضمن الجسد المادي".^٧ السؤال عن كيف يمكن لجسد مادي أن يكون صورة لآله غير مادي سيتم تناوله بينما نمضي قدمًا.

تكوين ٣٢: ٢٥-٣٢

في تكوين ٣٢: ٢٥-٣٢، وهو مقطع قصير وباطني، يتصارع يعقوب مع "رجل" قبيل عودته إلى كنعان لمقابلة أخيه عيسو. يخبرنا النص أن الرجل "ضرب حُقَّ فخذِهِ، فَأَنْخَلَعَ حُقَّ فخذِ يَعْقُوبَ" (الآية ٢٥) وأن يعقوب ترك "يَخْمَعُ عَلَى فخذِهِ" (الآية ٣١). على الرغم من أن النص يفتقر إلى مزيد من التفاصيل الواضحة، إلا أن التقليد يتمسك بأن يعقوب أصبح مُعاقًا بشكل دائم في نفس المناسبة التي تغير اسمه فيها إلى "إسرائيل".

جوديث أبرامز Judith Abrams في كتابها اليهودية والعجز: صور من النصوص القديمة من التاناخ مرورًا ببافلي، تكتب ببصيرة قائلة إن عجز يعقوب تصحبه بركة. فقد ظهرت حالته الأخلاقية المعيبة أخيرًا في حالته الجسدية، وبطريقة ما، تحرر من ذنبه في خداع والده وأخيه . . . إسرائيل، إذًا، في أول تجسد له مُعاقًا جسديًا.^٨

ربما يكون يعقوب أوضح مثال لنا لصورة ثابتة يرسمها الله من خلال هذه الروايات الإفتتاحية في أسفار الناموس. الآباء، بعيدون كل البعد عن كونهم "أبطال الإيمان"، فهم

⁶ Kittel Gerhard, ed., *Theological Dictionary of the New Testament*. tran. Geoffrey W. Bromiley (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1964) 2:391.

⁷ Anthony Hoekema, *Created in God's Image* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986), 95. Emphasis in the original.

⁸ Judith Abrams, *Judaism and Disability: Portrayals in Ancient Texts from the Tanach through the Bavli* (Washington, DC: Gallaudet University Press, 1998), 85.

في الكثير من الأحيان أشخاص متعثرون، وضعفاء، ومنكسرون، والذين يستخدمهم الله في ضعفهم. عندما التقى الله يعقوب وتركه جريحًا، كان جرحًا جسديًا من المفترض أن يذكره بانكساره الروحي. لم يعد قادرًا على التظاهر بالقوة الأخلاقية وهو يعرج عبر الحياة مع هذه الإعاقة الجسدية الجديدة.

حول هذا العمل المذهل الذي قام به الله، قال دان أليندر Dan Allender، "يعتزم الله المصارعة مع كل واحد منا لكي يباركننا ويجعلنا نسير ونقود بضعفٍ مُميزٍ. . . عرج يعقوب" تذكر أنه عندما يعيدُ الله تسميتنا، فإنه يجعل كل واحد منا أيضًا شخصًا جديدًا من خلال فداء يتطلب الانكسار".⁹

لذلك نبدأ بالفعل في رؤية أن الله يجلب الجرح عمدًا لمن يحب. وفي الحقيقة، أولئك الذين يستخدمهم الله هم أكثر من يكسرهم، بطريقة ما، لأغراضه السيادية. فكّر في حياتك. ربما تحمل ندبةً جسديةً أو حالةً منهكة. أو ربما تكون الندبة أو الضعف أكثر دقة وغير مرئي من قبل عين الإنسان، ولكن ليس أقل عمقًا في تأثيره على حياتك. لقد استخدم الله يعقوب ليبين لنا أنه يستخدم مثل هؤلاء الناس ليس على الرغم من ضعفهم بل بالأحرى بسبب نقاط الضعف هذه ومن خلالها عينها.

لكن دعونا نحاضر بالصبر!

خروج ٤: ١٠-١٢

عندما دعا الله موسى من العليقة المتقدمة، دعا موسى لكي يخدمه بصفته ممثلًا له أمام فرعون، ليُخرج بني إسرائيل من العبودية. كان موسى قد قدّم بالفعل ثلاثة اعتراضات في صيغة أسئلة. سأل أولاً، "مَنْ أَنَا حَتَّى ... أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟" (١١: ٣). ثم سأل: "هَذَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ."

⁹ Dan Allender, *Leading with a Limp: Turning Your Struggles into Strengths* (Colorado Springs, CO: Waterbrook, 2006), 46, 48.

فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟" (٣: ١٣). ثالثاً قال لله: "وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونَنِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ" (٤: ١). كان موسى يحاول جاهداً أن يظهر لله أنه لم يكن الخيار الصائب للقيام بعمل الله!

أخيراً، قدّم موسى اعتراضاً رابعاً، اعتبره بالتأكيد مقنعاً لله، بأنه غير مؤهل لخدمة الرب. قال موسى: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبُ كَلَامٍ مُنْذُ أَمْسٍ وَلَا أَوَّلِ مِنْ أَمْسٍ، وَلَا مِنْ حِينَ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ" (٤: ١٠). بينما تجادل الكثيرون حول معنى كلام موسى، ما إذا كان هذا يعني أن موسى كانت لديه إعاقة في الكلام أم لا، إلا أن رد الله في (٤: ١١) لا لبس فيه. "مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَّا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟"

تأمل ما يقوله الله هنا. احرص على عدم تفويت تأثير هذا الكامل! إذا كنت مثلي، عندما تبدأ في السماح لهذا التصريح أن يتسلل لعمق فكرك، فإنك ستصرخ، "ماذا؟"

في هذا الرد المذهل، لا ينكر الله مسؤوليته عن الظروف التي نعتبرها عادةً إعاقات (العمى، والصمم، والخرس) فقط؛ بل لدهشتنا، فإن الله ينسب إلى نفسه الفضل في صنعها! يقول الله إن هذه الأشياء تأتي منه وهي من صنعه. هذا تصريح صعب! وعلينا أن نقبله ونتعلم منه. لكننا سنترك الإجابة عن سؤال "لماذا؟" للتأمل في وقت لاحق.

تعلق جوني تادا أيضاً على هذا المقطع بهذه الطريقة قائلًا:

هل يتسبب الله في العمى أم يسمح به؟ هل يخطط لشخص أن يولد أصمًا أم يأذن به؟ باختصار هل يريد الله المرض؟ المفتاح هنا هو كيف نستخدم كلمة "يريد". لا يريد الله وجودَ المرض بمعنى أنه يستمتع به. هو يكره المرض، تمامًا كما يكره كل نتائج الخطية الأخرى - كالموت، والذنب والأسى، على سبيل المثال. لكن لابد وأن يريد الله وجودَ المرض بمعنى أنه يشاء أو يختار وجوده، لأنه إذا لم يكن، فسوف يحوه فورًا.

يختارُ اللهُ السَّماحَ بالمرضِ لأسبابٍ عديدة. أحدُ هذه الأسبابِ هو تشكيُّلُ الشخصيةِ المسيحيةِ. بهذه الطريقةِ يستخدِمُ اللهُ شكلاً من أشكال الشرِّ، وهو المرضُ، للمساعدةِ في إزالةِ شكلٍ آخر من أشكال الشرِّ - أي الخطيئةِ الشخصيةِ.

ولكن الأهمَّ من ذلك، هو أن اللهَ يؤخِّرُ إغلاقَ الستارِ عن الألمِ حتى تتاحَ الفرصة لعددٍ أكبرٍ من العالمِ لسماعِ الإنجيلِ. لأنَّه إن محى اللهُ كلَّ مرضٍ اليومَ، فعليه أن يمحُوَ الخطيئةَ أيضاً، أي السببَ العامَّ للمرضِ، وهذا يعني تدميرَ كلِّ الناسِ. رحمةُ اللهِ هي التي تؤخِّرُ دينونته!

"فَإِنَّهُ وَلَوْ أَحْزَنَ يَرْحَمَ حَسَبَ كَثْرَةِ مَرَاحِمِهِ. لَأَنَّهُ لَا يَذِلُّ مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يُحْزِنُ بَنِي الْإِنْسَانِ" (مراثي إرميا ٣: ٣٢-٣٣).

هل يأمرُ اللهُ؟ أم يسمح؟ أم يخطط؟ أم يجيز؟ ليس الفعل هو الأمر المهم بل الاسم: الله. والله محبة.^{١٠}

اللاويين ٢١: ١٧-٢٣

لقد رأينا حتى الآن أن اللهَ خلقَ الإنسانَ، واستثمرَ فينا بوضع صورته، وأنه منخرطٌ أيضاً بشكلٍ حميمي في خلقِ البعضِ بطُروفٍ نعتبرها عادة أقلَّ من الجيدة أو الطبيعية. الآن، في المقطع القانوني في لاويين ٢١: ١٧-٢٣، نجدُ أن مطالبَ الله للكهنه الذين يخدمون عند المذبح تتضمَّنُ تحريماً لأي شخصٍ ذي تشوهات. قائمة الحالات المحظورة مفيدة: الأعمى، أو الأعرج، أو المشوَّه، أو المشلول في اليد أو القدم، أو الأحدب، أو القزم، أو ذي العيونِ المعيبة، أو ذي القروح التي بها رشح، أو أخيراً (وبشكل مفاجئ) من عنده تَلَفٌ بالخصيتين. أي رجلٍ لديه أيُّ من هذه الصفات الجسدية كان ممنوعاً من إحضار القربان أو من الاقتراب من المذبح.

¹⁰ Joni Eareckson Tada, *Diamonds in the Dust: 366 Sparkling Devotions* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1993), February 5. Emphasis in the original.

مرة أخرى، تلخص جوديث أبرامز هذا جيدًا فتقول: "في أكثر الأماكن كملاً-أي الهيكل- في حضور الكيان الأكثر كملاً- أي الله- فقط الأشخاص الأكثر كملاً، شخص من نسل كهنوتي لا تشوبه شائبة وذو شكل جسدي مثالي، يمكنه أن يقرب الذبائح (التي يجب ألا تشوبها شائبة أيضاً)".¹¹

لاحظ أنه بالرغم من أن الكهنة "الذين تشوبهم شائبة" أو المشوهون هم ممنوعون من القدوم إلى المذبح، إلا أنهم كانوا لا يزالون قادرين على أن يكونوا كهنة وأن يشاركوا في واجبات ومميزات أخرى. كانت الخدمة في الهيكل وفي قدس الأقداس هي التي كانت خارج نطاقهم. لكننا نجد، في الأدب اليهودي ذي الصلة، أن هذه الخصائص المشوهة (حتى لو لم تكن إعاقة بالمعنى التقليدي بالنسبة لنا) كانت تعتبر كثيرة جداً حتى بالنسبة للنشاط الكهنوتي المقبول. في مراجع عديدة في الأدب اليهودي الآخر (المشناه والتوسيفتا) نهي الكهنة ذوو الشوائب أو الأيدي المشلولة، أو العمي أو من لديهم تشوهات بالعيون من رفع أيديهم لتقديم البركة في المجمع، لأن حالتهم ستشتت انتباه المصلين عن الله لمن يقدم البركة.

هذا المقطع من سفر اللاويين صعب إذا سحب ونُظر إليه بمفرده. يجب فهمه في ضوء الغرض العام من سفر اللاويين - لإظهار القداسة الفائقة لله ونقائه لإسرائيل. لم يكن الهدف هو أن الأشخاص المكسورين أو المشوهين هم غير جديرين. بل الهدف، على الرغم من أننا نادرًا ما نفهمه، هو أنه ما من أحدٍ جديرٍ بالاستحقاق تمامًا.

أعتقد أن الغرض الأول من الوصايا العشر وقانون القداسة هو أن يجعل شعب الله يقول، "فمن يستطيع أن يخلص إذًا؟ ارحم يا رب!" لسوء الحظ، عندما كانوا، وكذلك كنا في كثير من الأحيان، يقرأون الوصايا، كان الرد الأول هو قول، "حسنًا، دعنا نذهب إلى العمل ولنفعل الأمر فقط!" على مرّ السنين، أشرتُ مازحًا لمثل هذا التفكير بأنه "لاهوت ماركة نايكي الرياضية". بالطبع، يطلب الله ويسعده جهدنا البشري للطاعة.

¹¹ Abrams, *Judaism and Disability*, 23.

مجرد طلب الرحمة دون محاولة الطاعة أبداً سيكون تجاوزاً غير كافٍ (لكن هذه هي قضية أخرى تتجاوز ما نتحدث عنه هنا!).

ما نراه في سفر اللاويين هو لمحات من القيمة التي يضعها الله على جسم الإنسان وعلى الضعفاء والمعاقين جسدياً ونفسياً. على سبيل المثال، يقول سفر اللاويين ١٩: ١٤، "لَا تَشْتِمِ الْأَصَمَّ، وَقُدَّامَ الْأَعْمَى لَا تَجْعَلَ مَعْتَرَةً، بَلْ اخْشَ إِلَهَكَ. أَنَا الرَّبُّ". ثم، في سفر اللاويين ٢٤: ١٠-٢٢، يُؤمرُ إسرائيليُّ برجم كل من جدَّف على الاسم، وفي النفس التالي، أن يقتلوا كل من يقتل ويشوهوا كل من يشوه. يمكننا أن نستخلص من هذه أنه بينما يطلبُ اللهُ الكمالَ في الهيكل، إلا أن الجسد البشري بشكل عام، وأولئك الذين لديهم أجسادٌ معاقة بيننا على وجه التحديد يستحقون الاحترام والرعاية العميقين. مرة أخرى، نجد أن تعليقاتِ جوني تادا على هذا المقطع جديرة بالنظر إليها:

عندما كنتُ أجدُ صعوبة في فهم وجهة نظر الله في إعاقتي، لم يساعد الأمر عندما عثرتُ على لاويين ٢١: ١٦-١٨. فأغلقتُ كتابي المقدس بعنف. لقد كنتُ أعلم- الله كان عنده مشكلة مع إعاقتي بالفعل. بدا لي أن إعاقاتي تسيء إليه بنفس الطريقة التي يسيء بها الكرسي المتحرك إلى النوادل في المطاعم!

لكن بعد ذلك اكتشفتُ المعنى الحقيقي وراء هذه الآيات. لاويين ٢١ هي قائمة صارمة بما يجب فعله وما يجب الامتناع عنه للرجال الذين يمارسون كهنوت هارون. كان على الكاهن أن يكونَ طاهرًا، بدون عيوبٍ جسدية، لأنه كان رمزاً مادياً لواقع روحي مستقبلي - ظلًا مهمًا للمسيح الآتي. كان الله يبحث عن رجلٍ كاملٍ جسدياً ككاهن ليمثّل الانسانَ الروحيَ الكامل، الذي هو الربُّ يسوع.

يتحدثُ إليك هذا المقطع، سواء كنتَ معاقاً أم لا. كجزء من "الكهنوت الملكي" (١ بطرس ٢: ٩)، يرحبُ بكم الله إلى محضره، ويقبلكم مهما كانت القيود التي تحدث. ولكن عند مجيئك أمامه في العبادة تأكد أنك لا تحصد عيب الكبرياء أو

عيب النجاسة. قد لا تكون مقيداً بأمور يجب عليك فعلها أو يجب الامتناع عنها، ولكن إذا أراد الله من شعب العهد القديم أن يكونوا طاهرين عندما يأتون أمامه، فمن المؤكد أنه يتوقع نفس الشيء منا.^{١٢}

التثنية ٣٢: ٣٩

في تثنية ٣٢: ٣٩، وهو الاعتبار الأخير من التوراة، نحصل على ملحّة لا عن سيادة الله في الخليقة فقط كما نراها في سفر التكوين ومع موسى في خروج ٤، ولكن هنا أيضاً نرى تعبيراً عن شفقة الله. في كونه يُعَلِّي نفسه بصفته الإله الوحيد، يقول يهوه من خلال ترنيمة موسى هذه، "انظروا الآن! أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أُميت وأُحيي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ". من المقيت للبعض أن إله الكتاب المقدس اليهودي والمسيحي قد يكون شخصاً يجرح وفي سيادته "يبتلي" البعض بإعاقات. ومع ذلك، إذا كانت هناك صلابة من جانب، فهناك راحة عميقة من الجانب الآخر. فهو يعلن نفسه أنه الشافي أيضاً.

سيكون الحال مختلفاً إذا كان يبتلي فقط. مثل هذا الإله الرهيب سيولد الخوف والخضوع بكل تأكيد، ولكن لن يولد الحب والتكريس. سيكون الأمر مروعاً بنفس القدر إذا كان إلهاً يشفي فقط، لأن هذا سيعني أنه لا سيطرة لديه على الآلام التي تهاجمنا. لكن في هذا المقطع المختصر، يبدأ الله في الكشف عن نفسه (وسيستمر بمزيد من الوضوح) باعتباره المصدر النهائي والحل النهائي. لذلك لا يمكننا فقط أن نثق في إله الكتاب المقدس بشكل مطلق، بل يجب علينا أن نثق به وحده. وبالفعل هكذا تبدأ الآية: "انظروا الآن! أنا أنا هو وليس إله معي". هناك عزاء عميق هنا يساعدنا على تحمل قسوة كونه من يجرح، عالِمين إنه هو أيضاً الذي يشفي بعطفه.

¹² Tada, *Diamonds in the Dust*, March 2.

هل تحملُ أثرَ الجروح من يد الله السيادية؟ يمكننا أن نتشجع، أنا وأنت، لأن هذا يعني أننا في يده. وهو وعد بأن لا أحدَ (ورسالة رومية ٨ تتوسع في هذا) يقدر أن يخطفنا من يده. قبضته على من يحبهم قوية، ثابتة، أبدية، ولا تتزعزع. وفي نهاية اليوم، مهما أثبت اليوم صعوبته، فهذا شيءٌ جيد!

الأنبياءُ

نتنقل الآن إلى القسم الثاني من الكتاب المقدس العبري، أي الأنبياء، وهو يحتوي على الأنبياء الأولين (أي، بحسب تصنيفنا، الكتب التاريخية) والأنبياء اللاحقين. من القضاة وحتى الملوك، ولكونهم تاريخاً سردياً، لا يقدمون سوى بضع نقاط يجب أن نأخذها في الاعتبار، وحتى هذه، لم تُستخلص بشكل افتراضي من النص ولكن بمهارة أكبر لكونها خفية في تدفق السرد.

القضاة ٦

أول مثال سردي نعتبره هو جدعون في قضاة ٦. سفر القضاة مليء بدورة متكررة. يُظهر إسرائيل تمرّداً، ونتيجة لذلك يُقمعون، ثم يظهرون التوبة، وأخيراً يرسل الله النجاة من خلال قاض. عندما نأتي إلى قضاة ٦، كان الإسرائيليون قد تمرّدوا بالفعل، لذلك وضعهم الله تحت القمع على يد المديانيين والعماليق، والموصوفين بأنهم يأتون على شعب الله "كالجراد في الكثرة" (قضاة ٦: ١-٥).

عندما ظهر ملاك الله لجدعون بن يواش، كان جدعون يدرس حنطته في الخفاء (في المعصرة) ليختبئ من الظالمين. صرّح الملاك قائلاً، "الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارَ الْبَاسِ" (الآية ١٢). بدلاً من السجود، أو حتى السؤال عما يريد الملاك، كان ردُّ جدعون الأول هو السؤال: "أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، إِذَا كَانَ الرَّبُّ مَعَنَا فَلِمَذَا أَصَابَتْنَا كُلُّ هَذِهِ؟ وَأَيْنَ كُلُّ عَجَائِبِهِ الَّتِي أَخْبَرْنَا بِهَا آبَاؤُنَا قَائِلِينَ: أَلَمْ يُصْعِدْنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ؟ وَالْآنَ قَدْ رَفَضَنَا الرَّبُّ وَجَعَلَنَا فِي كَفٍّ مِذْيَانٍ" (٦: ١٣). ثم من المدهش أن يقول الملاك، "اذهَبْ بِقُوَّتِكَ

هَذِهِ وَخَلَّصَ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِذْيَانٍ. أَمَّا أَرْسَلْتُكَ؟" (الآية ١٤). على الرغم من أن السرد واضحٌ في تعبيره، إلا أنه يُظهر الطبيعة غير المعقولة لأمر الملاك. فإن جدعون من أضعف عشيرة في سبطه وهو الأصغرُ في عائلته (٦: ١٥). إنه حرفياً أصغرُ الضعفاء! يمكنني أن أتخيل أنه عندما قال الملاكُ هذا، بدأ جدعونُ في النظر حوله فقط للتأكد من أن الملاك كان يتحدثُ إليه بالفعل وليس إلى شخصٍ آخر!

مثل موسى سابقاً، كانت إجابة يهوه لجدعون هي في الأساس، "إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ". نبداً في رؤية فط يتطور حيث يختارُ الله عمداً أولئك الضعفاء في نظر العالم للقيام بعمله. لماذا؟ حتى عندما يمنحهم الله النصر، يعرفُ الجميع أن النصر جاء من يهوه وليس من الناس الذين اختارهم بوصفهم وكلاء عنه للنجاة. قال الله الكثير في تثنية ٧. بعدما أمر بني إسرائيل أن يبیدوا تماماً سكان الأرض، يجب الله عن أسئلتهم الواضحة قائلاً، "لَيْسَ مِنْ كُونِكُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، أَلْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لِأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ" (تثنية ٧: ٧). لذا فإن قصة جدعون هي مثال آخر، ليس لإعاقه صريحة، بل لشخصٍ يعاني من ضعفٍ صرح به هو شخصياً ويدعوه الله ليخدم حتى ينال الله المجد في ضعف الإنسان.

هل تشعرُ كما لو أن الله قد دعاك لفعل شيء ما وليس لديك القوة لتفعله؟ ربما يكون قد دعاك ببساطة لتكون شخصاً لست متأكداً من أنه يمكنك أن تكونَ كذلك. نحن نتعلمُ هنا أن هذه هي طريقة التي يعملُ بها الله. في ثقافتنا الغربية ذات الريادة في الأعمال، نرى أن القويَ والجميلَ والموهوبَ هم بالطبع من سيقودون وينجزون المسؤوليات المهمة. وهذا التفكيرُ راسخٌ في الكنيسة أيضاً. لا تدعو الكنائس عادة القادة من الذين لديهم إعاقه في الكلام أو عقدة نقص أو شخص مشلول أو يعاني من جروح عاطفية مستمرة.

لكن هذه ليست طريقة الله. هو يفعلُ الأشياء بعكس حكمة العالم وطرقه تماماً.

القضاة ١٣-١٦

في قصة **شمشون** (قضاة ١٣-١٦) ، نرى الجانب الآخر من العملة لهذا النمط المتطور. في شمشون، كان لإسرائيل بطل. كان يمكنه مواجهة أفضل ما يمكن أن يأتي به الفلسطينيين. ولكن القصة تبين أن شمشون، لكونه واثقاً في قوته الطبيعية، تراجع عن الإخلاص وفي النهاية (على الأقل في نظر العالم) أهدر قوته وإمكاناته.

فقط عندما تعرض للتواضع، والكسر، والعمى (قضاة ١٦: ٢١) استخدمه الله ليدين الفلسطينيين. أحضر الله شمشون إلى مكان بدا فيه للجميع أنه لم يعد يشكل تهديداً، أنه لم يعد قادراً على تحقيق أي شيء. لكن بعد ذلك استخدمه الله، مرة أخرى، ليس لمجد شمشون، بل من أجل مجد الله.

إنه نمط آخر يمكن للمرء أن يراه في الكنيسة: في كثير من الأحيان يرتقي الناس إلى موضع تأثير من خلال موهبتهم الطبيعية، أو قوتهم، أو بلاغتهم، أو جمالهم الجسدي. لكنهم يبدأون، مثل شمشون، في الاعتماد على قوتهم الشخصية بدلاً من الاعتماد على الله. ثم يأتي السقوط، وللأسف، في كثير من الأحيان يكون سقوطاً كبيراً. قد تكون هناك إعاقة، فشل أخلاقي، طلاق، مرض مزمن. وبعد ذلك، في رحمة الله ونعمته، في بعض الأحيان، يُستخدم هؤلاء الأشخاص أنفسهم بطرق أعظم من ذي قبل - في ضعفهم - من الله لمجد الله ولخير شعب الله.

صموئيل الأول ١٦: ١-١٣

يستمر هذا النمط في حدث مسح صموئيل لداود في ١ صموئيل ١٦. بدا أبناء يسي الكثيرون كلهم أقوياء وحماسين لصموئيل، ولكن الله لم يقبلهم. قد حذر النبي قائلاً عن الابن الأكبر ليسي: "لَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لِأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (١٦: ٧). وهكذا كان الحال مع كل أبناء يسي الأقوياء والقادرين: "وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يَخْتَرَهُ الرَّبُّ". أوشكنا أن نسمع السخط في صوت صموئيل عندما سأل يسي إذا

كان هناك أي واحد آخر، بما أن الله قد رفض كل من أحضروا أمامه. يكاد يبدو يسي محرّجاً وهو يقول: "بَقِيَ بَعْدُ الصَّغِيرُ وَهُوَ دَا يَرَعَى الْغَنَمَ". في الشرق الأدنى القديم، لم تكن هذه مجاملة! كان هذا يعني بشكل أساسي أن داود كان الأقل إعتباراً من أبناء يسي، هو جديرٌ فقط بمراعاة الخراف الغبية. لذلك فإن داود، الصبي الراعي الذي لا يستطيع حتى ارتداء درع المحارب ولا يحمل سيف المحارب، أصبح ملك الله المختار، بسبب ضعفه على وجه التحديد.

صموئيل الثاني ٩

في واحدة من أكثر الروايات المؤثرة في الكتاب المقدس، داود، في عزّ قوته (قبيل بداية سقوطه مع بثشبع)، يسعى في شفقةٍ إلى منح الإحسان لأي من تبقى من بيت شاول ويوناثان. الوحيد المتبقي هو رجلٌ اعتبر نفسه على قدم المساواة مع كلبٍ ميت. لكن داود، مؤمناً أنه يخدم هنا بصفته ظلاً للمسيح، يجسّد مسبقاً المسيا الآتي، دعاه إلى مائدة الملك وجعله مثل ابنه شخصياً، هذا الذي رفضه المجتمع لكونه ضعيفاً وعديم الفائدة. لم يجلب مفيبوش شيئاً ليقدمه. لقد كان عالة، وربما حتى إحراجاً، للملك. مع ذلك، لاحظ كيف تنتهي القصة الموجزة. أولاً، يخبرنا النص أنه بعد أن امتدت رحمة داود لهذا الرجل، عاش مفيبوش في أورشليم. ثانياً، ثلاث مرات في الآيات الختامية يقول النص إن مفيبوش أكل على مائدة الملك. أخيراً، تُذكرنا العبارة الأخيرة من السرد أن هذا الرجل أصيب بالشلل في كلتا قدميه.

إليك صورة عن التعاطف مع المحتاج، ورفعة من لا قيمة له، ببساطة بدافع الحب. مفيبوش لم "يتحسن". لم يشف من حالته. ظلّ مكسوراً وضعيفاً. لكن النموذج الذي عرضه داود هو أن شعب الله مدعوون للتماهي مع أولئك الذين يرفضهم العالم، مع أولئك الذين يعتبرهم العالم عالة. (للمزيد حول مفيبوش والإنجيل، انظر الملحق ٢). سزى هذا النموذج مراراً وتكراراً في الأنبياء اللاحقين وفي الأناجيل. لذلك ننتقل إلى آخر الأنبياء اللاحقين.

إشعيا ٣٥: ٣-٦

إشعيا ٣٥: ٣-٦ هو نموذجٌ للكثير من الأحداث في الأنبياء اللاحقين، حيث نرى بوضوح اهتمامَ يهوه بالضعفاء، والمنكسرين، والمحرومين، والمهمشين في المجتمع. متحدثاً عن مجيء خلاص الله يقول النبي: "حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ الْعُمَى، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِرُ الْأَعْرَجُ كَالْإِيلِ وَيَتَرْتَمُ لِسَانُ الْأَخْرَسِ، لِأَنَّهُ قَدْ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْقَفْرِ" (٣٥: ٦-٥).

تعتبرُ جوديث أبرامز مثل هذه الإشارات النبوية للمكفوفين على أنها لاتشير إلى تلقي البصر، بل البصيرة.^{١٣} لكنه يصعب تطبيق هذا المعنى المجازي على بقية الرسالة. إن الطبيعة المنتشرة لمثل هذه الوعود تحدثت ضد التطبيق المجازي البحث. بدلاً من ذلك، وبشكل أكثر فأكثر استمرارية، نشهد شهادة مركزة على الله بصفته مُحِبّاً للمضطهدين، والمنكسرين، والضعفاء. بينما قد يكون هناك تطبيقٌ عرضيٌ لهذا على إسرائيل بصفقتها أمة عمياء، وصمّاء، وعرجاء، وبكماء روحياً، ستستمر الأدلة أيضاً في توجيهنا إلى الله الذي ينظر برحمة إلى الضعيف والمنبوذ وعلى اليتيم والأرملة.

إشعيا ٤٢: ١-٣

في إحدى "ترانيم العبد" المبكرة في إشعيا ٤٢: ١-٣، نرى مرة أخرى عطفَ الله ظاهراً من خلال عبده المختار. سوف يظهر هذا العبدُ رحمة "للقبصة المَرْضُوضَة" - وهي هنا استعارة لكل من الضعيف والمكسور. كتب الفيلسوفُ كيركجارد منذ زمنٍ طويل قائلاً: "فيما يتعلق بالسلطة، فإن حكمَ العالم بصولجان لا يُعَدُّ شيئاً مقارنة بحكمه بقبصة - أي بعجز- إلهية".^{١٤} نرى أيضاً مفهوم العدالة لهؤلاء الجرحى والمكسورين والمهمشين حيث يُقدَّم في هذه المقاطع النبوية.

¹³ See for example, Abrams, *Judaism and Disability*, 76.

¹⁴ Quoted in Marva J. Dawn, *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 63.

إشعياء ٤٥: ٧-٥

في إشعياء ٤٥: ٧-٥، وهو نصٌ صعبٌ تقليديًا، لا يؤكّد الله فقط على إنه يجلبُ "الرخاء" (من نفس أصل كلمة شالوم)، لكنه يخلُق أيضًا "الكارثة" (من نفس الجذر الذي نحصل منه على الكلمة المترجمة بشكل شائع "الشر"). يمكنك القول بنفس السهولة إن "الله يجلب السلام والشر".

هل يزعجك هذا؟ يجب أن يفعل! هذا هو السبب في أن مترجمي الكتاب المقدس ابتعدوا تقليديًا عن الترجمة الأشد قسوة، مع كونها معقولة تمامًا. نحن نعلم أن الله لا يمكن أن يكون مصدر الشر. إذن ماذا سنفعل بهذا؟

يساعدنا إقرارُ إيمانٍ وستمنستر على الإبحار في هذه المياه الصعبة. في فصلين (قضاء الله الأزلي [الفصل ٣] والعناية الإلهية [الفصل ٥])، يقول إقرارُ الإيمان إن الله يأمرُ بأي شيء يحدثُ على الإطلاق- بالمعنى النهائي، أي كل الأشياء. إذا كان يهوه يقولُ بهذه الجرأة: "صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ" (تم ترجمتها في NIV "أنا أجلب الرخاء وأخلق الكارثة"، في ترجمة RSV: "أنا أصنع السراء وأخلق الضراء"، وحتى في NLT الأكثر حيادية: "أنا أرسلُ الأوقاتِ الجيدةَ والأوقاتِ العصيبةَ")، يجب أن يتسبب ذلك في جعلنا نتوقفُ ونحن نفكرُ في حالة هؤلاء الذين يعانون من التشوه والعجز والضعف.

تمشيًا مع تصريحِ الله القوي لموسى (في خروج ٤)، ولكن أكثر وضوحًا واتساعًا هنا، يقولُ الله في الأساس: "لا تبحثُ فيما بعد، المسؤولية تتوقف هنا". لاحقًا في نفس الإصحاح يقولُ يهوه: "لِتَفْتَحُوا إِلَيَّ وَأَخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الْأَرْضِ، لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ" (إشعياء ٤٥: ٢٢). لذا إننا نرى حقيقتين مهمتين هنا: أولاً، أعلن الله بأنه العلة الأولى والنهائية لكل الأشياء؛ لكن ثانيًا، وبنفس القدر من الأهمية، فإن الله هو الرجاء الأخير والوحيد المطلق الذي غمكه في كل الظروف. تلخص جوني تادا هذا الأمرَ جيدًا قائلة:

لا يكاد يوجد تأكيد أقوى لسيطرة الله الكاملة على أحداث العالم من هذه الآيات حيث يقول الرب: "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلُمَةِ، صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ".

عندما يسمحُ اللهُ بشيءٍ ما، فإنه يتصرف عمداً-هو يأمرُ بهذا الحدث. لا يشاهدُ الله فقط الأشياء السيئة تحدث. ما هو عرضيٌّ من وجهة نظرنا يسمحُ به الله على وجه التحديد. يجبُ على من يمسكُ كلَّ الأشياء معاً أن يحافظ على جزيئات الرصاصة نفسها وهي تطير باتجاه علامتها.¹⁵

اشعيا ٦٤: ٨

في إشعيا ٦٤: ٨ (وكذلك في إرميا ١٨) يُصَوِّرُ الله على أنه الفخاريُّ الذي يشكلُ الطين. يقولُ النبي: "وَالآنَ يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُونَا. نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا، وَكَلَّنَا عَمَلُ يَدَيْكَ". هذه استعارةٌ قوية تصوِّرُ اللهَ على أنه الشخصُ الذي يشكلنا، وهي الاستعارة المفضلة لي. منذ أكثر من ثلاثين عاماً في الكلية، درستُ السيراميك في درجة الفنون الجميلة. وأثناء كتابة هذا الكتاب، عرض علي أحدُ الأصدقاء أن أقضيَ وقتاً في ورشة الفخار الخاصة به لكي أعيِدَ الاتصالَ بالطين والتراب والدولاب. فأصبحت الاستعارة جديدة مرة أخرى بالنسبة لي. احتملني وأنا أطورُ هذا قليلاً.

أول وأهمُّ عملٍ لصنع وعاء على الدولاب هو فعلُ وضع الطين في المركز. الطين جماد لا يفكر وليس له نية، ولكن يبدو أنه يقاومُ التمرکزَ على الدولاب.

يجب أن يمارسَ الفخاري الضغط، مما يجبرُ الطينَ على التوجه إلى المركز. يجب أن يتمَّ العملُ على الطين وهو في المركز بحيث تُزَالُ العيوبُ والاختلالات. ولكن بمجرد أن يُوضَعَ الطينُ في المركز فقط، يمكن أن يبدأ الفخاري في تشكيل الطين كما يشاء.

¹⁵ Joni Eareckson Tada and Dave Draveky, eds., *The Encouragement Bible* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2001), 964.

بعد التمرکز، هناك خطوة مهمة أخرى وهي تشكيل قاع الوعاء. يجب أن يكون راسخًا وثابتًا ومستويًا قبل أن يرتفع الوعاء. ثم، بينما يسحب الفخاري الشكل لأعلى، فإن كل القوة هي من الداخل. إذا لم يتشكل الداخل بشكل صحيح، فإن الخارج، مهما كان جذابًا، سيكون ضعيفًا. وبالطبع، في عملية التشكيل، تتصل يد الفخاري بالطين بشكل حميم، ويقبس السماكة، ويشكل الطين ويمارس صنعته.

وتستمر الاستعارة بالطبع. بعد المرحلة الأولية من إلقاء الطين، يجب أن يوضع الوعاء جانبًا حتى يجف ليصبح جاهزًا للقص، وللتزيين بالتصميم الخارجي، ثم وضعه في النار.

بينما يبرز إشعياء ما هو واضح، إننا جميعًا خليفة أبينا السماوي، ينظر إرميا إلى الجانب الأصعب من القضية. في بعض الأحيان يصبح القدر مشوهًا بين يدي الفخاري ويحتاج إلى إعادة تشكيله إلى شكل آخر. لقد طور بولس هذا الأمر أكثر بتعليم صعب للغاية في رومية ٩، سؤالًا استنكاريًا عما إذا كان ممكنًا للفخاري أن يقرر صنع بعض الآنية للاستخدام النبيل، وبعضها للاستخدام الشائع، والبعض الآخر حتى للتدمير.

عندما نجمع كل هذا مع التعليم الواضح للكتاب المقدس أن الله كامل وأن كل ما يفعله، يفعله لمجده، نواجه بحقيقة أن الله يشكل بعض الناس بجمال خارجي، والذين هم، مع ذلك، غير مستقرين وغير متزنين من الداخل. يشكل الله بعض الناس ببساطة، بطريقة غير مزخرفة، "للاستخدام الشائع"، بينما يشكل الله الآخرين ويستخدمهم بشكل أنبل. يجب أن ننحني أمام هذا الامتياز السيادي. إنه يعرف ما يفعله، ومن حقه أن يفعل ما يشاء بخليقته.

فكرة أخيرة حول هذا قبل أن نغضي قدمًا. كلمتنا الإنجليزية *sincere*، والتي تترجم صادق، مشتقة من كلمتين لاتينيتين: *sine cere*، والتي تعني معًا "بدون شمع". يبدو أن بعض الخزافين عديمي الضمير في عصر الكتاب المقدس كانوا يحاولون بيع الفخار المكسور، والأواني غير الكاملة، عن طريق ملء الشقوق بالشمع

والطلاء فوقه لتغطية النقص. جعل هذا الحرفيين الآخرين الأكثر صدقاً يعلنون عن أنيتهم الخزفية على أنها sine cere. ما تراه من الخارج هو انعكاسٌ حقيقي لما هو في الداخل. في الحقيقة، حتى الكلمة اليونانية وراء هذا المصطلح تتفق مع الاستعارة. فهي كلمة يمكن ترجمتها حرفياً "حكمتُ عليها أشعة الشمس". وبالتأكيد، طريقة من الطرق للتأكد من أن الإناء sine cere كانت عن طريق رفعه إلى الأعلى في ضوء الشمس. إذا كانت هناك شقوقٌ مع شمع، ستبرز أشعة الشمس الشقوق الشفافة المليئة بالشمع.

سنرى لاحقاً أن بولس يقولُ إننا جميعاً "آنية من خزف" (راجع ٢ كورنثوس ٣-٤). بعضنا به شقوقٌ أو زياداتٌ أو عيوبٌ تشكلت في بعض الحالات إلهياً وفي حالات أخرى، سُمح بها إلهياً من خلال عمليات التشذيب والتزجيج والحرق. نحن جميعاً عملٌ يدي الله.

إرميا ٩: ٢٣-٢٤

في إرميا ٩: ٢٣-٢٤ يقولُ الربُّ على لسان النبي إن هذه الصفات التي يعتبرها الجنس البشري عادةً جديرة بالثقة والتمجيد (الحكمة والقوة والغنى) لا ينبغي أن تكون موضع افتخارنا. إن معرفة الله وفهمه، هي وحدها أسمى شيء. يستمر الله في قلب نظم الإنسان رأساً على عقب. هذه الزخارف الخارجية التي يبجلها المجتمع بشكل أكبر (وقائمة اليوم يجب أن تشتمل على المظهر بدون شك) يجب تركها لصالح فهم الله. هو الأمن الوحيد.

يطور لاري كراب Larry Crabb هذه الفكرة بطرقٍ عميقة وهامة في كتابه أحلام مهشمة: طريق الله إلى الفرح. يخبرنا أن الله سوف يأخذ أحلامنا- التي تقتصر في الكثير من الأحيان على الأمان، أو المتعة، أو الطمأنينة، أو الراحة - وسيهشمها حتى لا يتبقى لنا شيء سوى الله وحده. يقول في مقدمة كتابه: "من خلال ألم تحطيم الأحلام الأقل، نستيقظ

مدركين أننا نريد لقاءً مع الله أكثر مما نريد بركات الحياة. وهذا يحدث ثورة في حياتنا".^{١٦}
نرسم في الكنيسة كثيرًا بأن أعلى شيء هو معرفة الله. لكن في كثيرٍ من الأحيان نقول هذا
بشفاهنا، ونعيش كما لو أننا لا نعتمدُ عليه بل على أنفسنا وكل وسائل راحتنا الأرضية.

مفهوم "المعرفة" في العبرية واسعٌ ومثيرٌ للاهتمام. هو يعني ضمناً أكثرَ جدًّا من
استيعاب البيانات المجردة. هو يصفُ أيضًا عمقَ ونضجَ العلاقات الإنسانية (يُستخدم
لوصف الحميمة بين رجل وامرأة). تتضمن هذه "المعرفة" البصيرة في الخبرة
والاختيارات الأخلاقية للرعاية الباذلة غير الأنانية للمقهورين.^{١٧} ولكن أسمى معرفة
ليست للإنسان ولا لغاياته الخاصة، بل معرفة الله، وطبيعته، وشخصيته.

ميخا ٤: ٦-٧

ميخا ٤: ٦-٧ هو مثالٌ من أمثلة كثيرة من الأنبياء الصغار حيث يعدُّ الله بجمع
ومباركة المكسورين والضعفاء، المهمشين، والمرفوضين. نرى أنه هنا يُقدَّم عنصرٌ مضافٌ
وهو أن الله ليسَ مصدرَ الانكسار الجسدي فقط بل الجرح العاطفي أيضًا. يقول الربُّ
بالنبي إنه سيجمعُ لا الأعرجَ فقط بل أيضًا "الَّتِي أَضْرَرْتُ (أنا) بِهَا" (في ترجمة NIV،
"أولئك الذين أحزنتهم")، الجرحى عاطفيًا، أولئك الذين يعيشون مع كسر في الداخل،
قد يكون غير مرئي، لكنه لا يزال عميقًا وحقيقيًا. هنا يعدُّ الله أن يجمعَ هؤلاء العرجَ
والجرحى، ويصنع منهم بقيةً ويحكم عليهم إلى الأبد.

من غير الله سيختار الذين يرفضهم العالمُ ليكونوا رعايا مملكته الأبدية؟ هل أنت
ضمن هذه الفئة؟ هذه مجموعة من الأشخاص لن يتطوعَ أحدٌ في مجتمعنا المزدهر
والمرحٍ للانضمام إليها، ولكن هذه مجموعة مباركة بتصميم الله السري. ومرة أخرى،

¹⁶ Larry Crabb, *Shattered Dreams: God's Pathway to Joy* (Colorado Springs, CO: Waterbrook, 2001), 4.

¹⁷ For much more on this, see Abrams, *Judaism and Disability*, 130–39.

بغض النظر عن ظروفك، في نهاية المطاف، هذا حقٌ مطمئنٌ للغاية ويجب تذكره والتمسك به بأكبر قدر ممكن وكأنك يائس.

صفنيا ٣: ١٩-٢٠

أخيرًا، في صفنيا ٣: ١٩-٢٠ نرى البعدَ الإضافي للضعيف والمكسور الذي يُنقذ ويُستعاد. وعدُّ الله في هذا المقطع الختامي من صفنيا أن يحضرَ العرج والمشتتين إلى البيت من كل مكانٍ تعرضوا فيه للخراب. إلى جانب ذلك، فإنه سوف يعطي هؤلاء المنبوذين الشرف والتسبيح بين جميع شعوب الأرض. يظهر هنا أن الله له قلبٌ يميلُ بشدة نحو المكسور.

كما نرى العديدَ من التحذيرات في أسفار الأنبياء الأقصر هذه (على سبيل المثال، عاموس ٥: ١٢-١٣) ضد ظلم الفقراء والمحتاجين. كان الأنبياء يدعون إسرائيل للبعد عن المكسب الأناني على حساب المكسورين والمحتاجين ليصبخوا أهل العطف والرحمة، وبهذه الطريقة، يصبحون أناسا يعكسون إلههم بأكثر أمانة.

الكتاباتُ

في هذا القسم الأخير لأسفار العهد القديم، نقومُ بمسح موادٍ من الشعر والحكمة وآداب متنوعة أخرى. تمامًا كما علّم الأنبياءُ في سردٍ غير افتراضي وحوارٍ نبوي، كذلك في الكتابات نستقي البصيرة من قلب الشعراء العاطفيين، الذين قدموا فهمهم بأسلوبٍ تعاطفيٍّ وشعريٍّ.

مزمور ٨:

يبدأ مزمور ٨، وهو مزمورٌ شهيرٌ لداود، وينتهي بتأكيد مماثل عن عظمة اسم يهوه على الخليفة. ومع ذلك، فبين جلدي الكتاب هذه التي تؤكد على الحق الأساسي حول سيادة الله، يتحول التركيزُ على البشرية. فيُعبّر عن دهشة كل من يدرك أن هناك إلهًا يهتم بنا، يبدو أن داود لا يصدق أنه مع كل عجائب الخليفة، ينتبه الله لنا على الإطلاق. فوق ذلك، قيل لنا بإيجاز إن الله لا ينتبه لنا فحسب، بل إنه يجعل الإنسان على قمة

الخلیقة أيضًا، تحت الله مباشرة، متوجًا (بطريقة ما) بالمجد والكرامة ومعطى له التسلط على الخلیقة.

المهم بالنسبة لنا في هذه المرحلة هو الطبيعة العالمية لهذه الحقائق المختصة بالإنسان. يُتَوَجَّحُ كُلُّ الناس بالمجد. يمتلك كُلُّ البشر الكرامة. لكن هذه الكرامة ليست بالضرورة متأصلة فينا بقدر ما أنعم الله بها علينا. الله هو العنصرُ العاملُ عبرَ المزمور: هو صنعنا، وتَوَجَّجنا، ووضعنا بصفتنا حُكَّامًا. ويبدو إنه ليس متحيزًا. من هذا المزمور يمكننا أن نستنتج أن جميع البشر يستثمر بهم الله بنفس القدر بكرامة وبالتالي بقيمة.

مزمور ٢٠: ٧

بعد أن قدَّم تسعة تضرعاتٍ أن يمنحَ الله البركاتِ المتنوعة للقارئ، يؤكد داودُ أن يهوهَ يخلِّصُ من هم له. ولكن بعد ذلك، كما هو شائعٌ في هذا الأدب، يعطي داودُ العكس. "هَؤُلَاءِ بِالْمَرْكَبَاتِ [التكنولوجيا الدنيوية] وَهَؤُلَاءِ بِالْخَيْلِ [القوة الغاشمة الطبيعية]، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمُ الرَّبِّ إِلَهِنَا نَذْكُرُ". مرة أخرى، على الرغم من عدم وجود إشارة مباشرة للإعاقة، أو الضعف، أو الانكسار، إلا أن الحق المبهم موجود، والقائل: لا تثقوا بتلك القوى التي من العالم بل ثقوا باسم الله القدوس الفائق للوصف فقط. نرى نسخًا متنوعة من هذا الحق في أماكن أخرى في مقاطع مثل مزمور ١٤٧: ١٠-١١: "لَا يُسَرُّ بِقُوَّةِ الْخَيْلِ. لَا يَرْضَى بِسَاقِي الرَّجْلِ. يَرْضَى الرَّبُّ بِأَتْقِيَائِهِ، بِالرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ".

"رحمة الله" هنا هي الكلمة العبرية ذات الأهمية الكبيرة *hesed* (חסד) ويمكن ترجمتها بطرقٍ مختلفة ("محبة ولطف"، "الرحمة"، "الولاء للعهد"، وأمور أخرى). كما القداسة محورية لماهية الله، كذلك، فهذه الكلمة *hesed* محورية لكيفية محبة الله لخاصته. وكما سبق وأن رأينا، فإن إخلاصه للعهد الوفي، والرحيم ليس بناءً على ما نقوم به أو مدى قوتنا. انه لا يستندُ على ظروفنا. بل بالأحرى، يقوم فقط على رحمته السيادية وقراره الأزلي بالمحبة.

مزمو ر ١٠٣: ١٣- ١٤

مثل المزمور ٨، فإن ترنيمة إسرائيل المحببة هذه لها ختامٌ في عبارة "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ". ثم ينطلق كاتب المزمور في قائمة تضم حوالي اثنتي عشرة "ميزة" نالها من يهوه. بعد هذه القائمة، وبعد أن سمع عن عظمة الإنسان، يذكرنا داودُ بحقيقتين جميلتين وأساسيتين، هما: أولاً أن الله يحب الذين يخافونه. وثانياً أن الله يعرف جبلتنا ويذكر أننا ترابٌ نحن. نتذكر أن جبلتنا الأرضية هشةٌ ووقتيّة. كزهر الحقل وعشبه نزهة لفترة وجيزة ثم نختفي من هذا العالم المنظور. الحق في هذه الاغنية يثبت بشكل أكبر النقطة السابقة القائلة بأننا لا يجب أن نثق بقوتنا الخاصة- فسوف تتلاشى منا بسرعة وتختفي.

أيوب ٢: ٦- ١٠

إن الطبيعة الشعرية لسفر أيوب مُعقدة وعميقة، وبالتأكيد لا يمكن مناقشتها في كتابٍ مثل هذا. ومع ذلك، في الرواية المبكرة في أيوب ٢: ٦- ١٠ حصلنا على تأكيد آخر مشابه لما جاء ذكره سابقاً في إشعيا ٤٥: الله منخرط بشكلٍ حميمٍ في الآلام والضعف الجسدي لهذه الحياة، بل إنه المصدرُ المطلق لها.

يحدّد الله معايير المحنة التي تسبّب فيها الشيطان لأيوب، أمراً فقط بحفظ حياة الرجل. بعد أن تألم أيوب من هامة الرأس إلى إخمص قدميه ودعته زوجته أن يلعن الله ويموت، كان ردّه سؤالاً استنكارياً قائلاً: "أَلْخَيْرَ [الكلمة المستخدمة هنا ليست شالوم بل الكلمة العبرية العامة توف] نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالشَّرُّ لَا نَقْبَلُ؟" مرة أخرى، كما هو الحال في سفر الخروج وإشعيا، يُعلن أن الله هو معطي البلاء الجسدي والضعف.

لا أحد يريد أن يتماهى مع أيوب. في الواقع، يُعتبر تجديفاً تقريباً في بعض الدوائر الكنسية أن تقول الأشياء التي قالها أيوب (وقالتها نعمي في سفر راعوث) عن الله. لكن هل ترى شيئاً جديداً ومهماً الآن؟ إن الله ينسج نسيجاً واسعاً عبر الكتاب المقدس حيث يصور نفسه على أنه الشخصُ صاحبُ السيادة بشكلٍ مبهر، والذي يوزع كلا من

الازدهار والمتاعب (بطريقة ما). هذا أمرٌ بالغُ الأهمية لنا إذا أردنا أن نفهمَ إختبارنا للانكسار والإعاقة.

قامت جوني تادا برسم صورتها بالكلمات في هذه النقطة عندما كتبت:
يرسُمُ الفنانُ حتى يرى الناس.

أنت تشترك في الجمال، وترقي بالخيال، وتلهم وتتحدى الحواس - وتسعى إلى القيام بكل ذلك دون أن تكون صارخًا أو واضحًا. سيسمح الفنانُ الجيدُ للمشاهد باكتشافِ الحق بنفسه.

أفكر في لوحة رسمتها لحصان. كانت هناك أجزاءٌ في ذلك الحصان ظننتُ أنها جذابة بشكلٍ خاص-أجزاء أردتُ أن يلاحظها المشاهد بصفتي فنانة، قلتُ لنفسي: كيف يمكنني جعلُ المشاهد ينظرُ إلى هذه الأماكن دون أن أكونَ واضحةً؟

لاحظتُ أن كساء الحصان كان ذا لون ذهبي دافئ. ما هو اللونُ المعاكسُ للذهبي؟ البنفسجي- تباين بارد وقاتم مع كساء الحصان.... بينما كنتُ أعملُ على رقبة الحصان، قمتُ بإضافة القليل من البنفسجي إلى جانب الذهبي. هذه الألوان، الخفية والغامضة، عند وضعها جنبًا إلى جنب، تجذبُ الانتباه. من الناحية الفنية، نجحتُ في محاولة جعل المشاهد يرى ما أريدُه أن يراه.

اللهُ فنانٌ ماهرٌ أيضًا. وهناك جوانبٌ من حياتك وشخصيتك-أشياء جيدة وذات جودة - يريد أن يلاحظها الآخرون. لذلك بدون استخدام الحيل الصارخة أو الحيل الواضحة، يجلبُ اللهُ التباينَ البارد والقاتم للمعانة في حياتك. هذا التباينُ، الذي يوضع في مقابل الطابع الذهبي للمسيح في داخلك، سوف يلفتُ الانتباه... له.

النور في مقابل الظلام. الجمال في مقابل البلاء. الفرح في مقابل الحزن. الروحُ الرقيقة الصبورة في مقابل الأمل وخيبة الأمل- إنها تبايناتٌ كبيرة تجذبُ الانتباه.

سوف ينجذبُ الناسُ إليك- دونَ أن يفهموا السبب. هم يرون، فعلياً، ما يريدُ رئيس الفنانين منهم أن يلاحظوه، أي: المسيحَ فيك، بارزا في مقابل الأُم القاتم. أنت القماشُ الذي يرسمُ عليه الحقائقُ المجيدة، ويشتركُ في الجمال، ويلهمُ الآخرين. حتى يراه الناس.^{١٨}

سفر راعوث

في قصةِ راعوثِ القصيرةِ والمؤثرة، نتذكر شجاعته وإيمانها جيِّداً. ولكن بنفسِ القدر من الأهمية، والأمر الذي يتم تجاهله غالباً، هو إيمانُ نعمي. في بضع آياتِ قصيرة فقط مع افتتاح السفر، سقطتُ منها الأرضُ التي تقفُ عليها في الحياة ومعها توقعاتها لأمل في المستقبل. لكن لاحظ ردّها الصادقَ الصريح (وكما نتعلم، فهو دقيقٌ لاهوتياً!) عندما عادتْ مكسورة إلى بيت لحم: "الْقَدِيرَ قَدْ أَمَرَنِي جِدًّا. إِنِّي ذَهَبْتُ مُمْتَلِئَةً وَأَرْجَعَنِي الرَّبُّ فَارِغَةً. لِمَآذَا تَدْعُونَنِي نُعْمِي، وَالرَّبُّ قَدْ أَذَلَّنِي وَالْقَدِيرُ قَدْ كَسَرَنِي؟" (راعوث ١: ٢٠-٢١).

هذه امرأة استطاعت، في أدنى مكان في تجربتها، أن تقول إن اللهَ متحكِّمٌ في الأمور. هذا أمرٌ صعبٌ للغاية، لكننا نتذكرُ المحادثة التي أجراها يسوعُ مع تلاميذه بعدما بدأ الناسُ يهجرونه. حيث سأل أتباعه، قائلًا: "«أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟» فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بَطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»" (يوحنا ٦: ٦٧-٦٩).

ربما كنتُ في مكانٍ مادتُ فيه الأرضُ من تحت رجلِك، عندما بدا اللهُ صامتًا، عندما بدا أن الوعود قد تلاشتُ إلى يأس. في مثل هذه الأوقات يجبُ أن نكون قادرين على القول، كما قالت نعمي، "هذا أيضًا من يد الله. لا يمكنني الذهابُ إلى أي مكانٍ آخر".

¹⁸ Joni Eareckson Tada, *Glorious Intruder: God's Presence in Life's Chaos* (Portland, OR: Multnomah, 1990), 158–59.

الجامعة ٧: ١٣-١٤

على غرار مقطع أيوب ٢ السابق ومقطع إشعياء ٤٥، تنسب جامعة ٧: ١٣-١٤ الفضل إلى الله أولاً باعتباره الشخص الذي صنع شيئاً أعوجاً، وهو الذي جعل "يوم الخير" و"يوم الشر". مرة أخرى، في هذا الجزء من الدراسة، بينما نجري مسحاً للنصوص الكتابية، يجب أن نترك الأسئلة التي يجب طرحها لوقتٍ لاحق. مثل: إذا جعلها الله معوجة فهل نسعى لتقويمها؟ وهل يجب علينا تصنيف الأشياء على أنها سيئة أو مشوهة أو غير طبيعية التي اختار الله، في مشيئته المطلقة، أن تكون بهذه الطريقة عينها؟

لن تختفي هذه الأسئلة ولكن سيتم تناولها لاحقاً.

مراثي ارميا ٣: ٣٨

أخيراً، في فقرة موازية أخرى من الأسفار الكتابية العبرانية، المراثي ٣: ٣٨، نرى النبي يسأل، وأقولها ثانية، أو من أنه يتكلم بوضوح بطريقة مجازية قائلاً: "مِنْ فَمِ الْعَلِيِّ أَلَا تَخْرُجُ الشُّرُورُ وَالْخَيْرُ؟" (الكلمات العبرية المستخدمة هنا هي نفس الكلمتين المستخدمتين في أيوب ٢).

نرى غمطاً يتشكل بوضوح أكثر فأكثر والذي يضع المسؤولية مباشرة على الله، مدرّكاً ومعتزلاً باستمرار بسيطرته السيادية على الأمور الجسدية الصعبة والتي تسبب الإعاقة والضعف في الحياة. من ناحية، مثل هذا التعليم القائل إن الله مرتبط بهذه الدرجة بالألم قد تسبب الكوابيس للبعض. لكن بالنسبة للآخرين، هناك مصدرٌ عميق للراحة في مثل هذه المعرفة.

مرة أخرى، هنا علقْتُ جوني تادا على هذه الآية قائلة:

يوضح الكتاب المقدس شيئين بوضوح تام: من ناحية، يتحكم الله بشكل سيادي حتى في أفعال الشيطان. من ناحية أخرى، ليس الله خاطئاً بأي حال من الأحوال ولا هو

خالقُ الخطية. عندما يقدمُ لنا الكتابُ المقدسُ حقيقتين مثل هاتين اللتين تبدوان متعارضتين، كيف يجبُ علينا التعاملُ معهما؟ كيف يمكننا أن نلاهما معاً؟

الطريقُ الأسهلُ هو إنكارُ جانبٍ أو آخر، وفي هذه الحالة، يعني هذا عادة إنكار سيادة الله. لكن هذا خطأ. ما يجب علينا فعله هو التأكدُ أولاً من أن كلتا الحقيقتين هما ما يُعلم بهما الكتابُ المقدس حقاً. بمجرد أن نتأكد من ذلك، يجب أن نحني منطقتنا بتواضع لسلطة كلمة الله، ونقبل كلتا الحقيقتين بالإيمان.^{١٩}

كتب تيموثي سافاج Timothy Savage قائلاً، "إنه أمرٌ بديهيٌّ في العهد القديم أن الله يسكن "مَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ" (إشعياء ٥٧: ١٥)، ينظر "إِلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ" (٢: ٦٦) وأنه "قَرِيبٌ .. مِنَ الْمُنْكَسِرِ الْقُلُوبِ" (مز ٣٤: ١٨). فحيث يوجد إذلال هناك أيضاً توجد قوة الله.^{٢٠} هذا الحق المعزي يُطوّر بشكل أكثر اكتمالاً ووضوحاً في أسفار العهد الجديد. لذلك دعونا ننقل إلى تعاليم العهد الجديد عن الضعف، والانكسار، والإعاقَة.

¹⁹ Tada, *Diamonds in the Dust*, April 30.

²⁰ Timothy Savage, *Power through Weakness: Paul's Understanding of the Christian Ministry in 2 Corinthians*, Society for New Testament Studies Monograph Series 86 (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), 167

الفصلُ الثاني

صوتُ المسيح

ما تعلّمه الأناجيلُ عن الإعاقة

عندما كانت جيسيكا في السادسة عشرة من عمرها، كادت أن تموت. لسببٍ غامضٍ أيًا كان، بدأ جهازها الهضمي في الانغلاق. بينما توقفت عن هضم الطعام، بدأت في الهدر. حاول الأطباء حلولًا مختلفة دون جدوى، وتوصلنا إلى نقطة عندما قالوا: "لقد فعلنا كل ما في وسعنا. إذا لم يبدأ نظامها الهضمي في العمل قريبًا، ستموت". كنا نعلم أنها هشة وأن الطبَّ فعل كل ما في وسعه. صلينا وطلبنا من الله أن يشفيها أو أن يأخذها إلى بيتها الأبدي. في الواقع، ساء الأمرُ جدًّا لدرجة أن الأصدقاء جاءوا إلى المستشفى، وأخيرًا جاء إخوتها وأخواتها أيضًا ليوودعوها. وانتظرنا.

لقد اسلمناها إلى يدِ رحمةِ الرب وقبلنا أن رحلتها الأرضية كانت على وشك الإنتهاء. ثم فاجأنا الله. بعدما تأقلمنا مع الفكرة، حتى أننا كنا ننتظر بطريقةٍ ما أن تخلع جيسيكا الخيمة الأرضية هذه التي هي جسدها، رجعتُ من عند الحافة. رجع جسدها وبدأ بالعمل مرة أخرى!

لقد كان وقتًا غريبًا لأنه بينما كان أصدقائنا يمجدون الله (وبحق!) أنه أنقذها من الموت، كنت أنا وماري نمرُّ بمشاعرٍ متضاربة. كنا "مستعدين" لها أن تكون مع المسيح، لكنها الآن أصبحت معنا مرة أخرى. توصلنا إلى رؤية أن تعبيرَ بولس عن الإيمان في فيلبي ١ ينطبق على جيسيكا أيضًا. على الرغم من رغبته في أن يكون مع المسيح، إلا أن الله اعتبره أكثرَ ضرورةً أن يبقى في الجسد من أجل الآخرين. أدركنا أن خدمة جيسيكا، وجودها بيننا، كان لا يزال ضروريًا في نظر الله. لقد فاجأنا الله.

نادرًا ما يفعلُ الله الأشياءَ بالطريقة التي نتوقعها. هذا أحدُ الموضوعات الواسعة والدقيقة في العهد القديم. و يصحُّ الأمرُ ذاته تمامًا عندما نبدأ في التفكير فيما يقوله العهدُ الجديدُ عن الإعاقة والانكسار.

في الفصل السابق، نظرنا إلى العهد القديم وفقًا لأقسامه اليهودية التقليدية الثلاثة. يمكن النظر للعهد الجديد أيضًا في ثلاثة أجزاء وفقًا للتقليد المسيحي: أولًا، الأناجيل. ثانيًا، أعمال الرسل ورسائل بولس. وأخيرًا، كتابات العهد الجديد الأخيرة للرسائل العامة

ورؤيا يوحنا. كما هو الحال مع أسفار العهد القديم، فإن المبادئ مستمدة بالضرورة من الأدب السردى ومشتقة بأكثر وضوح من الأدب الافتراضي مثل الرسائل. وكما هو الحال في السابق، كذلك أيضًا سنجد العهد الجديد مليئًا بالإشارات المباشرة وغير المباشرة لأولئك الذين يعيشون حياة مُحطَّمة ومُعاقبة. لا ينبغي أن يفاجئنا هذا؛ لأن الله الذي له عاطفة شديدة تجاه الأرملة واليتيم والمكسور في العهد القديم هو إله لا يتغير.

الأناجيلُ

في سجل خدمة يسوع في الأناجيل الأربعة، نرى في المُخَلَّص تركيزًا مذهلاً على الخدمة بين الصُّم، والبكم، والعرج، والمكفوفين، والمجتمع الأوسع الذي يمثلونه. تتداخل الأناجيلُ الثلاثة الأولى في الكثير من موادها السردية. لذا تسمى الأناجيل المتفتقة (فهي "ترى" من نفس المنظور). يُبرز مؤلفوها وجماهيرها المختلفة الاختلافات الطفيفة في نصوصها. متى، على سبيل المثال، يكتب للمؤمنين في فلسطين، لذا، فإن نسيج نهجه وتركيزه "يهودي" تمامًا. تُكتب التقاليد والمصطلحات اليهودية غير مفسرة لأنه يفترض أن القراء سيفهمون. مرقس، من ناحية أخرى، يُفهم أنه السجل المكتوب لرواية بطرس للكنيسة الرومانية وهو بالتالي يركز بشكلٍ أقل على التقاليد اليهودية وبشكلٍ أكبر على العمل. لم يكن المسيحيون الرومان مهتمين بالسرد المطول بهذا المقدار. أخيرًا، كتب لوقا السردَ الأكثر اكتمالاً وعمومية، والمقصود وصوله إلى جمهور يوناني وأممى بشكل كبير. الإنجيل الرابع، الذي كتبه يوحنا بعد ذلك بوقت طويل (يُعتبر تقليديًا الرسول الأصغر)، يشترك في أقل من ١٠ في المائة من محتواه مع الآخرين. ستركز دراستنا على مقاطع مختارة من سرد إنجيل لوقا الشامل بالإضافة إلى بعض المقاطع الرئيسية من إنجيل يوحنا.

لوقا ٥: ١٢-١٣

على الرغم من أن الرب يسوع، قبل لوقا ٥: ١٢-١٣، قد شفى بالفعل الكثير من الأمراض وطرد العديد من الشياطين، إلا أن قصة شفاء الأبرص هي المقابلة الأولى مع شخص من الواضح أنه يقع ضمن دائرة تصنيفنا للمعوقين والمنكسرين والضعفاء. أعترف

أن من بهم شياطين كانوا معاقين ومهمشين بالمعنى الحقيقي جدًا للكلمة، وقد يصف الكثيرون مثل هذه الحالات على أنها انكسارٌ عقليٌّ وعاطفي. إلا أنه، من أجل أغراضنا هنا، فإنني أعتبر مثل هذه الحالات الشيطانية في الأساس حربًا روحية وتتجاوز نطاق هذا النقاش الأكثر محدودة.

لاحظ كلٌّ من كُتّاب الأناجيل المتفقة الثلاثة أنه بعد تضرع الأبرص للشفاء (لوقا ٥: ١٢)، حتى قبل أن يتكلم الرب يسوع، مد يده ولمس الرجل. أعتقد أيضًا أنه من المهم أن أشير هنا إلى أن مرقس (مرة أخرى، وفقًا للشهادة بالإجماع من آباء الكنيسة، واصفًا ملاحظة بطرس عن كُتب يسوع) يكتب قائلاً: "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ" (مرقس ١: ٤١).

اللمسة كانت غير لازمة للشفاء الجسدي-في الواقع شفى يسوع أحيانًا من مسافة بعيدة. لكن هذا العمل الذي يبدو غير مهم هو أمرٌ بالغ الأهمية. فكر في هذا الأمر لحظة فقط. إذا كان هذا الرجل قد عاش بالبرص لأي مقدار من الوقت (وكان من الممكن أن يكون سنوات)، فقد عاش بدون اللمسة الرقيقة لإنسان آخر. يمكن أن تكون الوحدة أكثر جدًّا من مجرد أمر عاطفي. في القرن الأول (وفيما يختص بهذه المسألة، عبر الكثير من تاريخ البشرية في كل مكان)، يعاني المصابون بالبرص من الشعور بالوحدة الجسدية. يبدو أن المسافة بينهم وبين البشر الآخرين تمثل مقدار الرفض. لكن هنا في لوقا ٥، تحنن أقنوم الابن على هذا الرجل المرفوض، ذي الجسد المكسور، فقدم إليه الشفاء العاطفي أولاً من خلال اللمسة التي تبعها الشفاء الجسدي بقوته الإلهية.

ستوارت جوفيك Stuart Govig، في كتابه الجيد قوي في أماكن الإنكسار: أشخاص ذوو إعاقات والكنيسة كتب قائلاً:

أكدت فكرة الجلد باعتباره "حدًا" أيضًا على اللوائح الغذائية "الطاهرة" و"النجاسة" التي واجهها المعلم. بينما كان الفريسيون مشغولين بالأيدي (غير مغسولة، نجسة) وبالفم (الأكل)، أضاف يسوع بعدًا جديدًا، أي القلب.

هذا العضو الحيوي مع كونه غير مرئي لا يقل أهمية عن العضو الأكثر وضوحًا (الجلد)، لأن المواقف الشخصية والنوايا ضرورية لقبول الإنجيل.²¹

هذه المناسبة الأولى من المناسبات التي لا تُعد ولا تُحصى حيث تعمّد الرب يسوع عبورَ الحدود الاجتماعية وحتى الدينية من أجل لقاء مع المكسور والمرفوض. وبذلك، لم يقدم لهم يسوع رجاء الخلاص الوجودي من خلال الاسترداد الجسدي فقط، لكنه لمس القلوب والأرواح أيضًا بتطعيم مثل هؤلاء الناس في جماعة العهد لشعب الله.

كم نتوق، هذا القدر منا، أن نشعر بمثل هذه اللمسة من المخلص. نحن نفكر في أنفسنا، "ياه، لو كان بإمكانني أن أكون هناك فقط لأتلقى تلك اللمسة". أو "ياه، إن كان بإمكان يسوع أن يأتي الآن، هنا، اليوم، ويدخل إلى حفرة اليأس الخاصة بي ويمس روحي، عندها سأشفى". يتمنى كل المكسورين مثل هذا اللقاء الإلهي والحقيقي. لكن تذكر كلمات الرب يسوع بعد قيامته عندما طلب توما أن يلمس جروح المخلص القائم من الأموات. قال يسوع: "لأنك رأيتني (وأعتقد أنه يمكننا أن نضيف "لمستني") يا توما آمنْتَ! طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يوحنا ٢٠: ٢٩).

نقع كثيرًا في فخ تمنى أشياء نعرف أنه لا يمكننا الحصول عليها - مثل لمسة شخصية جسدية من الرب يسوع. لقد أعطانا الله عطية عظيمة بوعد حضوره بروحه القدوس. وحتى عندما لا نشعر بهذا الحضور أو بتلك القوة، حتى عندما يبدو الله صامتًا وبعيدًا، لا يستجيب لصرخنا، يذكرنا الكتاب المقدس أنه يسمع وأنه أقرب إلينا مما يمكن أن نعرف.

درس من جغرافيا الكتاب المقدس (استفاضة قصيرة)

²¹ Stuart D. Govig, *Strong at the Broken Places: Persons with Disabilities and the Church* (Louisville, KY: Westminster, 1989), 38. Emphasis in the original.

اسمحوا لي أن ارتحلَ عن مقاطع العهد الجديد هذه للحظة للتأمل في درسٍ كبير يختص بصمتِ الله عندما نرغبُ في حضور الله. يمكننا استخلاصُ هذا الدرس من جغرافيا أرض الكتاب المقدس ومناخها.

فكرُ في أرض الكتاب المقدس على أنها مُقسمة إلى أربعة أرباع بمحاور أفقية ورأسية تمرُّ عبرَ أورشليم في المركز. يمتدُّ المحورُ الرأسي شمالاً وجنوباً على طول الحافة الوسطى في الأرض. في غرب هذا المحور الرأسي، تميلُ الأرضُ إلى تلقي المطر، في حين أن الجانبَ الشرقي من هذا الخط الوهمي يميلُ إلى أن يكون جافاً جداً (هذا سبب وجود البحر الميت والصحاري المحيطة). تمنع سلسلة التلال المركزية كلَّ الرطوبة تقريباً التي تنجرُف من البحر المتوسط.

بنفس الطريقة تميلُ الأرضُ الواقعة شمالَ الخط الأفقي لتلقي المزيد من الأمطار، بينما تميلُ الأرضُ جنوبَ هذا الخط الوسطي الخيالي إلى أن تكونَ جافة (وهذا سبب وجود صحراء النقب في الجنوب). لذا فإن النتيجة هي أن الربعَ الموجودَ في الجزء العلوي الأيسر يتلقى أكبرَ قدرٍ من الأمطار، بينما لا يتلقى الربعُ العكسي الموجود في الجزء السفلي إلى اليمين أيَ مطر على الإطلاق تقريباً.

وإليكُم الدرس: الربعُ الأكثرُ خصوبة في الجزء الشمالي الغربي من أراضي الكتاب المقدس - أي وادي يزرعيل والمنطقة المجاورة - كان موقعَ أسوأ ارتداد، وعدم أمانة، ورفض لله من أي مكانٍ في الأرض. حيث كانت الظروفُ أحسنَ وأريح، مال الناس لنسيان الله، وللإبتعاد عن الله، بل وحتى رفضه صراحة. وفي المقابل، فإن الربعَ العكسي - الجزء القاحل، والجاف، والمُعادي، والمهجور من الأرض - هو المكانُ الذي التقى فيه الله بالناس في عزلة أرواحهم الهادئة.

هذا استعارة قوية بالنسبة لنا. عندما تكونُ ظروفُ الحياة مريحة، على الأرجح ننجرف بعيداً عن الله. نحن في خطر الاعتقاد بأنه يمكننا أن نشعر بالاكتماء الذاتي، ويصبح الإيمان بالله مجرد ممارسة عقلية. ولكن عندما نجد أنفسنا في عزلة الوحدة

والألم، والشك والهجر، والحرمان واليأس، هناك يقابلنا الله-حتى عندما لا نسمع صوته. هذه هي الطريقة التي يعمل بها الله. ومرة أخرى، هذه ليست الطريقة التي نتوقع من الأمور أن تسير بموجبها على الإطلاق.

لكن دعونا نعود إلى إنجيل لوقا.

لوقا ١٧: ٢٦

بعد شفاء الرجل الأبرص مباشرة، لدينا سرُّ لشفاء رجل مشلول في لوقا ١٧: ٢٦. وصف مقدار إعاقته غير كامل، ولكن من الآمن أن نقول إن إصابته كانت على الأقل الشلل النصفي (من الممكن أن نشك أنه شلل رباعي، حيث أن الدعم الطبي اللازم لمثل هذه الحالات كان لا يزال على بعد قرون). ربما تكون حالته حالة شلل دماغي أكثر تعقيداً أيضاً، والذي جعل الرجل غير قادرٍ على المشي. على أية حال، وبأسلوبٍ دراماتيكي لا يُنسى، فتح أربعة رجالٍ يائسين فتحة لجعل صديقهم يمثل أمام الرب يسوع، وأنزلوا صديقهم من السقف.

فكر في هذا! كان الحشد هائلاً، وكان هؤلاء الأصدقاء يحملون صديقهم على نقالةٍ ما، ولم يكن هناك طريقٌ للدخول عبر الحشد. لكن من الواضح أن هؤلاء الأصدقاء كانوا مقتنعين بأنهم إذا تمكنوا من إيصال صديقهم أمام الرب يسوع، فستحدث الأمور الرائعة. لذلك قاموا بإجراءٍ عنيفة. اعتقد أنه من الرائع أن بعض الخدمات تبنت عبارة "عبر السقف" اسماً لها أو لبرنامجها. تقول هاتان الكلمتان القصيرتان إن هؤلاء أشخاص يؤمنون بشدة بقوة المسيح، كما أنهم يهتمون أيضاً بما يكفي بأصدقائهم المحطمين والمُعاقين لفعل كل ما هو ضروريٌ للمجيء بهم إلى حضرة السيد المسيح. يا لها من صورة رائعة.

يشير النص إلى أنه عندما رأى يسوع إيمانهم-هنا، على ما يبدو، إشارة إلى إيمان الاصدقاء الاربعة وليس إيمان الرجل الملقى أمامه- نطق الرب يسوع بالغفران للرجل المشلول.

على الرغم من أن النص يخبرنا ببساطة عن الحدث بطريقة مكبوحه، إلا أن رد الرب يسوع كان صادمًا بكل تأكيد. كان هؤلاء الأصدقاء الأربعة يبحثون عن شيء ملموس أكثر من مجرد عفوٍ رعوي من الخطية. ففي النهاية، فكروا، ما مقدار المشاكل والخطايا التي يمكن أن يقع بها رجلٌ مشلولٌ على أي حال؟ من المؤكد أن الجمهور كان يفكر في شيء كهذا. وفكر في الإحراج المحتمل للرجل الذي على السرير أمام الجميع. ليس لدينا في كل النص ما يشير إلى أن الرجل الذي على السرير أراد أن يكون هناك أو أنه ظن أن شيئًا ما سيحدث. كان الإيمان الذي يُمارس هو إيمان أصدقائه.

مع ذلك، فإن هدف يسوع واضح: كل الناس- أولئك الذين هم في الظاهر كاملون وأولئك المنكسرون بشكل أوضح- لديهم احتياجٌ أساسي أمام الله، وهو ليس كماليًا جسديًا، مهما كان هذا مرغوبًا به. حاجة الإنسان العظيمة هي للغفران من الخطية والمصالحة مع الله القدير. وقد استخدم الرب يسوع هذا الرجل لتوصيل الحق القائل أن الله يغفر ويخلص من لا نتوقعهم، أولئك الذين لا يمكنهم كسب رضى الله بكل وضوح وأولئك الذين لا يملكون شيئًا ليقدموه في المقابل. ولكن لإضفاء السلطة للنقطة الروحية التي قالها، نطق الرب يسوع بعد ذلك بأعجوبة الكمال الجسدي للرجل. كما نطق الله فخلق الخلق إلى وجوده بالضبط في الكلمات الافتتاحية لسفر التكوين، هنا أيضًا، ينطق الرب يسوع بإعادة الخلق لحالة الانكسار لهذا الرجل. وكان الشعب مليئًا بالرهبة. لو كنا هناك لكنا كذلك أيضًا!

لوقا ٧: ١٨-٢٣

طلب تلاميذ يوحنا المعمدان في لوقا ٧: ١٨-٢٣ من يسوع أن يكشف عن نفسه وأن يوضح إذا كان هو الشخص الذي توقع يوحنا أن يتبعه.

على الرغم من أننا نقرأ أن الرب يسوع شفي الكثير من الأمراض، إلا أن الإعاقة الجسدية الواضحة الوحيدة المذكورة هنا هي أن الرب يسوع أعطى البصر للكثير من العميان أيضًا. ومع ذلك، أعطى الرب يسوع التعليمات لأتباع يوحنا أن يقولوا له، لا إن

العميان نالوا بصَرهم فقط، ولكن العرجَ يمشون أيضًا، والبُرص يُطهَّرون [وقد رأينا أحداثًا من هذه المعجزات]، والصم يسمعون، والموتى [الإعاقَة الجسدية القصوى!] يُقامون، والمساكين يُبشرون بالأخبار السارة. في ذهن يسوع (بما يتفق مع أجزاء من كتابات الأنبياء، ولا سيما ترانيم العبد في سفر إشعياء) فإن المؤشّر الرئيسي لكونه المسيح كان خدمته للمعاقين جسديًا والضعفاء اجتماعيًا والمنبوذِين. وبالطبع لم يَكُن هذا ما توقعه الناس من المسيح المنتظر. كانوا يبحثون بترقب عن شخص من شأنه أن يجلبَ لهم الحرية من القمع السياسي، الحرية الوطنية والثقافية. ولكن، كما هو الحال دائمًا، فإن خططَ الله أعظمُ جدًّا من خططنا. وأيضًا، كما هو الحال في كثيرٍ من الأحيان معنا، ما أَراده الناس ليس هو ما يحتاجون إليه بالفعل.

لوقا ١٤: ١٥-٢٤

من شفّتي الرب يسوع، نسمعُ مثْلَ الوليمةِ العظيمةِ في لوقا ١٤، والذي هو حاسمٌ لفهمنا للإعاقَة في ملكوتِ الله. أوضح الرب يسوعُ أن الكثيرين قد تمت دعوتهم إلى الوليمةِ ولكن همومَ العالمِ إما أنها قد صرفت انتباههم أو منعتهم من القدوم. سخطَ مضيفُ الوليمة، وأمرَ خدامَه بملءِ قاعةِ الوليمةِ من "الْمَسَاكِينِ وَالْجُدْعِ وَالْعُرْجِ وَالْعُمَيِّ" (الآية ٢١). أنا متأكدٌ من أن الحشد المستمع كان قد صُدم بالفعل.

لكن مع استمرار المثل، قال الرب يسوعُ إنه عندما قال له الخدمُ إن هذا قد تم بالفعل ولا يزال هناك متسع، قال مُضيفُ الوليمة للخدام أن يذهبْ خارجَ المدينة لمزيدٍ من الأماكن النائية قائلًا: و"أَلْزَمَهُم بِالْدُخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي" (الآية ٢٣). من خلال علم التفسير يمكننا أن نثبت أن "الناس" المقصودين هنا كانوا هم "الْمَسَاكِينِ وَالْجُدْعِ وَالْعُرْجِ وَالْعُمَيِّ" السالف ذكرهم والذين عاشوا خارج المدينة ولم يكن العثورُ عليهم أو رؤيتهم بسهولة. قد يكون الضيوف الوحيدون في النهاية هم أولئك الذين لا يتوقع أن يكونوا في مثل هذه الوليمة- أي المعاقين جسديًا والمهمشين اجتماعيًا- أي المكسورين.

هل تشعرُ هذه المجموعة من الناس اليوم بأنهم موضعُ ترحيبٍ على مائدةِ الله في الكنيسة؟ في الكثير من الأحيان، للأسف لا يشعرون. في كثير من الأحيان، يكون

مجردُ القدوم إلى الكنيسة عبئًا كبيرًا. يواجه الناسُ كلا العقباتِ الجسدية والاجتماعية. وكم عدد الكنائس التي تجتهدُ عن قصدٍ في البحث عن مثل هؤلاء الأشخاص واستخدام القوى العاملة في الكنيسة لإحضارهم؟ مرة أخرى، في كثيرٍ من الأحيان، لا تفعل الكنيسة ذلك.

لوقا ١٨: ٣٥-٤٣

في لوقا ١٨: ٣٥-٤٣، معجزة الشفاء الأخيرة المسجلة في إنجيل لوقا، هي لشحاذ أعمى لم يُذكر اسمه صرخ طلباً للرحمة بينما كان يسوع يمر في وسط الحشد. وقد انتهره "الْمُتَقَدِّمُونَ" (الآية ٣٩). قيل له أن يصمت.

ظاهرياً، اعتقد قادة الجماعة الرسولية هؤلاء أن لدى الرب يسوع أمورٌ أهمٌ ليعملها وأشخاصٌ أهم ليراهم من شحاذٍ أعمى. ولكن بما يتفقُ مع الشهادة الكتابية حتى هذه النقطة في كلا العهدين القديم والجديد، توقف يسوع، ودعا الرجلَ ليقترَبَ وشفى عماء، وأعاد بصره. تبع الأعمى الرب يسوع في الطريق، وهو يُسَبِّحُ الله.

على الرغم من أن الرب يسوع قد شفى الكثير من الآلام الجسدية وجعل من المعوقين والمحرومين محور تركيزه في عمله، فكم هو مثيرٌ للاهتمام (ومقلق!) أن أولئك الذين فتحوا الطريقَ أمام يسوع ينتهرون ويتجاهلون شحاذاً أعمى! سبق الرب يسوع وقال إن وليمة مائدة الرب سوف تمتلئ بمثل هؤلاء الناس، ومع ذلك، مازال تلاميذه شخصياً (ومن رحمته الله لم تذكر اسمائهم في هذا السرد!) يسعون إلى تهميش الضعيف والمنكسر، وإبعادهم عن الرب يسوع. لماذا لا يزال الحال كما هو عليه اليوم؟ لماذا يمرُّ قادة الفرقة الرسولية الحديثة ليسوع في كثيرٍ من الأحيان مرور الكرام على المكسورين والمُصابين ظاهرياً وجسدياً بينما ويتجاهلونهم؟ تعاليمُ لوقا وكلماتُ الرب يسوع واضحة ولا هوادة فيها في هذه النقطة.

بينما تعتبرُ هذه الأحداثُ تحدٍ لقادة الكنيسة، إلا أنها يمكنها أن تعملَ أيضاً بمثابة تشجيع لمن يعيشون في الانكسار والإعاقة. يريد الرب يسوع هؤلاء الناسَ في ملكوته

وفي كنيسته. مهما إن صعب الأمرُ ومهما إن كان غريبًا، تبقى كلمة تشجيعي: إذهب للكنيسة! يجب أن تصل هناك واسمحُ أن يَستخدمَ اللهُ مجيئك ليجعل من كنيسته ما قصد منها أن تكونه!

إنجيل يوحنا

يوحنا ٥: ١-١٤

بينما ننتقلُ إلى إنجيل يوحنا، نقرأ في ٥: ١-١٤ أن الربَّ يسوع أتى إلى بركة بيت حسدا، الواقعة على الجانب الشرقي من أورشليم، بالقرب من باب الضأن تحت رواق كبير. بحسب سرد يوحنا، في هذا المكان "كَانَ مُضْطَجِعًا جُمُهورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرَضَى وَعُمَمٍ وَعُرجٍ وَعُسَمٍ" (الآية ٣). بحلول هذا الوقت، يجب ألا نتفاجأ أن ينخرط الرب يسوع في الخدمة في مثل هذا المكان. لكن مرة أخرى، يحتوي اللقاء على عناصر مفاجأة. في حديثه مع رجل "بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً" (الآية ٥)، سأل الربَّ يسوع سؤالًا يبدو ظاهريًا أنه يجيبُ عن نفسه، وربما يكون به إهانة، وهو: "أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟" (الآية ٦).

لكن ردَّ الرجلِ يظهرُ بصيرة المسيح. فالرجلُ لم يجبِ أبدًا عن السؤال. بدلًا من ذلك اشتكى من وضعه وعدم قدرته على "الفوز" بالشفاء عن طريق أن يكون أولَ من ينزل إلى الماء "مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ". من المثير للدهشة، مع عدم وجود أي دليلٍ على الإيمان من الشخص العاجز، أو حتى ردِّ إيجابي واضح عن السؤال على رغبته في أن يكون على ما يرام، شفى الرب يسوع الرجل وأرسله في طريقه مع فراشه.

إلا أن الأمرَ الأكثر إثارة للدهشة هو لقاؤهما التالي، لاحقًا على أرض الهيكل. هناك قال له يسوع: "لَا تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشْرٌ" (الآية ١٤). هل يربط الرب يسوع بين الخطية والإعاقاة في هذا التصريح؟ سنرى في المقطع التالي (يوحنا ٩) أن يسوع يدحض هذا المفهوم بوضوح كمبدأ عام. (صحيح أن هناك حالات - مثل ١ كورنثوس ١١: ٣٠ - حيث تكون عاقبة الخطية الألم بشكل مباشر). ولكن قد يكون

هذا الشفاء إعلاناً آخر للنعمة المحضة لشخصٍ لم يرغب بالضرورة حتى في الشفاء. ربما كانت خطيته هي الراحة التي أخذها في حالته باعتباره عاجزاً ليلعب على مشاعر الناس من أجل الحصول على المساعدة. ربما لم يرد أن يصبح بخير، لأنه حينئذ سيصبح مسؤولاً عن وضعه وعن العيش بشكل جيد. قد تكون هذه هي الخطية التي أشار إليها الرب يسوع.

يوحنا ٩

وإن لم تكن المعجزة النهائية، إلا أن شفاء الرجل المولود أعمى في يوحنا ٩ هو الحدث الأخير في إنجيل يوحنا حيث يشفي الرب يسوع شخصاً ذا إعاقة. استهل الحدث تلاميذ يسوع وهم يسألون سؤالاً لا يزال شائعاً اليوم عندما يقابل الناس حالة الإعاقة الخلقية: "يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟" بالنسبة للغالبية العظمى من الناس، حتى أولئك الذين لديهم وعيٌ روحي - ربما خاصة أولئك الذين لديهم مثل هذا الوعي- هناك احتمالان عند مقابلة شخصٍ وُلِدَ كفيفاً، أو مصاباً بمتلازمة داون، أو مُصاباً بشللٍ دماغي، أو بأي عددٍ من الإعاقات الأخرى: إما أن الوالدين أخطأ، أو أن الله، في علمه السابق، عاقب الشخص مسبقاً على خطاياه فولد على هذا النحو.

لكن الرب يسوع يقدم على الفور ترتيب كويد tertium quid -أي طريقة ثالثة- تفسيراً لم يتوقعه أتباعه أبداً: ولد الرجل أعمى ليظهر مجداً لله. على الرغم من وجود أوقات تكون فيها الإعاقة نتيجة الخطية وعصيان الله بوضوح (عمى شمشون هو أحد الأمثلة)، إلا أن الرب يسوع علم هنا أن هذا ليس بالضرورة الخيار الأول وليس الخيار الوحيد بالتأكيد. في الواقع، في انسجام مع النمط المتطور الذي نشهده، ينبغي توقع أن يستخدم الله المُعاق، والضعيف، والمكسور في أغراضه الخاصة حتى ينال المجد الذي يريده ويستحقه على وجه التحديد.

يُختتم الإصحاح بالرب يسوع يتحدث مرة أخرى مع الرجل الذي شفي الآن. لقد استخلص الرب يسوع درساً وهدفًا روحياً واضحاً من الشفاء، قائلاً، "لِدَيْتُوتَهُ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصَرَ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ" (الآية ٣٩).

بالطبع لم يعم الرب يسوع أبدًا شخصًا مبصرًا جسديًا بشكل دائم، على الرغم من أن الله قد أخذ رؤية شاول الطرسوسي مؤقتًا (انظر أيضًا الملوك الثاني ٦: ١٥-١٧). لذلك يجب أن يتطلب هذا تطبيقًا روحيًا. لكن لا يمكننا أن نغفل حقيقة أن الدرس الروحي مستمر من نسيج تفاعل الرب يسوع مع شخص مبتلى جسديًا. استخدم الله في المسيح إعاقته الحقيقية وملموسة لإظهار نعمته ورحمته للضعفاء والمكسورين ظاهريًا كعلامة على ما يمكنه فعله داخليًا أيضًا لأولئك الذين يدركون حالتهم الروحية الضعيفة والمكسورة.

في الواقع، عندما سمع بعض الفريسيين الرب يسوع يتكلم بهذه العبارات مع الرجل الأعشى، سألوهم إذا كانوا هم "عميانًا". أكد الرب يسوع أن ادعاءهم الضمني بالرؤية (بمعزل عن نعمة الرب يسوع وشفائه) يعني أنهم لا يزالون عميانًا روحيًا، لذلك بقي ذنبهم.

جاء الرب يسوع ليعيش حياة بر لا نستطيع أن نعيشه، وجاء ليموت ليدفع ثمن عقاب خطايا لا نقدر على دفعها. لقد جاء ليخلص من يدهم الله. هل يحب الله كل الناس؟ بالتأكيد بشكل عام، نعم! لكن الكتاب المقدس واضح في أن له مشاعر خاصة لأولئك المكسورين والذين يدركون في انكسارهم أنهم عاجزون عن خلاص أنفسهم. عندما نرى الرب يسوع بصفته الطريقة لتحسين حياتنا، أنه إحدى الطرق العديدة لتحسين الذات، فنحن نفقد رجاء الإنجيل. لقد أتى ليخلص الضال، ليس أولئك الذين "يحتاجون فقط إلى القليل من المساعدة على طول الطريق".

الفصلُ الثالثُ

صوتُ الروحِ القدسِ

من خلالِ الرسلِ

ما تُعلِّمه أعمالُ الرسلِ والرسائلُ عن الإعاقَةِ

عندما شرعْتُ في كتابةِ هذا الكتابِ منذ سنواتٍ عديدة، كانت جيسيكا ابنتنا لا تزالُ تعيشُ في المنزل معنا كما كان الحال طوال حياتها (باستثناء إقامةٍ واحدةٍ طويلةٍ في مستشفى إعادة التأهيل بعد جراحةٍ كبرى منذ عدة سنوات). كانت تتلقى بعضَ الرعاية التكميلية من الآخرين بينما كانت لا تزال في منزلنا، لكن عبءَ احتياجاتها اليومية كان لا يزالُ يقعُ على عاتق زوجتي، ماري، إلى حدٍ كبير، وعليّ (بدرجة أقل جدًّا). إلا أنه، في عناية الله، عندما كبرت، أتاحت لها فرصة "للعيش بمفردها" منذ بضع سنوات. عاشت لأكثر من اثنين وعشرين عامًا في المنزل مع العائلة (أم وأب وأختين وأربعة أشقاء، وكليين وقطة!). الحياة مع جيسيكا- العربة الكبيرة ذات إمكانية رفع الكرسي المتحرك، الأنظمة الغذائية الخاصة، والمعدات والاحتياجات الطبية، وكل الأمور الأخرى- كانت حياتنا "طبيعية". لكن الحياة تغيرُ الأمور.

الإعاقة والمجتمع والإنجيل

بصفتنا بشرًا نحنُ شعبٌ مجتمعي. نحن بحاجةٍ إلى الآخرين جسديًا وروحيًا. كانت جيسيكا جزءًا وثيقًا وحيويًا من عائلتنا ومن المجتمع الكنسي الأكبر، لكن فجأةً أتاحت لها الفرصة للانتقال إلى مجتمعٍ من المُعاقين البالغين. هناك كانت ستلقى المزيدَ من الرعاية المستمرة أكثر حتى مما يمكن لي أنا وماري أن نقدمها لها - وصدقوني، كان من الصعب الاعترافُ بأن الآخرين يمكنهم أن يهتموا بها بشكلٍ أكثر ملاءمة من والدتها ومني.

عندما انتقلتُ إلى بيتها الجديد، سألنا إن كان بإمكانهم أن يجعلوها تأتي إلى كنيسةنا كلما سمحَ الأمر. أجابتُ المديرية قائلة: "سنكون سعداء بإيصالها، مع عددٍ قليل من زملائها النزلاء"، ثم توقفتُ مؤقتًا واکملتُ ببطء، "إذا سمحت كنيسةك لنا بالعودة". لم نكن متأكدين أنا وماري مما قصدته.

سألناها، "ماذا تقصدين بـ "تسمح لكم بالعودة"؟"

قالت على مضض: "يطلب منا الكثير من الكنائس التي نزورها بلطف عدم العودة". عندما ضغطنا أكثر، أوضحَتْ أن الكراسي المتحركة، والهيئة الشخصية، والوضوء

العرضية أو سيلانَ اللعب- كل الأشياء التي هي طبيعية بالنسبة إلى جيسيكَا وأصدقائها- تجعل الكثيرَ من الأشخاص غيرَ مرتاحين في كثيرٍ من الكنائس.

إلا أن، ما نكشفه في الكتاب المقدس من خلال هذه الدراسة يوضح أن شعبَ الله، أي جماعة المسيح، بحاجة إلى الأشخاص ذوي الإعاقة ليكونوا جزءًا لا يتجزأ من هذا المجتمع. لقد رأينا أن خدمةَ الرب يسوع كانت مركزة بشكلٍ مفرطٍ على مثل هؤلاء الرجال والنساء والأطفال المُهمشين. ونحن نضغطُ قدمًا للتفكير في نمو الكنيسة الأولى في سفر أعمال الرسل والرسائل، سنرى أن هذا التركيز سيظل ثابتًا.

بينما ننتقل من حياة الرب يسوع في الأناجيل إلى نشأة الكنيسة الأولى في سفر أعمال الرسل، نجد أن الأشخاص ذوي الإعاقة والشفاء يُذكرون بدرجة أقل. ومع ذلك، فإن الرسل، متبعين بأمانة مثال المسيح، لم يهربوا من المنكسرين والأكثر احتياجًا. أبرز حدث هو شفاء المشلول في الهيكل في أعمال الرسل ٣. يوصف بأنه رجلٌ مُقعّد منذ الولادة، ويبدو أن عجزه يقتصر بشكلٍ أساسي على القدمين والكاحلين (الآية ٧). بينما شفاء بطرس له باسم المسيح هو بالتأكيد محور التركيز، إلا أنه يمكننا أيضًا أن نستخلص من هذا الحدث أن مجتمعَ العهد في إسرائيل كان معتادًا أن يكون الأشخاص ذوو الإعاقات موجودين في المواقع الدينية حيث قد يجدون الرحمة في عيون الأئمّة. إذا كانت حالة الإعاقة قد تركت الشخص غير قادرٍ على كسب معيشته من خلال العمل العادي، كان المصدر الوحيد هو التسول. مع أن هذه لا تزال ممارسة شائعة في العديد من الأماكن حول العالم، إلا أننا في الغرب نجد أن الأشخاص ذوي الإعاقة غائبون عمومًا من بين شعب الله العهدي في أماكن تجمعهم.

في يومنا هذا في الغرب، لا يُترك الأشخاص ذوو الإعاقة للتسول خارج الأماكن الدينية حيث قد يذكرون الناس بانكسارٍ بشرية. بدلاً من ذلك، يتم إخفاء هؤلاء الأشخاص بعناية في دور رعاية ومؤسسات عناية، ونادرًا ما يزينون المعابد والكنائس بحضورهم. في حين أنه في بعض الحالات (نادرًا، بحسب رأيي) ما يكون هذا الأمر حتميًا، إلا أنه أمرٌ

مريحٌ أيضًا للسكان "العاديين". لكن، في نفسِ الوقتِ يحرمُ هذا الغيابُ الكنيسةَ من المواهب التي لا يمكن إلا لأولئك الذين يعيشون مع الإعاقة فقط أن يجلبوها إلى جسدِ المسيح. سنقوم بتطوير هذه الفكرة أكثر في تأملاتٍ لاحقة (انظر الفصل ٤).

رسائلُ بولس

في كثيرٍ من النواحي (باستثناء يوحنا ٩)، لم يشرُحِ الربُّ يسوعُ بالكامل أبدًا سبب تركيزه على الأعرج والأعمى والمُقعّد والفقير. لقد ترك معجزات الشفاء والأمثال تتحدث عن نفسها، مما يسمح للمستمعين بربط الأحداث، إذا جاز التعبير. بينما تتحرك عبر الرسائل، نرى حالاتٍ حيث، مع تحرك الأخبار السارة قدمًا من يهوذا وفلسطين، وضع الرسولُ بولس الخطوط الرابطة بشكل أوضح، ربما من أجل هؤلاء الجدد في مجتمع العهد. بينما تركّزُ الأناجيلُ وأعمالُ الرسل على ملكوت الله الذي يمتد بطرق جديدة، يتحول التركيزُ في رسائل بولس قليلًا للتركيز على إعلان ربوبية المسيح. فبينما أخبرنا العهد القديم بطرقٍ أوليةٍ فيما يتعلقُ بصورةِ الله في الإنسان، بدأ بولسُ في تحويل التركيز على الأشخاص الذين، لكونهم قد افتدوا "في المسيح"، يتشكلون الآن ويتغيرون إلى صورة المسيح. لكن طوال الوقت، ما زلنا نرى (وإن كان ذلك غير واضح في بعض الأحيان) خيطًا مهمًا في نسيج فهمنا للإنجيل: الانكسار (روحياً وعاطفياً) والضعف (جسدياً الذي يمثل حالتنا الروحية) هما حالة الإنسان المعيارية. وإدراك هذا الواقع هو الخطوة الأولى لاعتناقِ قوّة الإنجيلِ الواهبة للحياة.

رومية ٨: ١٨-٢٥

بينما يطورُ بولسُ حجتهَ الدقيقةَ والمُعقّدة إلى حدٍ ما من خلالِ رسالةِ رومية، حتى يصلَ إلى الذروة في نهاية رومية الإصحاح ٨، يلعبُ جسمُ الإنسان دورًا مهمًا في تفكيره باعتباره إناءً للخطية والانكسار. إنه يتحدثُ عن الذاتِ القديمة على أنها صُلبت حتى يمكن التخلصُ من جسد الخطية (رومية ٦: ٦)؛ وعن أعضاء الجسم

بوصفها أدواتٍ للخطيةِ أو للبر (رومية ٦: ١٣، ١٩)؛ وعن كون الخطية في حالة حربٍ مع الإنسان الداخلي في أعضاء الجسد (رو ٧: ٢٣)؛ والحاجة إلى العتق من "جسد الموت" (رومية ٧: ٢٤). هو يحوّل مصطلحات الجسد بشكلٍ أكثر وضوحًا إلى استعارة في الإصحاح ٨ بمقارنة الحياة في المسيح بالحياة في الجسد. اللفظة اليونانية "للجسد" هي σάρξ (ساركس) والتي تترجمُ في الغالب في ترجماتٍ أخرى "الطبيعة الخاطئة" (رومية ٨: ٣-٥، ٨-٩، ١٢-١٣).

ولكن يبدو في هذا المقطع أن هناك عودة إلى فكرةٍ ماديةٍ أكثر وضوحًا إذ يتحدثُ بولسُ عن الطبيعة الساقطة للخلقة كلها. كلُّ الخليفةِ تتُّ ونحن ننتظر التبرير (الأمر الذي يتحقّق قانونيًا وروحياً في التبرير، ولكنه على عكس التبرير، لم يتحقّق بالكامل بعد). يقول بولس الرسولُ إننا ننتظر فداءً أجسادنا أيضًا. التأثير هنا هو أنه مثلما يحتاج كلُّ الناس الفداءَ روحياً، كذلك نحتاجُ جميعًا الفداءَ الجسدي أيضًا. أوّمن الآن أكثر وأكثر كل يوم، أن أيَّ شخصٍ تقريباً يبلغ من العمر أربعين عامًا فما فوق سيعترف بسهولة بالتدهور الجسدي الشخصي له والحاجة إلى الفداء.

لكننا ما زلنا نعيشُ في ثقافة تعبدُ الجسد، وننظر إليه على أنه هيكلٌ يجب الاحتفاظُ به، والحفاظ عليه والإهتمام به وتبجيله. مع ذلك، بقدر ما نعيشُ في عالم النوادي الصحية واللياقة البدنية والتمارين الرياضية، فإننا نعرفُ جيدًا أن أجسادنا تواجه إنحلالاً لا يمكن إيقافه. نحن بحاجةٌ إلى الفداء - شيء لا يمكن لحِميةٍ غذائيةٍ أن تحقّقه. وفي كثيرٍ من الأحيان تفصلُ عقليتنا الإنجيلية بين الجسد والروح. لكن بولس الرسول يربط بين الاثنين. نحن كائناتٌ شمولية أجسادُها وأرواحُها مترابطة بشكلٍ غامضٍ لا يمكن الفصلُ بينها. فمن الحماسة التركيزُ على أحدها مع إقصاء الآخر.

إن الحقيقة التي يُلَمَحُ إليها هنا هي أن كلَّ الناسٍ محطمون في الجسد والروح، ويحتاجون إلى فداء الطبيعة الجسدية كما الروحية.

١ كورنثوس ١: ٢٠-٣١

في الآيات الافتتاحية لرسالته إلى الكنيسة في كورنثوس، بدأ بولس الرسول على الفور بإذلال أي تظاهرٍ بالثقة بالنفس قد يكون لدى مؤمني كورنثوس في أنفسهم.

لقد صاغ بالكلمات، النمط الذي رأيناه يتشكل: يختارُ اللهُ الحمقى، والضعفاء، والوضعاء، والمُحتقرين ليخزي الحكيم، والقوي، والواثق من نفسه. وهو يفعلُ هذا ليوصلَ رسالة أنه لا يوجدُ سببٌ لتفاخر الإنسان. وحده الله يستحقُّ المجد؛ فيه وحده نفتخر.

حوّل هذه النقطة، علّق دي. إيه. كارسون D. A. Carson بحق قائلاً إن: "الإنجيلية الغربية الحديثة مصابة بشدةً بفيروس الانتصار، والمرض الناتج عنه يدمرُ التواضع، ويقلل من السماح، ويقدم إجمالاً مفرطاً للغاية للمال وللسلطة و"الحكمة" في يومنا هذا".^{٢٢} مثبتاً هدفنا بشكل أكبر، يواصل القول لاحقاً: "إن السبب الأساسي لعدم وجود المزيد من الأشخاص اللامعين في الكنيسة المسيحية ("لامعين" بقياسهم "بالمعايير البشرية" ١: ٢٦) هو أن الله فضّل اختيار الأشخاص النكرة".^{٢٣}

بالرغم من أن كلمات الرسول بولس الافتتاحية لا تستبعد القوي، والمصقول، وذا السلطة، وذا العلاقات، إلا أنه يبدو واضحاً أن الرسول بولس كان يذكّر أهل كورنثوس أن الشعب السائد الذي يجتذب منه الله ليخلق جماعة العهد الخاصة به (في كورنثوس وقتئذ وفي كنيستك اليوم) هو الشعب العام، والمكسور، والضعيف. هناك مقولة مشهورة من أحد أميرات هنتنغتون من الطبقة الأرستقراطية البريطانية في القرن التاسع عشر. ومع كونها مؤمنة صادقة بالمسيح المخلص، قالت إنها تشكرُ الله على حرفي "ك"، لأن بولس قال "لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءً" بدلاً من أن يكون "ولا يوجد شرفاء". كان هذا صحيحاً في ذلك الوقت، ولا يزال صحيحاً اليوم. يختارُ الله ويستخدم أولئك الذين لا

²² D. A. Carson, *The Cross & Christian Ministry: An Exposition of Passages from 1 Corinthians* (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 29.

²³ Ibid., 30.

يتوقعهم العالم ليحقق غاياته ويجلب المجد لنفسه. هذا مخالفٌ للبديهة في حساسياتنا الغربية، لكنه النمطُ الواضحُ للكتاب المقدس.

١ كورنثوس ١٢: ١٢-٢٧

إن ١ كورنثوس ١٢: ١٢-٢٧، هو مقطعٌ حاسمٌ لفهمنا، فالرسول بولس يطور مفهوم جسد المسيح، أي جماعة العهد الجديد، باستخدام الجسد البشري كاستعارة. الأمر المفيد لنا هو التركيز الذي يعطيه الرسول بولس للأعضاء الضعيفة والأقل كرامة (الآيات ٢٢-٢٦). الصورة الحرفية هي أن أعضاء معينة من أجسادنا أضعف ولكن لا غنى عنها. لدينا أعضاء داخلية، وهي حيوية لبقائنا، وهي هشة وتتطلب رعاية وحماية كبيرين. وبالمثل، فإن مثل هذه الأعضاء من الجسم، على الرغم من أنها ضرورية، إلا أنها تُخفى لأن مظهرها في حد ذاته مخيفٌ إلى حدٍ ما. يبدو أن الرسول بولس يقول إن جسد المسيح، أي الكنيسة، يجب أن يكونَ له أعضاء مكملون من الأعضاء الضعيفة (ظاهرياً في نظر العالم)، والأقل شرفاً، والأقل جمالاً (مرة أخرى، على الأقل في نظر العالم).

يوسع القسُّ واللاهوتيُّ الألمانيُّ الشهير ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer هذه الفكرة في كتابه الصغير الهام عن المجتمع المسيحي بعنوان "الحياة معاً". هناك يكتبُ قائلاً:

في المجتمع المسيحي يعتمدُ كلُّ شيء عما إذا كان كلُّ فردٍ حلقةً لا غنى عنها في سلسلة. فقط عندما تكونُ حتى أصغر حلقة متشابكة بقوة تكون السلسلة غير قابلةٍ للكسر. يجبُ على كل مجتمعٍ مسيحي أن يدرك أن الضعفاء ليسوا هم فقط من يحتاجون الأقوياء، لكن الأقوياء أيضاً لا يمكنهم أن يوجدوا بدون الضعفاء. إن القضاء على الضعيف يعني موت الشركة.

ليس البرُّ الذاتي، والذي يعني استخدام الهيمنة والقوة، ولكن التبرير بالنعمة، وبالتالي الخدمة، هو ما يجب أن يحكم المجتمع المسيحي. بمجرد أن يختبرَ

الإنسانُ رحمة الله في حياته سيُطمَح من الآن فصاعدًا إلى الخدمة فقط. لم يُعد عرشُ القاضي الفخوَرُ يغويه؛ هو يريدُ أن يكونَ في الأسفل مع المتواضع والمُسكين، لأنه هناك وجده الله.^{٢٤}

سنطوُرُ لاحقًا حجتِي بأنه، وفقًا لشهادةِ الله في العهدِ القديم ولشهادةِ المسيح في الأنجيل، قد تكونُ الأعضاءُ الأضعف، والأقلُّ احترامًا، وجمالًا هي الأعمى، والأعرج، والمقعّد، والمُسكين، والمكسور. هؤلاء المحتسبون بلا قيمةٍ أو عالّةٍ في نظر العالم، يعتبرهم الله دائمًا أمرًا حاسمًا لخطته ولدور مجتمعه الجديد.

٢ كورنثوس ٣: ١٨-٥: ٥

نلاحظُ عدّة نقاط من خلال ٢ كورنثوس ٣-٥. أولًا، يختتمُ ٢ كورنثوس ٣ بحقيقة أننا، نحن أعضاء جماعةِ العهد الجديد، نتغيّرُ (سواء كأفراد مؤمنين أو كجماعة جسد) إلى شبه المسيح في مجد دائم الإزدياد (٣: ١٨). هذا مواز لما قاله الرسول بولس في رسالة رومية حيث يصرّحُ للعتق من جسدِ الموت هذا. لا يعتقنا اللهُ بقدر ما يفتدي الوعاء.

ثانيًا، تبرزُ رسالة ٢ كورنثوس ٤ الاستعارة الغنية والرائعة لأجسادنا وكونها "أواني خزفية" - وعاءٌ بسيطٌ ليستخدمه السيد. ربما تكونُ الأوعية بسيطة، حتى متصدعة، ومكسرة، وهكذا تحظى جوهره الإنجيل الثمينة التي لا تُقدَّر بثمن، والموجودة في الإناء، بالانتباه والمجد، فلا يعودان على الجرةِ الفخاريةِ العادية.

اسمح لي أن أذكرك بقصةِ ماسةٍ كولينا الموثقة جيدًا، والتي جاءت منها "نجمة إفريقيا". وهي أكبرُ ماسةٍ لم تُقطّع حتى الآن (ما يزيد عن ٣١٠٠ قيراط!) وقد استُخرجتُ في جنوب إفريقيا في عام ١٩٠٥ وقُطعت في النهاية إلى تسعة أحجارٍ كبيرةٍ وحوالي مائة حجر أصغر. أكبرها، هي "نجمة إفريقيا"، يزيد وزنها عن ٥٣٠ قيراطًا وحدها (ومع القطع الأكبر الأخرى) توجد الآن بين جواهر التاج الملكي البريطاني. بعد اكتشافها الأولي، كان

²⁴ Dietrich Bonhoeffer, *Life Together* (New York: Harper & Row, 1954), 94

هناك الكثير من المداولات المتأنية حول كيفية نقل هذه الجوهرة النادرة والتي لا تُقدَّر بثمنٍ من أفريقيا إلى بريطانيا. كتكتيك إلهائي، رافق حراسُ تأمين متعددين شحنة مزيفة بالسفينة إلى لندن. لكن في الواقع، سُحِنَت الأحجارُ الكريمة الفعلية في صندوقٍ بني عادي عن طريق طرد البريد. من سيشكُّ في أن مثل هذه الحُرْمَةُ المتواضعة قد تحتوي على ثروة لا توصف؟ بالمثل، يستخدم الله "الصناديقُ البنية العادية" مثلي ومثلك لتحتفظ بجوهرة إنجيل المسيح التي لا تُقدَّر بثمن. لا تحتفظ الحاوية بأي مجد. بدلاً من ذلك، تكمن القيمة التي لا تُقدَّر بثمنٍ في محتوى الوعاء. فكم بالحري عندما تتميز الحاوية بالانكسار يشعُّ جمالُ نعمة الله ورجاء الانجيل منها بكل مجده.

ثالثاً، يُختتم الإصحاح الرابع بإعلان بولس الرسول بأنه ما في الخارج يفنى على الرغم من أن هناك تجديدًا داخليًا مستمرًا. الحقيقة التي يبدو أن الثقافة الغربية غير رغبة في فهمها، هي إنه، فيما عدا الموت المفاجئ (بأي من الطرق العديدة التي خلقتها ثقافتنا الآن)، فمع التقدم في السن تأتي الإعاقة الجسدية. ومن ثم، فإن نانسي إيسلاند صاغت مصطلح "ذوي الأجساد الصحية مؤقتاً"²⁵ لوصف أولئك الذين يعيشون بدون إعاقة. الكمال والعافية الباديان علينا هما هشان، ومؤقتان وعابران في هذا العالم المكسور.

ورابعاً، في ٢ كورنثوس ٥ (كما هو الحال أيضًا في رسالته إلى أهل فيليبي)، يتحدث الرسول بولس عن رغبته في أن يلبس جسده السماوي في البيت الأبدي مع الرب. يعترف أننا في هذا الجسدِ نُنْ وَنثَقُل (٥: ٤). ولكنه يؤكد أيضًا أنه أثناء وجوده في المنزل في هذا الجسد، فإنه يجعل هدفه إرضاء الرب (٥: ٩). تذكرنا هذه النصوص أن جسدنا الأرضي ليس جسدنا النهائي. في الواقع، فإن أحد أسباب المعاناة، والإعاقات، والضعف، والانكسار هو تذكرنا أن هذا الجسد وهذا العالم ليسا موطننا - وأن لدينا منزلًا أفضل في السماء.

²⁵ Nancy Eiesland, *The Disabled God: Toward a Liberatory Theology of Disability* (Nashville, TN: Abingdon, 1994), 24 and throughout

هذا صراعٌ مستمرٌّ بالنسبةِ لنا نحن الذين نعيشُ في راحةٍ وأمانٍ نسبيين. نحن نميّز حياتنا من خلال إنفاقِ طاقةٍ مستمرةٍ للتحكمِ في ظروفنا ولتعظيمِ راحتنا ومتعتنا. عندما يشوشُ هذا الانشغالُ رؤيتنا لمنزلنا الحقيقي، نخاطر بخسارةِ قوّةِ الإنجيلِ في تغييرنا إلى أناسٍ مخلوقين لعالمٍ آخرٍ ولمنزلٍ أفضل.

٢ كورنثوس ٩: ٨

في الآيةِ الرائعةِ ٢ كورنثوس ٩: ٨، نجدُ خمسة "كل" - خمسة كلمات مُطلقة تحملُ جوانبَ مختلفة من وعدِ الله لأولاده. لم أجِدْ وعودًا أخرى معبأةً في آيةٍ واحدةٍ في كلِ الكتابِ المقدس. قالت جوني تادا:

لا يمكنُ الوثوقُ بكلِ شخصٍ لكي يتألم. فلا يستطيعُ الجميعُ تحملَ محنةٍ نارية. لذلك يقومُ السيدُ بفحصِ المجوهراتِ ويختارُ بعنايةٍ من يقدرُون أن يحتملوا الصقل، الأفرع التي تحتل السكين. لقد أُعطي للبعض أن يعطوا، ولآخرين أن يعملوا، ولآخرين أن يعطوا، ولآخرين أن يتألموا. أين مكانُك على هذا القياس؟ لقد اختارك (الله) لتتحملَ مجموعةَ الظروفِ الفريدة والمحددة والفردية هذه في حياتك الشخصية. لا يمكنُ الثقة في الجميع ليحتملوا ما تتصارعُ معه، ولكن اللهَ يستأمنك عليه. النعمة هي لله. والاختيار لك.^{٢٦}

٢ كورنثوس ١٢: ٧-١٠

أخيرًا، يجلبُ بولسُ الرسول، في نصٍ حاسمٍ في نهاية الرسائل إلى كورنثوس، إلى الرأسِ الكثير مما كنا نتوصلُ إليه على طول الطريق. يلمحُ بولسُ إلى نوعٍ ما من آلامِ الجسد، الضعف الذي طلبَ من الربِّ أن يحرره منه في مناسباتٍ عديدة. لكن اللهَ تحدثَ إلى بولس قائلاً، بحسبِ الفهمِ التقليدي، إن نعمةَ اللهِ كافيةٌ وأن قوّةَ الله تكملُ في ضعفنا.

²⁶ Joni Eareckson Tada, *Glorious Intruder: God's Presence in Life's Chaos* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1990), 126

في حين أن هذا صحيحٌ بالتأكيد ومتسقٌ تمامًا مع شهادة الوحي حتى هذه النقطة، إلا أن مارفا دون Marva Dawn تشيرُ بشكلٍ مقنعٍ أنه في حالة عدم وجودٍ ضميرٍ المتكلم في النص الأصلي، فإن القوة قد تكون قوة بولس والفعل يمكن ترجمته "إنهاء".^{٢٧}

هذا من شأنه أن يجعلَ ترجمة الآية المحببة "لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ" بل "قوتك تنتهي بالضعف". في كلتا الحالتين، يتفقُ هذا مع كلِّ ما قاله الرسول بولس إلى أهل كورنثوس منذ الإصحاح الأول من الرسالة الأولى. لا مجالٌ للتباهي عند احتضاننا لحقيقة مكانتنا كأوانٍ خزفيةٍ ضعيفةٍ ومكسورة. وحدهُ اللهُ يستحقُّ المجدَ ونعمته كافية. في ضعفنا، قوة المسيح (القوة الحقيقية التي لم تنتهِ من عملها بعد) تقعُ علينا (أو "تخيم فينا").

تمشيا مع كلِّ ما رأيناه حتى هذه النقطة، يستمرُّ اللهُ في قلبِ طريقِ العالمِ رأسًا على عقبٍ عندما يقول بولس: "لَأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَيْدُ أَنَا قَوِيٌّ" (١٢: ١٠). تلخص مارفا داون هذا جيدًا، فتقول:

كما أن المسيح حقق الكفارة عنا بالألم والموت، فهكذا يحققُ الربُّ الشهادة للعالم من خلال ضعفنا. في الحقيقة، يحتاجُ الله إلى ضعفنا أكثرَ من حاجته إلى قوتنا. مثلما تتخطى القوى حدودَها وتصبحُ آلهة، كذلك تصبح قوتنا خصمًا منافسًا لله... من خلال اتحادنا مع المسيح بقوة الروح في ضعفنا، نظهرُ مجدَ الله.^{٢٨}

هل سمعتَ العبارةَ الحاسمة؟ "يحتاجُ الله (ليس أنه في احتياج إلى أي شيء على الإطلاق، بالطبع) إلى ضعفنا أكثرَ من حاجته إلى قوتنا". مثل هذا المفهوم غريبٌ تمامًا على كل ما يفهمه العالمُ ويسعى إليه. وأحد المعايير المعبرة عن تعدي العالم لحدوده

²⁷ See Marva J. Dawn, *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 27–41.

²⁸ Ibid., 47.

واختراقه للكنيسة هو مقدارُ غرابة هذه الحقيقة أيضًا للعديد من المسيحيين - القادة والعلمانيين على حدٍ سواء.

تقول جوني تادا، متحدثٌ عن التكيف مع حياتها المحدودة بإعاقتها:

كلما استطعتُ رؤيته كانت العوائق. قبضتُ أسناني على أقلام الرصاص وفرشاة الرسم. كانت عيناى على بُعد بوصاتٍ فقط من لوحة الرسم. لم تكن يداى قادرتين على حمل ممحاة. لكن حدودى كان لها هدف. أُجبرتُ على تخطيط مؤلفاتى بعنايةٍ أكبر. ولأني لم أستطع أن أمحو، كان عليّ أن أجلس وأفكر أكثر - ربما يكون هذا أهم تمرين انضباطٍ لأي فنان. الآن أنا ابتهجُ بضعفى وبالصعوبات التى أمر بها. لأن لوحاتى أجمل بكثير. أمددُ الله على المحدودية والقيود!²⁹

فيلبي ٢: ١١-٥

في فيلبي ٢: ١١-٥، يحثُ الرسول بولس المؤمنين أن يسلكوا مثل المسيح في علاقتهم بعضهم ببعض. هو يذكرنا أن الرب يسوع أذلَّ مع الآب، ومع ذلك تنازل ليأخذ البشرية بمحدوديتها ليرتبط بنا ويخلصنا. هدف بولس هو أنه يجب علينا أن نتواضع بينما نسعى لخدمة بعضنا البعض. في طبيعة إنجيل الرجاء المقلوبة "رأسًا على العقب" والمتسقة، نحن مدعوون لأن نكون أقلَّ في أعيننا، والرب يسوع هو النموذج. استمع إلى جوني تادا مرة أخرى وهي توصِّل هذه الفكرة بطريقةٍ قوية:

ربما تعرفُ بعضًا من المُعاقين على الأقل. لكن هل سبق لك أن فكرتَ في الرب يسوع في هذه الفئة؟ لا، فهو لم يكن يعاني من إعاقة جسدية، لكنه أعاق نفسه عندما جاء إلى الأرض. يعرف قاموس ويبستر الإعاقة بأنها "أية صعوبة

²⁹ Tada, *Glorious Intruder*, 126.

تُفَرِّضُ عَلَى شَخْصٍ مَتَفَوِّقٍ بِحَيْثُ تَعِيقُهُ أَوْ تَضُرُّ بِهِ، مِمَّا يَجْعَلُ ذَلِكَ الشَّخْصَ أَكْثَرَ مَسَاوَاةً مَعَ الْآخَرِينَ".

إذا استخدمنا هذا التعريف، فإن يسوع كان مُعاقًا. من ناحيةٍ امتلك ملء الله القدير، ولكن من ناحيةٍ أخرى جعل نفسه لا شيء. لقد أخلى ذاته، آخذًا طبيعة عبد (فيلبي ٢: ٥-١١).

يالها من إعاقة! أن يكون الله من ناحية... ومع ذلك يجعل نفسه لا شيء. يا لها من قيود شديدة! تظن أنها لابد وأنها أعاقَت الرب، ووضعتَه في وضعٍ غير موات.

الربُّ يسوع، المهندس الرئيس للكون، ومصمِّم الكواكب والنجوم والمجرات والسدم والنجوم النابضة والكوازارات. كان على الأرض نجارًا، وتقتصر أعمالُ تصميمه على المقاعدِ القصيرة والطاولات.

الربُّ يسوع، الكلمة الأزلي، الذي نطق الزمان والمكان إلى وجوده. اختار على الأرض أن يتحدثَ إلى البغايا والبُرس والخطاة.

هذه القيود لم "تحدث" للرب يسوع بنفس الطريقة التي "تحدث" بها الظروفُ لي ولكم. اختار المسيحُ أن يكونَ معاقًا ... إذا كان لديك إعاقة جسدية، أو ربما حتى عاطفية أو عقلية، فأنت لستَ وسطَ شركةٍ سيئة. بل بالعكس، أنت في شركة النخبة مع المسيح شخصيًا.

لم يكن لدينا خيارٌ في إعاقتنا. ولكن هو كان له، وقد اختار أن يكونَ محدودًا ... ليحررنا^{٣٠}.

³⁰ Ibid., 195–96.

الرسائل العامة ورؤيا يوحنا

بالنسبة للجزء الأخير من أسفار العهد الجديد، سنعلق بأكثر تلخيص على بعض المقاطع المختارة فقط.

١ يوحنا ٣: ٢

في ١ يوحنا ٣، يدوي يوحنا بصدى لغة بولس في ١ كورنثوس ١٥ ويعطي ظلًا مسبقًا على ختام سفر الرؤيا (انظر أدناه) فيما يختص بطبيعة الجسد المقام. يؤكد يوحنا أننا سنكون مختلفين عند تحقيق كل الأشياء، وأكثر من ذلك، أنه على الرغم من أننا لا نعرف بالضبط كيف سيظهر هذا الاختلاف، إلا أننا نعلم أننا سنكون مثله. من خلال الاستدلال، هذا يعني أننا لن نبتلى فيما بعد بحضور الخطية والانكسار الروحي أو بقوتهم، ولن نكون مقيدين بأجساد ناقصة وضعيفة. الله، من خلال كلامه مع يوحنا، يوضح هذا بشكل أكبر في المقطع الأخير أدناه.

رؤيا ٢١: ١-٥

في رؤية يوحنا لأورشليم الجديدة، نرى عدة أفكار رئيسية. أولاً، أعيد تأسيس مسكن الله مع الإنسان بشكل كامل ونهائي. سكن الله مع الإنسان في جنة عدن، لكن هذا كان قد انقطع في السقوط في تكوين ٣. أعاد الله إنشاء هذه السكنى من خلال خيمة الاجتماع في البرية وفي الهيكل في أورشليم. تجسدت هذه السكنى في المسيح، وتأسست على قيامته بالروح القدس من خلال الكنيسة. ولكن الآن، وأخيراً، مرة أخرى، "هُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ" (٢١: ٣).

إن أول نتيجة فعلية لهذه السكنى المحققة بالكامل هي أن الله يعد بأن يمسح الدموع ويعلن نهاية الموت، والحزن، والبكاء، والألم. ثم، وهذا الأمر مهم، يقول الله: "لأنَّ الأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (٢١: ٤).

يمكننا إذًا أن نستنتج أن النظام القديم، أي عصرنا، وتجربتنا، يتسمُ بالموتِ، والحزنِ، والبكاءِ، والألمِ. وليست علامات الضعف والانكسار هذه انحرافاتٍ تبرز في وجودنا السعيدِ على خلافِ ذلك. هي جوهرُ أيامنا. لكن سفرَ الرؤيا يختتمُ الخيوطَ الطويلة والمتسقة التي تتبعناها من الناموس، وعبر الأنبياء وكتابات العهد القديم، ومن خلال الأنجيل ورسائل العهد الجديد. يُعطي هذا الخيطُ المتسقُ الرجاءَ لمن يرون أنفسهم كما هم بالفعل. لأننا نعرفُ نهايةَ القصة - أي يقين الانتصار، والفداء، والاسترداد - يمكن أن يكون لنا الفرحُ ويمكننا حتى أن نبتهجَ بالله ونتمتع به، حتى في وسط المعاناة والألم أو الإعاقة المزمنة وطرق تحطمتنا وضعفنا التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى. لدينا مستقبل. وعود الله أكيدة. الأخبار السارة مليئة بالرجاء!

الفصلُ الرابعُ

الاستنتاجاتُ والتأملاتُ الكتابية

قال أحدهم إن عكس الإيمان ليس الشك بل الاعتماد على الذات. عندما نقرر، على الرغم من الأدلة الهائلة والغامرة التي تُثبت العكس، أننا كافون وقادرون بمفردنا، نبدأ في العيش كما لو أننا لم نعد بحاجة إلى الله أو إلى الإيمان. أدق علامة على عدم الإيمان الثقافي هي التصور بأننا على ما يرام، وأن الأمور على ما يرام. إن إدراك ضعفنا الأساسي وانكسارنا ليس مشهدًا سارًا، وتعمل ثقافتنا جاهدة على إنكار هذا الواقع وتعلن اكتفاءها الذاتي. توافق شارون بتشر Sharon Betcher، إذ تكتب قائلة: "ما يبدو للعين الثقافية أن الإستعصاء الجسدي للإعاقة يوحى بالأحرى برفض ديني وفلسفي و/أو ثقافي، أي أنه الوعي غير المهضوم أو غير المقبول بأن الحياة ستدرجنا، في وقتٍ ما وعلى مستوى ما، في معاناة جسدية و/أو نفسية".³¹

في فيلم ماتريكس The Matrix لعام ١٩٩٩، نرى توضيحًا سينمائيًا لهذه الحقيقة. عندما يتم "إنقاذ" شخصية نيو وإيقاظه، يفتح عينيه على عالمٍ قبيحٍ بشكل رهيب، ومكسور، ومظلم. فهو يدرك أن معظم البشر لا يزالون يعيشون عبيدًا في عالمٍ أحلامٍ تم إنشاؤه بواسطة الكمبيوتر، غير مستوعبين أبدًا الطبيعة الحقيقية لوضعهم اليأس والمفقود. في وقتٍ مبكرٍ من إعادة تأهيله، يسأل نيو، "لماذا تؤمني عيني؟" يجب صاحبه مورفيوس ببساطة، "لأنك لم تستخدمها من قبل".³²

لذا، فبالنسبة لنا، في وقتٍ ما بعد أن يخلصنا الله لنفسه وتنتح أعيننا للمرة الأولى روحياً، نبدأ في رؤية انكسارنا وقبح العالم. لكن هذه خطوة أولى ضرورية لاعتناق رجاء الإنجيل - والتجديد والإصلاح على صورة المسيح والاسترداد النهائي مع الله.

³¹ Sharon Betcher, "Wisdom to Make the World Go On: On Disability and the Cultural Delegitimation of Suffering," *Word & World Supplement Series 4* (2000): 87–88.

³² *The Matrix*, directed by Larry and Andy Wachowski (Burbank, CA: Warner Bros., 1999).

تنكّر ثقافتنا أيضًا بشدة الانكسار الروحي اليأس للبشرية، ونخبىء ضعفنا الجسدي. مرة أخرى تعلن بتشر، بصفتها شخصًا مر بصدمة وجرح في منتصف العمر، أنها ترغب في ألا تكون إعاقتها "وصمة قديس ولا... علامة لإثارة للمحرمات الاجتماعية".³³ لكنها تقول ببلاغة رائعة إنه في الغرب "ندفن ثقافيًا في أقبية من الصمت والعزلة" أولئك الذين يعيشون بأجساد معاقة.³⁴ إلا أن آدم نيلسون Adam Nelson كتب، قائلًا:

يبدو أن الانكسار شرطٌ أساسي يطلبه الله قبل أن يقومَ بعملٍ دائمٍ من خلال شخص... [لكن] مصطلح مكسور يُنظر إليه دائمًا على أنه سلبي. قال فيكتور فرانكل Victor Frankl، "اليأس هو معاناة بلا معنى". أما الانكسار فهو يساعدنا على تجنب اليأس عندما لا تتحقق أحلامنا وعندما نعاني، لأنه يعطينا المعنى عندما نكون في أشد الحاجة إليه... فقط بعد كسرنا في المكان الصحيح، يمكننا أن نشفى حقًا ونختبر الكمال.³⁵

لذلك لدينا توترٌ بين تجربتنا الثقافية في الكراهية للضعف والإعاقة من ناحية والنموذج الذي يبدو أن الكتاب المقدس يكشف عنه من ناحية أخرى. تقول ثقافتنا، "تجنب المكسور والمعاق. إخفِ ضعفك وعيوبك. تصرف كما لو كانت غير موجودة ببساطة". لكن الكتاب المقدس يعطينا القصة بعد القصة والحدث تلو الآخر قائلًا بدلًا من ذلك، "افهموا أنكم - جميعكم بشكلٍ أو بآخر - منكسرون. توقفوا عن تجنب الحقيقة واعتنقوها". لأننا في هذا الاعتناق نبدأ في استيعاب قوة الله بنعمته التي ظهرت في ضعف الإنسان.

³³ Betcher, "Wisdom to Make the World Go On," 88n5.

³⁴ Ibid., 90

³⁵ Adam E. Nelson, *Broken in the Right Place: How God Tames the Soul* (Nashville, TN: Thomas Nelson, 1994), 14–15.

الدعوة إلى القداسة والكمال

لقد رأينا أن البشرية خُلقت إِمَاجو داي imago Dei ، "أي على صورة الله،" ولكن مع ظهور الخطية، شوهدت تلك الصورة بطريقة ما. إلا أن الله يظل متساميًا وقُدوسًا بشكل مطلق. ركزت طقوسُ هيكل العهد القديم على عبادة الله بطريقة مقبولة. بقدر الإمكانية المتاحة للبشر، فقط ما هو كاملٌ بشكلٍ ظاهري يمكن أن يأتي أمامه. سواء كان كاهنٌ يمثّل الشعبَ أو الهبة التي تقدم بوصفها ذبيحة - كل ما جاء إلى محضر الله- يجب أن يكون نقيًا وظاهرًا وبلا عيب.

هذا المطلبُ الصارمُ لا يمكنه إلا أن يقيسَ المظهر الخارجي، وطبعًا، رأينا الله يذكرُ الشعبَ من خلال النبي صموئيل أنه بينما ينظرُ الإنسانُ إلى المظهرِ الخارجي، ينظرُ الله إلى القلب. لذا، فعلى الرغم من أن الأشخاص الذين يعانون من عيوبٍ خارجية أو إعاقاتٍ قد مُنعوا من الخدمة في الهيكل، إلا أنهم دعوا أن يعبدوا الإله الحقيقي بحرية. في الواقع، لقد رأينا أنه بالرغم من أن الله يطلبُ الكمالَ في الهيكل، إلا أن قلبه كان ولا يزال، حنونًا دائمًا وبعُمق تجاه مكسورة القلب، والأرملة، واليتيم، والأعرج، والمكفوف، والمُهمَّش.

لقد رأينا أيضًا أن الهيكلَ كان، إلى حدٍ ما، نموذجًا، وظلًا لما سيكون. في أسفار الأنبياء ونحو نهاية الوحي الكتابي، نرى وعودًا عديدة بأن هذه الخيمة الأرضية بضعفها وانكسارها ستُطرح وتُستبدلُ بجسدٍ جديدٍ وكاملٍ نعبد به الله إلى الأبد في الهيكل الحقيقي لحضوره في الملكوتِ المُحقَّقِ بالكامل.

الضعفُ الجسديُّ والروحيُّ للإنسان بصفته موضوعًا لاهوتيًّا في الكتاب المقدس:
بالسقوط لم يحدثْ فقط تمزُّقٌ في علاقتنا بالله ومسكننا معه، ولكن "سقطت" أجسادنا وكلُّ الخليقة أيضًا. نبدأ على الفور في رؤية أن فتراتِ حياةِ نسلِ آدم تتناقصُ من خلال سلاسل الأنساب في تكوين ٥ و ١١، مع وجود استثناءاتٍ قليلة.

ولكن الأمرَ الأعمقَ من هذا هو أننا لاحظنا أن جميعَ الشخصياتِ الرئيسيةِ في الكتاب المقدس ليسوا أبطالاً أولاً. بل هم ضعفاءٌ ومهمشون، بعكس المرشحين لأية إنجازاتٍ جديرة بالملاحظة. نرى أيضاً أن الانكسارَ الروحيَ يرتبطُ غالباً بالضعفِ الجسدي.

ما نراه في السردِ فيما يتعلقُ بالأفرادِ يعبر عنه بشكل أوضح على يد الأنبياء، إذ يُطبَّق على الشعب بشكل عام. إشعياء ٣٠: ١٥، على سبيل المثال، يقلب تفكير العالم بشأن الإنسان رأساً على عقب. من خلال النبي يقول الرب، "بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ. بِالْهُدُوءِ وَالطَّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ". الرجوع (أو التوبة): الابتعاد عن الاعتماد على النفس والاعتراف بضعفنا وعجزنا. السكون: الفكرة المضادة للثقافة والمتعلقة بتوقف النشاط، أي إفراغ الاعتماد على الذات. وهاتان الفكرتان مرتبطتان ببعضهما البعض بعمق. إذا كنا إلهاً في واقعنا الشخصي، فإننا معتمدون على أنفسنا، نحن مسيطرون على الأمور. في الواقع، هذا هو جوهر الحياة العصرية أليس كذلك - السيطرة على ظروف المرء؟ تعبّر كلماتُ كاتب المزمور عن نفس الفكرة: "انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ" (مزمور ٣٧: ٧).

استمعْ لهذه الحقيقة: إن القلبَ الذي يتركزُ بالكامل على المسيح سيتقوى بالعمل من أجله أكثر من أي شيء آخر. وهذا صحيحٌ بغض النظر عن حالة انكسارنا. يجب أن نقاومَ جعلَ الذاتِ المركز. يجب أن نقاومَ العيشَ في قلقٍ وخوفٍ بشأن ما إذا كان بإمكاننا التحكم في عالمنا، والسيطرة على الآخرين، وإنقاذ أنفسنا. كل هذا يبعدُ الروحَ عن مصدر خلاصنا.

فمن أين يأتي خلاصك، إذًا؟ نقرأ في إرميا ٣: ٢٣ "حَقًّا بَاطِلَةٌ هِيَ الْآكَامُ نَرَوُهُ (أو اضطراب) الْجِبَالِ. حَقًّا بِالرَّبِّ إِلَهِنَا خَلَاصٌ إِسْرَائِيلَ". في يوحنا ٥: ٣٩-٤٠ يقول الرب يسوع: "فَتَشْأَوُا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةً".

في الرجوع والسكون خلاصنا، ولكن نصّ إشعياء ٣٠ يكمل قائلاً: "بِالْهُدُوءِ وَالطَّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ" (الآية ١٥). الهدوء، بينما يقصد به التوازي مع فكرة الراحة إلا أن له معناه الخاص بالنسبة لنا. فهو يحمل الشعور بالسكينة وعدم الخوف — ويمكنه أن يكون أيضاً بمثابة موازٍ لـ "شالوم" - السلام. ويا له من احتياج لدينا لمثل هذا الهدوء اليوم. ولكن من سيري أنه يساوي مصدر القوة؟

المبدأ المذكور في إشعياء ٣٠: ١٥ هو: في الهدوء والثقة أمام الله نجدُ المصدرَ الحقيقي للقوة للعيش بشكلٍ جيد، أي للعيش مع الإدراك بأن الله هو المسؤول. الهدوء هو موقفُ القلب. الرجوع، والسكون، والهدوء، والطمأنينة (الثقة) - وهذه الأخيرة هي الأصعب.

مرة أخرى، كما أن الهدوء يتوازى مع السكون، كذلك المقصود أن تتوازى الطمأنينة (الثقة) مع الرجوع (التوبة). في الحقيقة، الطمأنينة هي الوجه الآخر من العملة للتوبة، من نواحٍ عديدة. التوبة هي عملية الرجوع. والثقة هي عملية وضع نفسك في رعاية شخص آخر.

يتحدث التقليد غالباً عن مستويات الإيمان الثلاثة: نوتيشيا *notitia*، وأسينسوس *assensus*، وفيدوكيا *fiducia* (المصطلحات اللاتينية التقليدية). يجب أن تكون لدينا معلومات وبيانات (نوتيشيا) حتى نصدق أي شيء، ويجب علينا أن نصدق وأن نؤكد (أسينسوس) على صحة هذه الأفكار. لكن الرسول يعقوب يذكرنا أنه حتى الشياطين يؤمنون بالحق - وبالتأكيد لم يخلصوا. يتجاوزُ العنصرُ الأساسي للإيمان الاعترافُ بصحة شيء. يجب أن يسلم المرء نفسه إليه - أن يضع نفسه تحت رحمته. هذا هو الإيمان الذي يُخلص، والإيمان الذي يقوي، والثقة الكتابية.

في يوحنا ١٤: ١، يقول الرب يسوع لتلاميذه: "لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تَوَدُّونَ (تثقون) بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي". لكن الثقة الكتابية صعبة في عصر العلم والعقلانية والقدرة البشرية. في أعينِ عالمنا، تعتبرُ الثقة المطلقة غيرَ منطقية بشكلٍ عالميٍّ

تقريبًا. يجعلك الاعتراف بالتبعية والاحتياج عرضةً للخطر. وبالطبع، هدف الجزء الأكبر من عاملنا الحديث وحتى ما يسمى بعالم ما بعد الحداثة هو اكتساب القدرة على التحكم في الأمور والاستقلال عن كل شيءٍ من حولنا. لكن البحث عن الاستقلال والسيطرة من خلال العلم والمنطق أدى فقط إلى مزيدٍ من الإحباط والقلق بسبب عدم القدرة على الإجابة -على الأقل بطريقة مرضيةٍ بشكل نهائي- عن هذه الأسئلة الكبيرة: "لماذا أنا هنا؟" "ما هو الغرض من كل هذا؟" و"ماذا يحدث بعد هذه الحياة؟" الإجابات عن هذه الأسئلة موجودةٌ في الله من خلال ابنه، وفي كلمته، وفي الشركة مع جماعته، أي الكنيسة.

"بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ. بِالْهُدُوءِ وَالطَّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ". لكن لاحظ بعناية توبيخ النبي الصادم في النهاية، "فَلَمْ تَسْأَلُوا". اختار شعب إسرائيل (مستمعو هذه الرسالة من الله) الثقة بتحالفٍ مع القوى الدنيوية مثل مصر أو آشور بدلًا من الثقة بيهوه. في تفسيره لسفر إشعياء، حول هذه النقطة، يقول جون كالفن:

لذلك يجب علينا صرفُ أذهاننا عن النظر إلى المظاهر الحاضرة والمساعدة الخارجية، بحيث يمكن تثبيتها بالكامل على الله. لأننا فقط عندما نكون محرومين من المساعدة الخارجية نعتمد عليه بالكامل. يحلُّ لنا استخدام الأشياء الموجودة في هذا العالم لمساعدتنا، لكننا نسيء استخدامها تمامًا بشرنا في ترك الله.³⁶

تقدرُ ثقافتنا الكبرياء والانشغال على التوبة والسكون. لكن الكبرياء، والاعتماد على الذات، والعمل الأكثر كدًا لن ينقذ. تقاس القوة كثيرًا بالاعتماد على الذات والاستقلال. تقول ثقافتنا، "ثقُ بنفسك".

³⁶ John Calvin, *Commentary on the Book of the Prophet Isaiah* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1961), 2:364.

انظر إلى الأخبار السارة بعد بضع آيات في إشعياء ٣٠: ١٨-١٩: "وَلِذَلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَاءَفَ عَلَيْكُمْ. وَلِذَلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُ حَقٍّ. طُوبَى لِجَمِيعٍ مُنْتَظِرِيهِ".

ولا واحد منا يعرف بوضوح ما يمكن توقعه غداً، ولا الأسبوع القادم، أو العام المقبل. ولكن بينما نمضي قدماً، وبينما نشعر بالإغراء لعقد تحالفات غير مقدسة مع طرق العالم، يجب أن نسأل الله أن يعطينا نعمة للتوب ونرتاح فيه. نحتاج إلى الله ليمنحنا نعمة لتهدئة قلوبنا. إن قلوبنا الهادئة تقدر أن تسمعه والقلوب الآمنة تقدر أن تثق به ليقودنا عبر التجارب التي تعترض طريقنا أياً كانت. نحن نجد الخلاص في التوبة والراحة. نجد القوة، بعكس حكمة العالم، لا في قدرة الإنسان، بل في الهدوء والثقة بإله إسرائيل.

الإعاقة بصفتها موضوعاً لاهوتياً

في الكتاب المقدس

نرى في العهد الجديد، إنه بينما نحنُ أناسٌ بأجسادٍ مزروعةٍ في الضعف، إلا أن هذه الأجسادَ ستقامُ في المجد (١ كورنثوس ١٥). حتى الربُّ يسوع المسيح قد صُلب في ضعفٍ ولكنه يعيشُ بقوة الله (٢ كورنثوس ١٣: ٤). يتابعُ بولسُ قائلاً، وهكذا أيضاً نحن ضعفاء بمفردنا، لكننا نحيا بقوة الله في خدمة صلاح الله ورحمته والشهادة عنهما.

لقد رأينا كيف أنه يبدو أن اللهَ يستخدمُ الضعيفَ على وجه التحديد حتى ينالَ المجد الذي يستحقه. ضع في اعتبارك على وجه الخصوصِ الملخصَ الدقيقَ في عبرانيين ١١: ٣٢-٤٠. هناك، يُسمي كاتبُ العبرانيين، بطريقة سريعة، العديدَ من أبطال الإيمان العظام. في خِصِّ القائمةِ الطويلة، يلاحظُ الكاتبُ أنهم كانوا أولئك الذين "تَقَوَّوْا مِنْ ضَعْفٍ" والذين "لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحَقًّا لَهُمْ" وأنهم لن يكملوا بدوننا.

ياله من تناقضٍ مع الثقافةِ الأمريكيةِ الشائعة. في مطلع القرن الحادي والعشرين والألفية الجديدة، بدأت سلسلة مستمرة من أعمالٍ دراميةٍ "واقعيةٍ" تلفزيونيةٍ في أمريكا، والتي تمجدُ "الناجي". أولئك الذين ينجحون وينجون هم الأقوياء، ومن المثير للإهتمام، أن من ينجحون هم المخادعون بحذرٍ في الكثير من الأحيان. ويُعتبر الضعيفُ والهشُّ، والقابلُ للاستغلال دائماً من الخصوم وهم أولٌ من "يُصَوَّتُ عليهم للخروج" من مثل هذه البرامج. لن ترى على أحدٍ برامجِ الناجين شخصاً على كرسي متحرك أو أي شخص يعترف بضعفٍ مزمنٍ في الجسد أو الذهن أو النفس. يمجّد نموذجُ الناجي هذا الاكتفاء الذاتي. بينما يمكن للمسابقات الرياضية في حد ذاتها أن تكونَ عرضاً بريئاً للقوة وخفة الحركة (بالضبط مثلما سيمفونيات الموسيقى الكلاسيكية هي عرضٌ لخفة الحركة والدقة من نوعٍ مختلف)، مثلُ كل الأشياء الجيدة، تنتهي المتعة في التميز الجسدي في الغربِ إلى تمجيدِها الافتراضي مع الإغراءِ بإحتقارِ الضعيفِ والعاجز. كتب جان فانييه Jean Vanier، في كتابه "التحولُ إلى الإنسانية"، قائلاً:

يجد أولئك الضعفاء صعوبة كبيرة في العثور على مكانهم في مجتمعنا. فصورة الإنسان المثالي القوي القادر تحرم كبار السن والمرضى والأقرب قدره ... هناك نقص في التزامن بين مجتمعنا والأشخاص ذوي الإعاقة. مجتمع يكرم الأقوياء والأذكياء والرابعون فقط يقلل بالضرورة من شأن الضعفاء. وكأننا نقول: أن تكون إنساناً يعني أن تكون قوياً.³⁷

لكن إطار التفكير الكتابي الذي رأيناه يتشكل بشكل مختلف تماماً. يقول الله: هو وحده كامل، هو وحده يستحق المجد. كل البشر مكسورون وضعفاء ويجب أن يلجأوا إليه لشبع نفوسهم ولتقديسها.

روت جوني تادا ذات مرة قصة عن السعي لشراء حصانٍ مع أختها. قاموا بفحص الحصان بعناية لمحاولة اكتشاف أي ضعفٍ مخبأ. كتبت بحكمة قائلة:

نقاطُ الضعف. من المخيف التفكير في أن تتعري نقاطُ ضعفك، أليس كذلك؟ الضعفاتُ لها طريقة إما لرفع أو لخفض قيمتنا في عيون الآخرين. على الرغم من كل إخفاقاتك وصراعاتك، إلا أن الرب يسوع لم يشتر حياتك بسعر زهيد. فلا يوجد ثمن أعلى كان من الممكن أن يدفع. من وجهة نظره، أنت تستحق وزنك من الضعفات.³⁸

لقد اكتشفنا أن الله ليس خالق الإنسان فحسب وأننا مخلوقون على صورة الله imago Dei، لكننا رأينا أن الله أعلن عنه أيضاً أنه خالق الإعاقة. إنه أيضاً، بمفهوم عميق، مصدر الكسر وهو الشخص الذي قرر أن يستخدم هذا الانكسار من أجل مقاصده، وفي النهاية، لمجده.

³⁷ Jean Vanier, *Becoming Human* (Mahwah, NJ: Paulist, 1998), 45–46.

³⁸ Joni Eareckson Tada, *Glorious Intruder: God's Presence in Life's Chaos* (Portland, OR: Multnomah, 1990), 242–43.

لقد رأينا أيضًا أنه في المسيح يحلُّ كلُّ ملءِ الله. المسيح هو صورةُ اللهِ النهائيةِ بمعنى ما، ونحن إذًا، تحتَ العهدِ الجديد، يُعاد تشكيلُنا على صورةِ المسيح. قاد هذا فيليب هيوز Philip Hughes ليؤكد أن العهدَ الجديدَ يتحدثُ عن "تشبه المؤمنين بالمسيح". في كتابه *الصورة الحقيقية: أصل ومصير الإنسان في المسيح*، كتب قائلاً: "التشبه بالمسيح كان قصْدَ الله من خلقِ الإنسان. بما أن أصله يتسمُ بالتشبه بالمسيح، فكَذلك مصيره أيضًا".³⁹ قام المسيحُ وصعدَ بالجسد، وهو يعيشُ إلى الأبد عن يمينِ أبينا السماوي. عندما نُقام بأجسادٍ لا تَفنى، سوف نَعكسُ صورته. لذلك، بمعنى ما، نَعكسُ صورته جسديًا حتى الآن، مهما كانت تلك الصورة مكسورة. وعملية التشكيلِ الروحي- التقديس -هي عملُ الروحِ القدس لتشكيلِ أرواحنا إلى المزيدِ من التشبهِ بالربِّ يسوع.

تصورُ جوني تادا مع ستيف إستس Steve Estes هذه الفكرةَ جيدًا في كتابهما بعنوان *"عندما يبكي الله"*. إذ يناقشون معنى المعاناة، يذكروننا بالحادثَةِ القصصية عندما سئل مايكل أنجلو عما رآه وهو ينظرُ إلى كتلةٍ من الرخام غيرِ المصقول. تخبرنا القصة أنه رد بالقول إنه رأى شكلاً جميلاً مُحاصراً داخلَ الصخرة واعتبر أن من مسؤوليته بصفته فنان تحريرُ الشكلِ باستخدامِ المطرقةِ والإزميل. ثم تعلق تادا وإستس قائلين:

الشكلُ الجميل، التعبيرُ المرئي عن "المسيح فيكم رجاء المجد" هو داخلُ المسيحيين مثل إمكانية، أو احتمال. الفكرة موجودة ويستخدم الله الأزمت مثل المطرقة والإزميل، مكسرًا ومقطعًا ليكشف صورته فيك. يختار الله نموذجاً له، وهو ابنه، الرب يسوع المسيح، "لأن الذين سبقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ" (رومية ٨: ٢٩).⁴⁰

³⁹ Philip E. Hughes, *The True Image: The Origin and Destiny of Man in Christ* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989), 47.

⁴⁰ Joni Eareckson Tada and Steve Estes, *When God Weeps: Why Our Suffering Matters to the Almighty* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1997), 116, 118.

تركز ثقافتنا على المتعة ونتجنب الألم مهما كانت التكلفة. نهرب من مفهوم المطارق والأزاميل التي تعمل على أرواحنا. في يوم مسكنات الآلام هذا، والإجراءات الطبية السريعة، وما شابه، فقدنا الإحساس بهدف الجسد من تذكيرنا بضعفنا - جسداً ونفساً - ولحاجتنا إلى الفداء، والتركيز الصحيح على الله مع شوقٍ إلى السماء. هذا سبب آخر يجعل الناس المنكسرين بشكلٍ واضح لا غنى عنهم بيننا في مجتمع العهد- فهم يذكروننا أنه بغض النظر عن مدى صحة الغالبية العظمى الجسدية، إلا أنه ولا واحد منا في هذا الجسد هو في منزله! ستانلي هويرواس، في كتاب الوجود المتألم: تأملاتٌ لاهوتية في الطب، والمعوقين ذهنيًا، والكنيسة، يقول: "هويتنا، بعيدة عن أن نستنتجها من امتلاكنا لذواتنا، أو من ضبطنا للنفس، فإنها تأتي من كونك "تتجرد" من تلك القوى التي وعودها مجردٌ أوهام ... على شاكلة الأنبياء، يذكّرنا المعاقون ذهنيًا فقط بانعدام الأمن المختبئ في إحساسنا الزائف بامتلاكنا ذاتنا".⁴¹ لاحقًا، يقول بطريقة مماثلة، "في وجه المعاقين ذهنيًا، تُقدم لنا فرصة لرؤية الله، لأنهم مثل الله يقدمون لنا فرصة للتعرف على طبيعة احتياجنا".⁴²

وهذا- أي "احتياجنا"- يكمن في قلب القضية. إنجيل الخلاص بالنعمة وحدها من خلال الإيمان بالمسيح وحده يجرّد الناس من قوتهم واكتفائهم الذاتي. يخبرنا التقليد أن مارتن لوثر، بأسلوبه الفريد، أعلن ذات مرة أن كل ما نساھم به من أجل خلاصنا هو الخطية. بكل الطرق عَبر الكتاب المقدس، نجد أن البشر هم الملتقون السليبيون لنعمة الله. لا يمكننا كسبها، أو المطالبة بها، أو إدامتها، أو الاحتفاظ بها. هكذا البشر (جميع الأجناس والأنواع والفئات من الناس) غير قادرين على استعادة ذلك الذي فُقد من الصورة في السقوط. تعاليم الكتاب المقدس واضحة أن إعادتنا إلى صورة المسيح، كما هو الحال مع النعمة، هي عمل الله وحده.

⁴¹ Stanley Hauerwas, *Suffering Presence: Theological Reflections on Medicine, the Mentally Handicapped, and the Church* (South Bend, IN: Notre Dame Press, 1986), 169.

⁴² Ibid., 179

ومثلما تعملُ الثقافةُ جاهدةً لدفنِ حقيقةِ خطايانا وفنائنا، هكذا تفعلُ الكنيسةُ أيضًا في كثيرٍ من الأحيان. بينما نعتزُّ بإيماننا بالخلاص بالنعمة، نرتدي جميعًا ملابسَ جميلة ونعمل بجدٍ لنبدو نظيفين، وفي حالةٍ صحيةٍ جيدة، وكاملين (في كثيرٍ من الأحيان نفعل هذا لجميع الأسباب الخاطئة).

لا تعكسُ الروحانية الحقيقية صورةَ التفوق أو القوة أو "الوجود معًا". بدلًا من ذلك، فالروحانية الحقيقية عادية جدًا وشفافةٌ في نواقصها وضعفها. كان الربُّ يسوعُ في بشريته إنسانًا عاديًا جدًا بل وحتى ضعيفًا. كان مثلنا جميعًا ضعيفًا بشكلٍ عادي بصفته طفلًا رضيعًا في المذودِ وضعيفًا بشكلٍ غير عادي وهشًا على الصليب.

يدلُّ غيابُ المعوقين عن الكنيسة على أن الكنيسة لم تدرك بعد بشكلٍ عميقٍ بما فيه الكفاية جوهرَ الإنجيل. وبالعكس، فقد شربَ شعبُ الله بعمقٍ جدًا من بئر الأيديولوجية الثقافية فيما يتعلقُ بالكمال والانكسار. إذا كان المعاقون غيرَ مرحبٍ بهم من قبل الكنيسة، هذا غير البحث عنهم بقوة من قبل الكنيسة، فقد يكون ذلك، مثل العالم من حولنا، بسبب أننا نفضّل أن نعتقد أننا في طريقنا إلى التعافي، وأننا أقوىاء في المسيح وأصحاء. نحن نفضل ألا تزعجنا الرعاية التي يحتاجها أولئك الذين يعيشون بالانكسار. لا نتمنى أن يذكرنا أحدٌ من خلال وجودهم في حد ذاته، بمقدار مشابھتنا لهم فعليًا.

لكن مارفا داون توجه اتهامًا عن حقٍ قائلة، "هناك عطبٌ شديدٌ في حياتنا وكنائسنا إن كنا نعملُ بموجب القوة بدلًا من الضعف الذي يسكن فيه الله".⁴³ بالفعل من الممكن أن يوجه الاتهامُ القائل إن العديدَ من كنائسنا ومؤسساتنا المسيحية مكتفية ذاتيًا لدرجة أن الله لم يعد ضروريًا لجميع الأغراض العملية. لأننا إذا فهمنا القوة المغيرة في الإنجيل، لأدركنا عدم قدرتنا، وضعفنا، وانكسارنا بأكثر شدة. يمنحنا الإنجيلُ

⁴³ Marva J. Dawn, *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 53.

الحرية للإعتراف بما لا يريدُ العالمُ أن يسمعه: نحن غيرُ قادرين تمامًا، ولكن إلّٰهنا قادرٌ للغاية. حتى الإشاراتُ الكتابية الإيجابية الكثيرة إلى المواهب، والخدام المجهزين والموهوبين (ويندرج تحته كلُّ شيء من التعليم إلى الموسيقى إلى الحرف الفنية لبناء خيمة الاجتماع والهيكل) يجبُ رؤيتها في ضوء حقيقة أن هذه المواهب هي من عند الله ومستهدفة لمجده.

في إعلاننا لعدم قدرتنا الجوهرية ولقدرة الله العليا بصفته مانح كل العطايا الجيدة، يمكننا أن نجمع من حولنا الأشخاص المكسورين المشابهين لنا في التفكير، والأشخاص المكسورين المشابهين لنا في الجسد، فنشهد معًا بطريقة معاكسة للثقافة بشكل جذري أنه عندما نكونُ ضعفاء، يكونُ هو قويًا، ومن ثم ينالُ المجد الذي يستحقه وحده. لقد رأينا أنه على الرغم من أن الله خلق البشرية للشركة مع نفسه، إلا أن هذه الشركة انكسرت بالسقوط. كانت النتيجة أن البشر لم ينفصلوا عن الله في علاقتهم فقط. ما رأيانا من الكتاب المقدس هو أن انكسارنا يؤثرُ بعمق في كل مجالٍ من مجالات الحياة. كتب ستيفارت جوفيج Stuart Govig قائلاً:

في أعماقنا، يدركُ معظمنا أننا "ننتمي إلى ندوبنا" بينما نتكشفُ تجاربُ الحياة. ومع ذلك، فإننا نعيشُ في مجتمعٍ يرفضُ الاعترافَ بهذه البصيرة، هذا غير احترامها. تصورنا الإعلاناتُ التليفزيونية مجتمعًا لا علاقة له بالضعف، أو التواضع، أو الصمت. بينما تحدثُ الشيخوخة، فإن العيوبَ على أيدينا والشيبَ على رأسنا يصبحُ أعداء يجبُ هزيمتهم بأحدث المنشطات. تصبح الأدوية متاحة للصداع وآلام الظهر. من المفترض أن تخففَ المنتجات المختلفة استياءً من الوحدة والمرض. بدلاً من مواجهة حقيقة أن كل واحدٍ منا عرضة للكسر، وعرضة للعيوب، تلعبُ شركائُ الدعاية على آمالنا في منع الألم والنقص أو القضاء عليهما. بدلاً من تعلم دروسٍ قيمة عن الحياة من الأشخاص ذوي الإعاقات الذين في وسطنا، نرتحلُ ونحافظ على بعدنا عنهم.⁴⁴

⁴⁴ Stuart D. Govig, *Strong at the Broken Places: Persons with Disabilities and the Church* (Louisville, KY: Westminster, 1989), 30.

نحن منكسرون وضعفاء في كل جوانب الحياة: علائقيًا، وروحانيًا، وجسديًا، وأخلاقيًا، وعاطفيًا. أصعب هذه الجوانب في إخفائه هو الضعف الجسدي. يمكننا أن ننكر الجوانب الأخرى أو أن نتجنبها (إلى حد ما)، أما الضعف الجسدي فإنه عادة ما يكون واضحًا أمام عيوننا. مرة أخرى، يصيغ هاورواز Hauerwas براءة قائلاً:

ربما لهذا السبب يخيفنا المعاقون ذهنيًا كثيرًا - لأنهم يذكروننا أنه على الرغم من كل ادعاءاتنا إلا أننا عاجزون مثلهم عندما يُقال ويفعل كل شيء. مثلهم، نعتمد على الآخرين من أجل حياتنا ومن أجل الأمور البسيطة التي تجعل الحياة قابلة للعيش. إلا أننا نفضل أن نبقى إعتماديتنا مخفية، لأننا نتوهم أننا، على عكس المعاقين ذهنيًا، نتحكم في وجودنا. هكذا نسمي أولئك الذين يعتمدون بشكل واضح على الآخرين أنهم "متخلفون" من أجل أن نميزهم عند مقارنتهم بنا. بالنسبة للمسيحيين، يجب أن يكونَ هذا التمييزُ لعنةً بشكلٍ خاص، لأن محتوى الوحي ذاته يعلمنا بالضبط أننا شعبٌ مُعتمد على آخرٍ بالفعل.⁴⁵

يذكرنا الانكسار الجسدي بأننا محدودون، وبأن العالم ليس كما ينبغي أن يكون. لهذا السبب، تتركس الثقافة جهدًا غير عادي لإخفاء الضعف أو لتجنبه، وللتركيز على القوة، وبناء القدرة الملموسة من خلال التمرينات البدنية وغير الملموسة من خلال التدريبات الشخصية، وسماسة التأثير، وما إلى ذلك. لكن الإنجيل يدعو جميع الناس إلى إدراك الأخبار السيئة: نحن خطاة ومنكسرون. أو كما قال البعض، "الأخبار السيئة هي أننا أسوأ بكثير جدًا مما كنا حريصين أن نصدقَه عن أنفسنا". فقط من خلال استيعاب الأخبار السيئة أولاً، يمكن لبشرى الإنجيل أن تكونَ جيدة مثل قصيد الله منها أن تكونَ حقًا. تقولُ الأخبارُ السارةُ إننا على الرغم من أننا أسوأ مما نودُ أن نصدقَه، إلا أن نعمة الله أعمقُ جدًّا وأغنى جدًّا مما كنا نتخيل. لكنها متاحة فقط لأولئك الذين يدركون حاجتهم.

⁴⁵ Hauerwas, *Suffering Presence*, 184.

قال الرب يسوع، "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى ١١: ٢٨). أولئك الذين يعرفون أنهم غير كافين وغير قادرين، مدعوون للمجيء وإيجاد الراحة لنفوسهم. تعتمد قوة الإنجيل المغيرة هذه على التغيير لأولئك الذين يعرفون أنهم بحاجة إليها، لا لمساعدتهم فقط. ليس الإنجيل بهذا المعنى مجرد عكاز. بل هو مجسات الصدمات الكهربائية المشحونة لإرسال القوة الواهبة للحياة لقلوب الموتى، فتحي وتجلب حياة جديدة لنفوس ميتة.

قد يسمعُ العالمُ إعلاننا للإنجيل بشكلٍ مضادٍ للثقافة، ولكنه سيكون أقوى جدًّا إن أمكنه رؤيته مُعاشًا في الكنائس التي تحقّق تكليفَ لوقا ١٤ عن طريق جلب المكفوفين، والعرج، والصُم، والبُرس، وأي شخصٍ آخر محروم ثقافيًا، ومرفوضًا، ومكسورًا. يقول هاورواز، نقلًا عن "البيان الرعوي حول المعاقين" الصادر عن المؤتمر الوطني الأمريكي للأساقفة الكاثوليك عام ١٩٧٨، إن الأساقفة يحذرون الكنيسة قائلين:

ينبغي الترحيبُ بالمُعاقين بامتنانٍ في جماعة الكنيسة حيث يمكننا الاستفادة من مواهبهم الروحية وإدراكهم للذات، الذي يشاركونه مع بقيتنا في المجتمع المسيحي، أي أننا جميعًا "نعيشُ في ظلِ الصليب". يذكّرنا هذا الظلُّ بأننا جميعًا أناسٌ "مُهمَّشون" مما ينتجُ حاجتنا إلى التكامل المتبادل.^{٤٦}

وبطريقةٍ متناقضة، فإن الموهبة الروحية الخاصة بالوجودِ في الضعفِ والتي يبينها هؤلاء المعوقون هي القوة التي يقدمُها هؤلاء للكنيسة. هم يحضرون بتلك الموهبة تحقيقًا ذاتيًا أكثر دقة لما نحن عليه جميعنا أمام الله. التكليف الكتابي واضح، ولكن كيف تجاوزت الكنيسة مع الضعف والانكسار الخاص بالإعاقات عبر العصور؟

⁴⁶ Ibid., 187.

الجزء الثاني



يحبُّ المسيحيون الكتابَ المقدسَ ويبحثون فيه أولاً، عن حق، عن الإرشادِ حول كيفية العيش في هذا العالم. يحب بعض الناس التاريخَ، والبعض الآخر لا. لكننا نتجاهلُ التاريخَ ونتحملُ الخطر. أقول هذا لأن الفصولَ القادمة تأخذنا إلى التاريخ - ويمكن الاعترافُ بأن الذهابَ إليه سيكون قاسياً. إذا لم تكن من محبي التاريخ، فقد تتعرضُ للإغراء لتخطي كل ذلك من أجل الوصول إلى "الأمور الجيدة التالية".

لكنني أشجعك بعكس هذا. فإن أصواتَ التاريخ تعلم لحظتنا الحالية. نحن نقفُ على أكتافٍ من سبقونا، للأفضل (أحياناً) وللأسوأ (غالباً!). ولكن، بينما نقرأ تاريخَ الفكرِ فيما يتعلقُ بالإعاقات، قد تصابُ بالصدمة، أو الإحباط، أو التسلية، أو التشجيع أو حتى التشويش. لكن مع خروجنا إلى الجانبِ الآخر، أعتقدُ أنك ستري بوضوحٍ أكثر لماذا يفكرُ بعضُ الناس ويتصرفون كما يفعلون اليوم فيما يتعلقُ بالإعاقات.

الفصلُ الخامس

ما نتعلمُه من الرابين،
ومن الكنيسةِ الأولى،
ومن عصرِ الإصلاح

عندما كانت ابنتي جيسيكا أصغر سنًا، لم يكن عجزُها الجسدي ملحوظًا جسديًا كما هو واضح الآن. ولكن نظرًا لأنها لم تستطع المشي، استخدمنا عربة أطفال كبيرة الحجم لتتحرك بها. لم يكن من غير المألوف بالنسبة لنا أن يقترب منا الأطفال الأصغر سنًا ويسألوا: "ما خطبها؟ ماذا بها؟" كان هذا السؤال يدور أيضًا في أذهان الأطفال الأكبر سنًا وبالبالغين، ولكن الأطفال الأصغر سنًا، لأنهم أقل تثبيطًا، كانوا يطرحون السؤال الذي لن يطرحه الآخرون.

استغرق الأمرُ مني بعضَ الوقت لمعرفة كيفية الإجابة عن هذا السؤال بطريقة يمكن للأطفال الصغار فهمها. لم يكن شرح علمي للفارق الوراثة الدقيق لشذوذ كروموسوماتها محتملًا في النهاية استقرتُ على هذا: كنتُ أقول، "أتعلم؟ في الواقع لا يوجد شيءٌ "خطأ" في جيسيكا. هي على الصورة التي أراد لها الله أن تكونها. هي مختلفة فقط عني وعنك في بعض الطرق. لا تستطيع الركض أو التحدث. لكنها تحب الابتسام والضحك، وتحب الموسيقى (وخاصة جارت بروكس!) والطعام الجيد".

ربما كانت هذه الإجابة غير مرضية للكبار، إلا أن الصغار كان يجيبون عادة قائلين: "حسنًا". عادة يرضي هذا الجواب من الأطفال الصغار. ولكن بقدر ما كنتُ أتمنى أن تكون هذه نهاية الأمر، إلا أنني أعلم أنها ليست كذلك. هكذا خلقها الله، ولكن كما قلنا بالفعل، على سبيل المثال، أن الصمم، حتى عندما يكون خلقيًا، يبدو منفصلًا عن تصميم الله للآذان. بالطريقة نفسها، فإن دماغ (مخ) جيسيكا، بالرغم من أنه يشبه أدمغة جميعنا إلى حد كبير، إلا أنه يختلف عن مُخنا أيضًا وغير قادرٍ على العمل مثله.

سؤال الطفل سؤالٌ صادق، وقد أزعج الناس - نعم، حتى شعب الله- عبر العصور. ما "الخطأ" في هذا الشخص المُصابِ بمتلازمة داون؟ لماذا وُلد هذا الرجل أعمى؟ لا أفهم متلازمة "كورنيليا دي لانج" وتأثيراتها على الأفراد. لماذا يعاني هذا الشخص من إعاقة عقلية ومثالية؟ ما الذي يجعلهم هكذا؟

لقد رأينا ما يقوله الكتاب المقدس، لكن من الضروري أن نفحص، على الأقل إلى حد ما، كيف أجاب شعب الله عن هذه الأسئلة عبر القرون. سوف يساعدنا هذا على فهم كيف وصلنا إلى أن نرت الآراء التي لدينا اليوم (سواء أكانت صواباً أم خطأ، جيدة أم سيئة). مع أخذ هذا في الاعتبار، ننتقل الآن إلى النظر في كيفية رؤية القادة في جميع أنحاء تاريخ الغرب وتاريخ الكنيسة لذوي الإعاقة وتعليقهم عليهم فيما يخص *imago Dei* (صورة الله). أسعى لتمثيل تيارات الفكر الرئيسية التي أثرت في موقف المسيحية اليهودية الحالية من الإنسان على صورة الله ومن الإنسان المكسور والمُعاق. سوف ننظر في مصادر الرابين والمصادر اليونانية من وقت كتابة العهد الجديد، النابعة من بعض تأملات آباء الكنيسة الأوائل. ثم سننظر لاحقاً إلى تأملات رئيسية من العصور الوسطى، ومن فكر الإصلاح، ثم ننتقل أخيراً إلى الفترة الحديثة والمفكرين الحاليين.

كما وردَ في مقدمة هذا القسم، قد تبدو بعض هذه المواد مقصورةً على فئة معينة يصعب دراستها وفهمها. في الواقع، سنجد أن الإشارات المباشرة للأشخاص ذوي الإعاقة نادرة في الأدب المبكر. يرجع هذا، إلى حد ما، إلى الحقيقة أنه حتى يومنا هذا، كان عدد قليل من ذوي الإعاقة يبقى على قيد الحياة بعد سن الطفولة المبكرة. لذا، فحتى نقترب من العصر الحديث، فإن معظم التأملات التاريخية ستركز على إيماءات داي. مرة أخرى، ما اعتقده الناس عبر العصور يؤثر بعمق على أفكارنا اليوم.

المصادر الرابينية واليونانية المبكرة

إن أدب العصر التلمودي في اليهودية الرابية معقدٌ - إنها متاهةٌ من أنواع الأدب المتداخلة.^{٤٧} ترتبط كل الكتابات الأدبية بالأسفار العبرانية إلى حد ما، على الرغم من

^{٤٧} بالترتيب الزمني التقريبي، بعد أن توقف الوحي في العهد القديم، أنتج الرابينون اليهود ما يلي: المشناه (قانون شفهي نظري) تم تدوينه حوالي عام 200م، توسفتا (إضافات إلى المشناه وتكبرها بحوالي أربع أضعاف) بعد فترة وجيزة؛ مدراش هلاخا (تحتوي على مخطئا وسفرا وسيفر) حوالي عام 300م؛ ميدراش الأقداء (التي تحتوي على رباح ويسكتا) بعد مائة عام؛ وأخيراً التقاليد التلمودية، وكلا شرحي المشناه من إسرائيل (البروشالمي) ومن بابل (البابلي) حوالي عام 400 بعد الميلاد و450-650 م على التوالي.

الإعتراف بأنها بعيدة عنها في كثيرٍ من الحالات. لقد رأينا بالفعل في الفصل الثاني أن العهد القديم يتحدث بأشكالٍ عديدة، صريحة أحياناً، وخفية أحياناً أخرى فيما يتعلق بالإعاقات. تتبع كتابات الرايين هذا التوجه. يبدو أن الكتاب القديم، المشناه، يربط الإعاقات بالخطية والعقاب (على الرغم من أنهم كانوا يرون الإعاقة المرتبطة بالشيوخه بمزيدٍ من الرحمة وربما الاحترام). إلا أنه، في وقتٍ لاحق، في توسفتا، تم توجيه الناس إلى النطق ببركة عند رؤية شخصٍ ذي "تكوينٍ جسمانيٍّ جديرٍ بالملاحظة"، كما يقول أبرامز.⁴⁸ نقرأ في التوسفتا:

من يرى إثيوبياً، أو أمهقاً، أو [رجلاً] مرقطاً باللون الأحمر في الوجه، أو [رجلاً] مرقطاً بالأبيض في الوجه، أو أحداً، أو قزماً (أو أصم أو أباكماً أو مُعاقاً ذهنيّاً أو سكراناً) يقول مبارك (أنت أيها الربُّ إلَها، حاكمُ الكون الذي خلقَ مثل هذه) المخلوقاتِ المتنوعة.

[من يرى] شخصاً مبتوراً، أو أعرجاً، أو أعمى، أو مُصاباً بالدمامل، فليقل: "مباركُ (أنت أيها الربُّ إلَها، حاكمُ الكون) القاضي الحقيقي." ⁴⁹

المنظورُ الإيجابي هنا هو أن الرايين أكدوا على أن كلَّ الناس في جميع المواقفِ بغضِّ النظر عن حالتهم البدنية لا يزالون بشرًا ذوي درجةٍ ما من الكرامة. الجانب السلبي هو أن أولئك الذين ظهر عليهم الإبتلاء بشكلٍ واضحٍ كانوا يعتبرون محكومًا عليهم من الله في كثيرٍ من الأحيان.

صقلَ التلمودُ هذا التفكيرَ أكثرَ لتمييزٍ بين أولئك الذين ولدوا "طبيعيين" ولكنهم أصبحوا مُعاقين فيما بعد والذين ولدوا بحالةٍ إعاقةٍ ما. إلا أن، ما حلَّ محلَّ الفروق

⁴⁸ Judith Abrams, *Judaism and Disability: Portrayals in Ancient Texts from the Tanach through the Bavli* (Washington, DC: Gallaudet University Press, 1998), 118.

⁴⁹ Tosefta Berachot 6:3.

الدقيقة المختلفة في التيارات المتنوعة من التفسيرات الربابية، كان تأكيداً بالإجماع على الحياة مهما كان شكلها. على الرغم من أن حالة يمكن اعتبارها دينونة، إلا أن الشخص لا يزال يُقدر بصفته من خلق الله. استخدم أبرامز توضيح الزواج اليديوي لتلخيص منظور الرابيين: بالنسبة لبعض الاستخدامات (على سبيل المثال، خدمة الهيكل)، فإنه يجب استخدام أفضل الأواني - تلك التي بدون عيب. ولكن في معظم المناسبات، لا تجعل العيوب سواء كانت طفيفة أو كبيرة الوعاء غير صالح للاستخدام.

كان العالم اليوناني مختلفاً تماماً. ففي القرن الرابع قبل الميلاد، طوّر أفلاطون فكرته عن الدولة والمجتمع المثاليين في كتابه المهم **الجمهورية**. قال هناك:

هذا إذن هو نوع العلاج الطبي والقضائي الذي من أجله سوف تقوم بالتشريع في ولايتك. سيوفر العلاج لأولئك من مواطنيك الذين يكون تكوينهم الجسدي والنفسي جيداً. أما بالنسبة للآخرين، فإنه يُترك من ليس بحالة صحية جيدة ليموت، وأولئك الذين تكوينهم النفسي فاسدٌ بشكل لا يمكن علاجه سيميتهم. يبدو أن هذا هو أفضل شيء لكل من الفرد الذي يعاني وللمجتمع.⁵⁰

هذه النفعية الوحشية (فعل ما هو أفضل للمجتمع بأسره، حتى لو كان ذلك يعني القسوة على الفرد) كان شائعاً في اليونان وروما. بدون مفهوم إيماجو داي *imago Dei*، كان الضعف البشري يُعتبر عبئاً على الجميع.

وفقاً للثنائية اليونانية الرومانية الكلاسيكية، رأى معظم الفلاسفة اليونانيين (ولا سيما أفلاطون وأرسطو) أن النفس مثقلة وربما تُسخر من قبل الجسد بطريقة ما، وتتوق إلى العتق والخلود. اعتبروا بشكل عام المنطق والفكر على أنهما أعلى وظيفة بشرية. في كتاب **فايدو** *Phaedo* لأفلاطون، المنطق هو الذي يشمل النفس وينجو من الجسد. مرة أخرى، في كتاب **فيدروس** *Phaedrus* لأفلاطون، فإن الإرادة مثل سائق عربية يجرها

⁵⁰ Plato, *Republic*, 173.

الخيول والذي يجب عليه أن يراقب اثنين من الخيول البرية اللذين يسحبان العربة (تعاذلُ الخيول البرية تقريبًا المنطق والمشاعر).

ولكن، مما يعكسُ أيضًا مفهومًا نفعيًا، فقد مارسَ كلُّ من اليونانِ وروما بانتظام التخليّ عن الرضع الذين أظهروا ضعفًا جسديًا. كان هؤلاء الأطفال إما يُنقلون إلى حفرةٍ مشتركةٍ (مذكورة عدة منها في اليونان في الأدبيات) أو يُتركون ببساطةٍ خارجَ القرية ويعرضون للعوامل الجوية ليموتوا. خلال بعض العصور في اليونان، كان الكمال الجسدي معيارًا واسع الإنتشار. حتى أن دستور اسبرطة الذي كتبه زينوفون أعلن أنه يمكنُ للرجل أن يفقدَ جنسيته إذا فشلَ في الحفاظ على لياقته البدنية.⁵¹ في اسبرطة، كان من المتوقَّع أن ينمو الأولاد ليصبحوا رجالًا أقوياء جسديًا، وتربى الفتيان الصغيرات ليصبحن سيداتٍ قوياتٍ يمكنهن أن يلدن أولادًا أقوياء وأكثرَ صحة. أي وليد مشكوك فيه كان يُتخلَّص منه ببساطة.

من ناحيةٍ أخرى، لم يَعتبرَ التقليدُ اليهوديُّ المسيحيُّ أبدًا أن قتلَ الأطفال أو التخلص منهم أمرًا مسموحًا به. يؤكد التلمودُ هذا عن طريق القول بأن مثل هذه الأعمال تخص الوثنيين فقط (ب. أفودا زارا ٢٦ أ). في الواقع، انتشرت شائعاتٌ في روما في القرن الأول مفادُها أن المسيحيين كانوا أكلةً لحوم البشر على وجه التحديد لأن المسيحيين سيأخذون الأطفال المتروكين لإنقاذهم من الموت. وانتشرت الشائعاتُ أن المسيحيين كانوا يستخدمون هؤلاء الأطفال في طقوس "وليمة الدم" الخاصة بهم. لا شيء يمكنُ أن يكون أبعدَ من ذلك عن الحقيقة، بالطبع. سعى المؤمنون الأوائل فقط إلى إنقاذ أولئك الذين تركوا للموت لإعطائهم الحياة.

⁵¹ Abrams, *Judaism and Disability*, 119.

الكنيسة الأولى وكنيسة العصور الوسطى:

من أغسطينوس حتى الأكويني

صرح ديفيد كيرنز David Cairns رسميًا قائلًا، "في جميع الكتاب المسيحيين حتى الأكويني نجد أن صورة الله تُفهم على أنها قدرة الإنسان على المنطق".^{٥٢} يرى إيريناؤس (١١٥ - ٢٠٠ م تقريبًا) على سبيل المثال، بشكل غير صحيح تمايزًا بين الصورة والشبه. اعتبر الصورة الطبيعة العقلانية للإنسان، والتي لم تضع بالسقوط. لكن الثانية، الشبه، اعتبرها تشابه الإنسان الأخلاقي مع الله، "رداء البر" والذي فُقد في السقوط واستُرد في عملية الفداء والتقديس. يمكن رؤية نفس الاستنتاجات في كلميندس (١٥٠ - ٢١٥ م. تقريبًا)، وأثناسيوس (٢٩٦-٣٧٣ م. تقريبًا)، وغيرهم من القادة في عصر الكنيسة الأولى. على مدار الوقت، طوّر الفكر الكاثوليكي في روما تمييزًا مشابهًا لما توصل إليه إيريناؤس، عندما تحدث عن إِمَاجو داي *imago Dei* وسيميليتودو داي *similitudo Dei*، الصورة والشبه. لقد رأى أن الصورة أكثر هيكلية ووظيفية، وبالتالي لم تضع تمامًا بالسقوط (على الرغم من كسرها بالتأكيد)، والشبه هو التشابه الأخلاقي، والذي فُقد بالكامل في السقوط ويُسترد جزئيًا فقط من خلال التجديد والتقديس. من الناحية التفسيرية، نرى الآن المصطلحين "صورة" و "شبه" (الكلمات العبرية هي *tselem* وديموت *demut* المذكورة في الفصل الثاني) على أنهما مرادفاتٌ شعريةٌ بدلاً من كونهما مصطلحاتٍ مختلفة.

يؤكد أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠ م)، على سبيل المثال، أنه بما أن الله ثالثٌ في كيانه، يجب على الإنسان أن يعكس هذا الجانب الثالثي في الإِماجو. خلص أوغسطينوس إلى

⁵² David Cairns, *The Image of God in Man* (New York: Philosophical Library, 1953), 110.

أن هذا يُرى في قوة ذاكرة الإنسان، وفهمه، ومحبته، أي في جميع مظاهر عقلانية الإنسان.^{٥٣}

في أعقاب أوغسطينوس، جاء بوثيوس (٤٨٠-٥٢٤ م)، والذي اشتهر بعمله الضخم بعنوان عزاء الفلسفة (وهو العمل القياسي في هذا المجال لنحو ألف سنة!). استمر بوثيوس أيضًا في رؤية التركيز على شخصية الإنسان على كونها موجودة في عقلانيته، قائلًا ما يلي:

يجب أن تضع في اعتبارك أن كل ما قلته حتى الآن كان لغرض تحديد الفرق بين الطبيعة والشخص ... التعبيرات عينها، والتي يجب أن تطبق على كل حالة، يجب أن تُترك لقرار الاستخدام الكنسي. في الوقت الحالي، دع هذا التمييز بين الطبيعة والشخص يحمل ما أكدته، أي أن الطبيعة هي الخاصية المحددة لأي مادة، والشخص هو المادة الفردية للطبيعة العقلانية. أكد نسطور على أنه في المسيح، كان الشخص ذا شقين، مما جعله يضل بالفكرة الخاطئة بأن الشخص يمكن تطبيقه على كل طبيعة. بناءً على هذا الافتراض، بعد أن فهم أن في المسيح طبيعتين، أعلن أنه كان هناك شخصان أيضًا.^{٥٤}

ننظرُ بعدَ ذلك إلى توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤)، وهو مفكرٌ سكولاستي "مدرسي" رائدٌ في العصور الوسطى، وعقلٌ عملاقٌ في التقليد المسيحي. ننظر، بإيجازٍ محرجٍ مُعترفٍ به، مجالين من فكره: فكرة الوجود في حد ذاته بصفته شيئًا صالحًا، وفكرة العقلانية بوصفها مركزية لصورة الله في البشر.

⁵³ For an articulate but brief examination of this, see Richard Lints, "Augustine and the Mystery of the Trinity," *Tabletalk* 20, no. 6 (June 1996): 14–15, 53.

⁵⁴ Boethius, "A Treatise against Eutyches and Nestorius" in *Theological Tractates* (London: W. Heinemann, 1918), 4:32, 36. My emphasis.

أولاً، صاغ الأكوييني إطاراً فلسفياً عميقاً "للوجود والخير". يوضح هانز رايندرز Hans Reinders أن الأكوييني يدعي أن الخير والكينونة (أو الوجود) هما نفس الشيء لأنه في الوجود، هناك على الأقل شيء يقترب من الكمال، بينما في عدم الوجود، لا يوجد شيء يقترب من الكمال.⁵⁵ يقول رايندرز، "مهما كان موجوداً، فهو خير، لأن له حقيقة واقعية، والواقعية لها (نوع من) الكمال، مما يجعلها أفضل من اللا شيء، والذي ليس له كمال أيّاً كان".⁵⁶ ثم يطبق رايندرز هذه الفكرة على الانكسار، فيقول:

لا يمكن لتفسير الأكوييني للوجود على أنه خير أن يكون صحيحاً بالنسبة للإنسان الذي يعاني من إعاقة عميقة، بدون صعوبة بالغة. السبب أنه بحسب معنى الوجود فقط، فإن الشخص المعاق بشكل عميق يفتقر إلى الخير من تحقيق إمكاناته البشرية لأن هذه الإمكانية غير موجودة، على حد علمنا، أو موجودة فقط بشكل هامشي.⁵⁷

في سياق هذه المناقشة، يطور رايندرز فكرة أن لحظتنا الحديثة تؤمن أن "الخير" في الحياة ينطبق فقط على تلك الأشياء التي نختارها لأنفسنا إذا كان لدينا قوة الاختيار المطلقة. فيقول، "يكون العالم متجانساً مع الأشخاص عندما تكون الظروف التي يوفرها لنا هي ما كانت ستكون عليه إذا كان لدينا قوة اختيارها".⁵⁸ هذا يعني أن الحياة تكون جيدة عندما تتوافق مع ما تقول الثقافة عنه إنه جيد أو صحيح أو مناسب أو طبيعي وأن الحياة ليست جيدة إذا كانت أقل مما كنا لنختاره. يعارض رايندرز بحق أن "الحياة كما هي" جيدة لأن "الوجود" في حد ذاته أمر جيد - بالتأكيد أفضل بكثير من "عدم الوجود". تشير افتراضاتنا الحديثة في الكثير من الأحيان إلى أن عدم الوجود أفضل من

⁵⁵ Thomas Aquinas, *Summa Theologica* (New York: Benzinger Bros., 1947), 1a.5.q1.

⁵⁶ Hans Reinders, "Life's Goodness: On Disability, Genetics, and 'Choice'" in *Theology, Disability and the New Genetics: Why Science Needs the Church*, ed. John Swinton and Brian Brock (London: T & T Clark, 2007), 171.

⁵⁷ Ibid., 173.

⁵⁸ Ibid., 171.

الوجود إذا كانت حالة وجودنا تقع في مستوى معين من الجودة أو الوظيفة أدنى من خطٍ خفيفٍ وغير واضحٍ من المقبولية والوظائف. مثل هذا التفكير، مهما كان سائداً في الثقافة، إلا أنه قطعاً على خلافٍ مع المفهوم المسيحي عن عناية الله السيادية بخليقته.

ثانياً، يقدم الأكويني الفكر الأكثر تطوراً في عصرٍ ما قبل الإصلاح فيما يتعلق بالعقلانية باعتبارها جوهر وجودنا في صورة الله. كتب في كتابه *Summa* (الخلاصة اللاهوتية)، قائلاً:

يقال إن الإنسان على صورة الله، ليس فيما يتعلق بجسده، ولكن من حيث ما يتفوق به على الحيوانات الأخرى. ومن ثم عندما قال: "تَعْمَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، يضيف قائلاً: "فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ" (تكوين ١: ٢٦). يتفوق الإنسان على جميع الحيوانات بعقله وذكاؤه. لذا، فبسبب عقله وذكاؤه، وهما أمران غير ماديين، يقال إن الإنسان على صورة الله.⁵⁹

في منطق الأكويني يمكننا تتبع الفكر الذي قاد اللاهوتيين باستمرار إلى استنتاج أن صورة الله موجودة في المقام الأول، إن لم يكن حصرياً، في القدرات العقلانية للإنسان. أولاً، تحدّد تلك الصفات التي تميز الإنسان عن الحيوانات. ثم تُصاغ قائمة من صفات الله مأخوذة من الكتاب المقدس. أخيراً، تُستنتج الصفات المشتركة بين كلتا الفئتين لتكون تلك الصفات التي تشكل صورة الله الموجودة في كل واحدٍ منا.

اعتبر الأكويني الجسد عنصراً من مكونات الصورة بالمعنى المجازي فقط. قال إنه بما أن الإنسان فقط من جميع المخلوقات لا "يميل إلى الأرض"، ولكنه قادرٌ على التحديق نحو السماء وبالتالي يفكر في الله، فإن الجسد يحتوي على الصورة أكثر من أي حيوان آخر. وختم قائلاً: "لا يُفهم هذا وكأن صورة الله موجودة في جسد الإنسان. ولكن بمعنى أن شكل الجسم البشري في حد ذاته يمثل صورة الله في النفس عن طريق الأثر".⁶⁰

⁵⁹ Aquinas, *Summa Theologica*, 1.15.

⁶⁰ Ibid., 1.93.6.

في وقتٍ لاحقٍ، في نفس المكان، يناقش الأكوييني ما إذا كان الشخصُ غيرُ المؤمنِ يمكنه أن يعرفَ اللهَ من خلال الإعلان الطبيعي باستخدام عقلائيته، وهو يذكرُ الإعاقَةَ العقليةَ قبلَ الإصلاحِ بشكلٍ نادر. على الرغم من أنه يذكرُ بوضوح في السياق أنه يؤمنُ أن صورةَ الله تكمنُ في العقل، إلا أنه قالَ إن الصورةَ موجودةٌ بشكلٍ جامعٍ إلى حدٍ ما في كلِ البشر "سواء كانت صورةَ الله هذه باهتةً جدًّا - يمكننا أن نقول، غيرَ واضحة- حتى أنها غيرُ موجودةٍ تقريبًا، كما هو الحالُ في هؤلاء الذين يفتقرون إلى استخدامِ العقل؛ أو إذا كانت قائمةً ومشوهة، كما هو الحالُ في الخطاة. أو ما إذا كانت مشرقةً وجميلة، كما هو الحالُ في الشخص البار".⁶¹

من الإصلاحِ إلى العصرِ الحديث

نرى في الإصلاحِ بصيرةٌ جديدة في فهمِ الكتابِ المقدسِ واللاهوتِ تندلُح في الكنيسةِ حيث كانت الخرافاتُ والباطنية باقية في تياراتٍ قوية - في كثيرٍ من الأحيان حتى بين المصلحين أنفسهم. يُعتبرُ مارتِن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦)، وهو أبو الإصلاحِ، مثالًا جيدًا.

لم يكن لوتر أبدًا ليتركك تتساءلُ عما كان يفكرُ فيه بالضبط حيالَ قضيةٍ معينة. للأسف، اقتبسَ قائلًا إن صبيًّا معاقًا ذهنيًّا يبلغُ من العمرِ اثني عشرَ عامًا كان "مجردَ قطعةٍ من اللحم بدون روح" وأوصى بقتلِ الصبي. يقولُ بول ألثاوس Paul Althaus إن لوتر "أشار إلى الأطفال المشوهين على أنهم تغيراتٌ لم يخلقها الله، بل هم صنعُهُ إبليس. إما لأنهم لا روحَ لديهم، أو لأن الشيطان هو روحُهُم".⁶²

قد تصدمنا مثلُ هذه الرؤية الضيقة والتفكيرِ الخاطئِ في منطقة التنوير المدرك لذاته التي نحن فيها، لكن العديدَ من الناس في الكنائس المسيحية (وحتى الإنجيلية) ربما يكونون أقربَ إلى فكرِ لوتر في القرون الوسطى مما نود أن نصدقَه أو أن نعتَرِفَ به. سوف نناقشُ الآثارَ المترتبة على مثلِ هذا التفكيرِ ونحن نغضي قدمًا.

⁶¹ Ibid., 1.93.9 and 3.

⁶² Paul Althaus, *The Ethics of Martin Luther* (Philadelphia, PA: Fortress, 1972), 37-38, 99-100.

اشتهر جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤ م) بعمله اللاهوتي الحريص، وفي مجال صورة الله والإعاقات لم يكن مختلفاً، فقد تجنب الأخطاء التي ارتكبتها اللاهوتيون والقادة السابقون. في كتابه **أسس الدين المسيحي**، يوضح أنه يتفق مع التقليد حتى هذه النقطة أن صورة الله موجودة في المقام الأول في الجوانب المادية للبشرية، وتحديدًا في النفس.^{٦٣} إلا أنه، يُحسب له أنه أضاف قائلاً: "على الرغم من أن العرش الأساسي للصورة الإلهية هو في العقل والقلب، أو في النفس وقواها، ومع ذلك لا يوجد جزء من الإنسان، ولا حتى الجسد نفسه، لم يتوهج فيه بعض الشرر".^{٦٤} في لغة كالفن الحية المميزة يتمسك بشدة أن الصورة الإلهية، بسبب السقوط، كانت في حالة "تشوه مربع"، "مفسدة وكادت أن تُمحي"، "مرتبكة، مشوهة، وموبوءة بالأمراض"، لكن من خلال كل هذا، نجت بعض البقايا.^{٦٥} أشار كالفن إلى أن الكائن بأكمله قد تأثر بالسقوط: جسدياً نعاني من قصر العمر والألم في الإنجاب، وروحياً نرى الطبيعة المتمردة وعدم القدرة على التجاوب مع الله.

تلخيص الأصوات المبكرة

لقد بدأنا هذا الفصل من خلال النظر فيما فكر فيه القادة المحددون عبر التاريخ بشأن معنى أن يكون الإنسان مصنوعاً على صورة الله. وجدنا أن رأي الأغلبية ركز على الجوانب غير المادية لوجود الإنسان: في المقام الأول الفكر، والإدراك، والتواصل وما شابه. ربما تكون صيغة رينيه ديكارت، "**Cogito, ergo sum**" ("أنا أفكر، إذن أنا موجود") بطريقة ما تصف وجهة نظر الإنسان عن صورة الله عبر العصور. يحدد التفكير إحساسنا بالوجود، ولا نجادل في أهمية هذا الأمر. بالطبع الجوانب الروحية، والعقلانية، والعلائقية للإنسان هي أكثر ما ي فصلنا عن بقية الخليقة، ولكن هذه الجوانب غير المادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجسد.

⁶³ John Calvin, *The Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia, PA: Westminster, 1960), 1.15.3 and 1.15.4.

⁶⁴ Ibid., 188.

⁶⁵ Ibid., 189–90

وفيما يتعلّق بالجسد، فقد وجدنا مجموعة من الأفكار المتنوعة. يُظهر التاريخُ بعضَ التحركات (على سبيل المثال الثنائية الغنوصية المبكرة) حيث كان الجسد يعتبر شرًّا بالدرجة الأولى، وشيئًا يجب إخضاعه تمامًا. اعتبر آخرون الجسد أداة لتنقل الروح فقط، لا تساوي شيئًا بعد ذلك. في الثقافة اليهودية التلمودية نكتشف محاولةً متأنيةً للموازنة بين الناموس الكتابي والرحمة الكتابية. من ناحيةٍ، رأينا رفضًا صارمًا للتشوه الجسدي من أي نوعٍ تقريبًا بين أولئك الذين كانوا يخدمون الله، ولكن في الوقت نفسه، كان هناك قبولٌ رحيمٌ - وحتى حماية - لأولئك الذين كانوا وسطَ جماعةٍ إسرائيليةٍ ويحملون عيبًا جسديًا. في العصور الوسطى وعصر الإصلاح نجد البعض ممن استمروا في نهجٍ خرافي تجاه المشوهين أو المُعاقين، فراحوا يساوون مثل تلك الحالات إما مع الخطية أو مع التدخل الشيطاني.

سواء أعجبك ذلك أم لم يعجبك، سواء أكانت هذه المفاهيم صحيحةً أو خاطئة، إلا أنها الأساس الذي تقوم عليه أفكارُ العالم الحديث. دعونا نمضي قدمًا الآن للنظر في تأملات أحدث حول الإعاقة.

الفصلُ السادس

ما نتعلمُه من العصرِ الحديث

بعد بضع مئاتٍ من السنين إلى عصرٍ ما بعد الإصلاح في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ننظر بإيجازٍ إلى إثنين من المفكرين الأكثر تأثيرًا، وهما تشارلز هودج Charles Hodge (١٧٩٧-١٨٧٨ م) وج. جريشام ماتشين J. Gresham Machen (١٨٨١-١٩٣٧).

كما كان الحال مع الكثيرين ممن سبقوهم، رأى كلا الرجلين أن صورة الله موجودة في العناصر غير المادية لكيان الإنسان. قال هودج، "الله روح، والنفس البشرية روح. الصفات الأساسية للروح هي العقل والضمير والإرادة. (الإنسان) هو صورة الله ... ويعكس الشبه الإلهي ... لأنه روح، وفاعلٌ ذكيٌّ يعملُ بإرادته".^{٦٦} ذهب ماتشين إلى أبعد من ذلك، فأزال احتمال أن يحمل أي عنصر جسدي الصورة، فقال: "لا يمكن أن تشير صورة الله بشكل جيد إلى جسد الإنسان، لأن الله روح: لذلك يجب أن تشير إلى نفس الإنسان".^{٦٧}

كارل بارت Karl Barth (١٨٨٦-١٩٦٨)، وإميل برونر Emil Brunner (١٨٨٩-١٩٦٦)، وج. سي. بيركوير G. C. Berkouwer (١٩٠٣-١٩٩٦)، جميع اللاهوتيين العمالقة الثلاثة ذوي الإسهامات الفريدة للفكر المسيحي في القرن العشرين، اقترحوا بشكلٍ مفاجئٍ من الاتفاق، حول هذه النقطة، في أنهم جميعًا رفضوا المنظور التقليدي السائد عبر التاريخ: والذي يربط صورة الله في الإنسان بعقلانيتنا. بدلًا من ذلك، فإن هؤلاء الرجال الثلاثة جميعهم يساوون بين الصورة والأداء العلائقي للإنسان. يؤكد بارت أن الرجل والمرأة يحملان صورة الله في علاقتهم مع بعضهم البعض، بينما يبدو أن برونر وبيركوير (مع استخدام لغةٍ مختلفةٍ بشكلٍ واضح) كلاهما يؤكدان على أن الإنسان يحمل الصورة الإلهية بشكلٍ أوضح في العلاقة العمودية مع الله.

⁶⁶ Charles Hodge, *Systematic Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1940), 2:96-97, 99.

⁶⁷ J. Gresham Machen, *The Christian View of Man* (New York: Macmillan, 1937), 169.

وبشكلٍ أكثر تحديدًا، تمسك بركوير بمنظورٍ ضيقٍ على الإيمانِ داي، مؤكدًا أنه بينما يظل الإنسان إنسانًا ويستحق الكرامة والقيمة، إلا أن الصورة الإلهية فُقدت تمامًا في السقوط وتُسترد فقط في العلاقة بالله. يقول بركوير أيضًا إن "الكتاب المقدس يتحدث دائمًا ببساطة عن الإنسان بصفته مخلوقًا على صورة الله، ولا يعطي أي مبرر لاعتبار جزءا من الإنسان فقط على أنه مشارك في الصورة الإلهية".⁶⁸

كان ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer (١٩٠٦-١٩٤٥) عالمَ لاهوت وكاتبًا استمر تأثيره على الكنيسة لفترةٍ طويلة بعد إعدامه من قبل النظام النازي في نهاية الحرب العالمية الثانية. في الكتابات المنشورة مؤخرًا حول الخلق والتكوين، يعلق بونهوفر على جسدية خلق الإنسان، قائلاً:

إنه [الجسد] صورة الله ليس على الرغم من طبيعته الجسدية بل تحديدًا فيها. لأن البشر في طبيعتهم الجسدية مرتبطون بالأرض وبأجساد أخرى. هم موجودون من أجل الآخرين ويعتمدون على الآخرين. في وجودهم الجسدي يجد البشر إخوتهم وأخواتهم ويجدون الأرض. لكونهم هذه المخلوقات، فإن البشر المصنوعين من التراب والروح هم "مثل" الله خالقهم.⁶⁹

لكونه اعترف بأهمية جسديتنا في صورة الله، كان بونهوفر يعد الطاولة لآخرين ليتبعوه.

في وقتٍ سابقٍ من هذا الكتاب، أظهرنا أن الكتاب المقدس يحتوي على أدلةٍ دامغةٍ على أن إنجيل يسوع المسيح، قوة الله المُخلصة، تُفهم وتُدرك لا في القوة أو في الاكتفاء الذاتي ولكن في الضعف والانكسار. فوق ذلك، إذا كان هذا هو الحال، فإننا نجادل أن الأشخاص ذوي الإعاقة (تم تعريفهم سابقًا على نطاقٍ واسعٍ بأنهم أولئك الذين يحملون

⁶⁸ G. C. Berkouwer, *Man: The Image of God*, trans. D. W. Jellema (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1962), 63. Emphasis in the original.

⁶⁹ Dietrich Bonhoeffer *Creation and Fall: A Theological Exposition of Genesis 1-3* (Augsburg: Fortress, 2004), 79

على أجسادهم أو فيها الظروف الجسدية والعقلية التي تعتبرها البشرية إعاقة) يوضحون أماننا بطريقة ملموسة قدرة الإنجيل على التغيير. أخيرًا، إذا كان هذا صحيحًا، فإننا نسأل لماذا نرى القليل جدًا من الأشخاص ذوي الإعاقة في مقاعد الكنيسة المحلية العادية. إذا كان الإنجيل يأتي في الضعف والانكسار، فلماذا نرى أن ذوي الإعاقة غائبون في الكثير من الأحيان عن جماعة العهد الخاص بشعب الله؟ بالفعل، يجب علينا أن نرى أنفسنا ضعفاء ومنكسرين وأن نتذكر تلك الحقيقة من خلال وجود أعضاء جسد المسيح الضعفاء والمنكسرين بشكل أكثر وضوحًا بيننا.

لذا ننتقل الآن للنظر إلى الدراسات التاريخية والمعاصرة فيما يتعلق بالإعاقات في فكر الكنيسة عبر العصور. أولًا، سوف نلخص في فئات واسعة كيف عرّف المفكرون صورة الله. ثم نمضي قدمًا لفهم تيارات الفكر التاريخية المختصة بالطبيعة المكسورة لتلك الصورة ونقيس تلك المفاهيم في مقابل تعاليم الكتاب المقدس.

ما الذي يجعل الإنسان شبه الله؟ كيف وضع الله بصمته على البشر؟ تخبرنا النصوص المهمة في وقت مبكر من سفر التكوين أن الله رغب أن يصنع الإنسان على صورته حتى تتسلط على الخليفة (تكوين ١: ٢٦). وأن الله قد خلقنا بالفعل على صورته ذكرًا وأنثى (تكوين ١: ٢٧). وأنه عيننا لممارسة السيادة على الأرض (تكوين ١: ٢٨). وأن الله خلقنا من تراب الأرض ونفخ فينا نسمة حياة حتى صرنا كائنات حية (تكوين ٢: ٧). ولكن كانت هناك آراء متباينة عبر العصور بشأن ما تعنيه هذه النصوص بالضبط - بأية طريقة يحمل البشر صورة الله. بشكل عام، سادت ثلاث فئات من الفكر. وسنلخصها قبل مسح تاريخ الفكر اليهودي المسيحي فيما يتعلق بالإعاقات.

وجهة النظر الجوهريّة

تعتبر الأشكال المختلفة لهذا الرأي جميعًا أن جوهر الصورة الإلهية في الإنسان موجود في خواص أو صفات معينة سائدة بشكل عام وقاطع بين كل البشر. كل الآراء التي تعتبر أن الصورة موجودة في الجوانب الجسدية، أو العقلية، أو النفسية، أو الروحية للإنسان

(أي مادة ما سواء كانت جسدية أو ميتافيزيقية) تندرج تحت هذه الفئة. الشكّل السائد لهذا الرأي يتمسك بأن المنطق أو القدرة الفكرية هو جوهر أو مركز الإيمان داي. من الواضح أن هذه القدرة على التفكير وتحقيق الذات تفصل الإنسان بشكل قاطع عن بقية الخليقة. الأمر الشائع في هذا الرأي هو مفهوم أن الله هو الذي أسس صورته أو وضعها في الإنسان (على الرغم من وجود نقاش كبير حول متى أنعم الله بهذه الصورة على الإنسان بالضبط). الواضح هو أن الله هو الخالق وهو مانح صورته ومعطيها؛ لا يمكن للإنسان أن يحقق هذا الأمر ولا أن يجد هذه الصورة من خلال الجهد الشخصي أو اكتشاف الذات. أي صورة جوهرية هي معطاة من الله وليست من صنع الإنسان أو من تحقيقه.

وجهة النظر العلائقية

يرى هذا الرأي، وهو في الأساس نتاج الفكر اللاهوتي الحديث، أن الصورة ليست متأصلة وجوديًا في الإنسان بل بالأحرى أنها تظهر في الرجل والمرأة بينما يدخلان في علاقة مع الخليقة حولهما، وخصوصًا في علاقتهما ببعضهما البعض. لذا، فإن الإيمان داي ليس صفة بل هي علاقة تشتمل على التبادل.

بينما يرى البعض أن هذه النظرة العلائقية تتحقق في أي نوع من العلاقات، يقصرها الآخرون على العلاقة بين الرجال والنساء. يرى هذا، على سبيل المثال، في كتابات اللاهوتيين الألمان في القرن العشرين كارل بارت وإميل برونر. حتى أن بارت يذهب إلى حد القول إن الرجل لا يعكس صورة الله إلا عندما يكون في علاقة مع امرأة، والعكس صحيح، فالمرأة التي في علاقة مع الرجل فقط هي التي تعكس صورة الله.⁷⁰

⁷⁰ For a fine summary of Barth's teaching in this area, see David Cairns, *The Image of God in Man* (New York: Philosophical Library, 1953), 164–179 and Anthony Hoekema, *Created in God's Image* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986), 49–58. For a brief but pointed critique of Barth's view see John Frame, "Men and Woman in the Image of God," in *Recovering Biblical Manhood and*

أؤكد على أن العلاقة بين الذكر والأنثى أمرٌ بالغ الأهمية لإنسانيتنا، ويقول هويكيما بحقٍ إن "المرأة تتمم الرجل وتكمله، مثلما يتمم الرجل المرأة ويكملها".^{٧١} حتى أنه يمكن أن يقال إن الرجل والمرأة يشبهان الله بشكلٍ أكمل معًا. إلا أنه، يبدو من غير اللائق والضعيف من الناحية التفسيرية رفعُ هذا المفهوم إلى حد كونه العنصر السائد في إيماجو داي.

يوسع آخرون وجهة النظر المحدودة هذه لتشمل آية علاقات بين البشر، والعلاقة بين البشر وبيئتهم، أو ببساطة العلاقة بين الله والبشر.

وجهة النظر الوظيفية

ترى وجهة النظر الوظيفية أخيرًا أن إيماجو داي ليست في الصفات الجسدية أو الروحية، ولا في العلاقات، ولكن فيما يفعله الإنسان، وكيف يعمل. الرأي السائد هنا هو أن "السيادة" هي جوهر الصورة الإلهية.^{٧٢} بينما فعل الحكم على الخليقة، وممارسة السيادة، هو هدفٌ ونية خطيرة لخالقنا (انظر الفصل الثاني)، إلا أنني أعتقد أن هيلموت تيليك بالغ جدًا في قوله، "إن الشبه الإلهي ... عبارة عن هذا الإعلان، هذه الممارسة للسيادة والتسلط".^{٧٣}

والمثير للدهشة أنه يبدو أن هويكيما أيضًا يدوي بصدى هذا الموقف فيقول إنه "من وجهة نظر الكتاب المقدس الهيئة ثانوية، بينما الوظيفة أساسية".^{٧٤} يواصل تيليك

Womanhood: A Response to Evangelical Feminism, ed. John Piper and Wayne Grudem (Wheaton, IL: Crossway, 1991), 228–230, but especially note 31 on page 508.

⁷¹ Hoekema, *Created in God's Image*, 97.

⁷² Most consistently and prominently articulated by Leonard Verduin—see Robert C. Newman, "Perspectives on the Image of God in Man from Biblical Theology," *Evangelical Journal* 2, no. 2 (1984): 66–76.

⁷³ Helmut Thielicke, *Theological Ethics* (Philadelphia, PA: Fortress, 1966), 157. Emphasis in the original.

⁷⁴ Hoekema, *Created in God's Image*, 95.

بالقول إن محاولة فصل جوهر الصورة الإلهية عن إظهاراتها تنتهك عقلية الفكر العبراني. مرة أخرى، أعتقد أن هذه مغالاة في القضية.

الأمر الأكثر هامشية (وربما يكون ذا دافع سياسي وثقافي وزمني) هي وجهات النظر التي مثل وجهة نظر ديفيد هول، الذي يرى الصورة الإلهية على أنها المشاركة الفعالة في ممارسة السيادة المحافظة على البيئة وعلى موارد الخليقة.⁷⁵

من الواضح أن هناك عناصر من الحقيقة في جميع وجهات النظر الثلاث بشأن ما الذي يشكله إيماجو داي. ملخص هيوكيما في كتابه بعنوان "مخلوق على صورة الله" عادل في هذا الصدد (على الرغم من أنه يشير إلى اثنين فقط من وجهات النظر الثلاث):

المشكلة هي كالتالي: هل يجب أن نفكر في صورة الله في الإنسان على أنها تنطوي فقط على ما يحويه الإنسان وليس ما يفعله، أم ما يفعله فقط وليس ما هو عليه، أو كليهما، ما هو عليه وما يفعله؟ هل "صورة الله" هي مجرد وصف للطريقة التي يعمل بها البشر، أم أنها وصف أيضاً لنوع المخلوقات التي هم عليها؟ ... أنا مقتنع أننا بحاجة للتمسك بكلا الجانبين.⁷⁶

على الرغم من أننا، بكل تأكيد، يجب علينا أن نتمسك بوجهات النظر الثلاث هذه بطريقة ما، لنقدر أن نفهم بشكل صحيح كيف نعكس صورة الله، إلا أن تركيز الأسبقية يجب أن يكون على المعنى الوجودي (وجهة النظر الجوهرية)، والتي يجب أن تسبق دائماً جانبي العمل والعلاقات المرتبطة بهويتنا. فمن نحن يسبق ما نقوم به أو علاقاتنا بالآخرين. أعتقد أن أهمية هذه الأولوية ستبرز ونحن نمضي قدماً، إلا أنه، إلى حد ما، ومن الواضح، أن الجانب الوجودي، والعلائقي، والوظيفي، يحدد ويفترض أحدهما الآخر. إذا كنا نعكس صورة الله وجودياً (في كياننا)، فبالطبع ستعكس علاقاتنا وعملنا

⁷⁵ David Hall, *Imagining God: Dominion as Stewardship* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986).

⁷⁶ Hoekema, *Created in God's Image*, 69.

هذه الصورة. ولا يمكننا العمل بشكلٍ كاملٍ بصفتنا صورًا إلهيةً إذا لم تكن لدينا الطبيعة الوجودية للقيام بذلك.^{٧٧}

أخيرًا، في ثقافتنا المعاصرة، نجد - إلى حدٍ ما - أن كلَّ وجهات النظر هذه تذوبُ معًا بالطرق الغربية السائدة في المجتمع والكنيسة. وتستمرُّ وجهات نظر الثقافة الغربية وممارساتها وفي كثيرٍ من الأحيان وجهات نظر الكنيسة في التمدد على نطاقٍ واسع. هناك من يصرون على رؤية التشوهات والإعاقات دليلًا على الخطية، على أنها شيءٌ يجب إدانته ورفضه. يرى آخرون المعوقين موضوعاتٍ يُرثى لها يجب رعايتها ولكن لا يجب قبولها بشكلٍ كاملٍ في المجتمع أو الكنيسة. سوف نلخص هذه النتائج أيضًا مع تبعاتها ونحن نُمضي قدمًا.

^{٧٧} أدين بالشكر لجون فرايم لأنه أحضر تلك الفكرة الهامة أمامي.

الجزء الثالث



حتى الآن في رحلتنا، سعيناً أولاً إلى الاستماع إلى صوتِ الله من النصوصِ المقدسةِ
للأسفارِ العبرية (الناموس، والأنبياء، والكتابات)، وفي العهدِ الجديد بصوتِ الربِّ يسوع
(الأنجيل)، وبأصواتِ الرسل (أعمال الرسل ورسائل العهد الجديد). بعد ذلك، لجأنا إلى
التاريخ ونظرنا إلى أصواتٍ مختارةٍ مختلفةٍ من التقاليد اليهودية والمسيحية عبر القرون
وصولاً إلى القرن العشرين.

سنقومُ في هذا الجزء الثالث من الكتابِ بالنظرِ إلى ما نقوله لحظتنا الحالية في التاريخ
من كلِّ من وجهات النظر العلمانية والمسيحية.

الفصلُ السابعُ

ما نتعلمُه من

الأصواتِ العلمانيةِ الحاليةِ

حتى هذه النقطة، أخذنا في الاعتبار وجهات نظر الأشخاص الذين يمثلون التقليد اليهودي المسيحي التاريخي الواسع عبر القرون. بينما ننتقل إلى أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، يجب علينا أيضًا النظر إلى آراء بعض من هم من خارج التقليد المسيحي.

في العقود العديدة الماضية، حقق التقدم الطبي نجاحًا غير مسبوق في الحفاظ على نفوس ذوي الإعاقة في مجتمعاتنا. ومن هنا يأتي ازدياد وجود الأشخاص ذوي الإعاقة، ومعه يزداد وجود المناقشات بشأن: الحقوق، وإمكانية الوصول، وتخصيص الموارد الطبية، وتغطية الرعاية الصحية، ووَأد الأطفال والقتل الرحيم للأشخاص ذوي الإعاقة، ومؤخرًا ظهرت أيضًا الأبحاث الجينية والخلايا الجذعية. هذه الموضوعات، كل واحد منها، هي موضوعات معقدة خارج نطاق هذا الكتاب لدراساتها بشكل ملائم، وقد فعل الكثيرون ذلك بطريقة ممتازة. يجب علينا هنا النظر إلى الأصوات العلمانية الأكثر تطرفًا حتى نحصل على فهم أفضل لبعض الكتابات والردود من مجتمع المُعاقين، والتي ستتيح ستساعدنا هذه الأصوات على فهم السبب الذي يجعل الكثيرين في ثقافتنا يتفاعلون بالطريقة التي يتفاعلون بها مع وجود أولئك الذين يعيشون بإعاقة. ثم سنجيب عن هذه الأصوات، في الفصول التالية، بإنجيل المسيح التاريخي المليء بالرجاء كما يُطبق على مجتمعنا المليء بالمكسورين.

جودة الحياة تحكم الأخلاقيات العلمانية

ليس عالم الأخلاقيات الشهير بيتر سينجر Peter Singer غريبًا على هذا الجدل. للكثير من السنوات كانت كتاباته عن البشر والكرامة الإنسانية نقاطًا مضیئة للخلاف والقلق. في عام ١٩٩٨، عُيِّنَ الدكتور سينجر بصفته أستاذًا إيرا ديليو. ديكامب ستر للأخلاقيات البيولوجية في الجامعة للقيمة الإنسانية في جامعة برينستون. يرجع الأمر في جزء كبير منه إلى وجهات نظره حول الإعاقة والإنسانية، فلم يكن مفاجئًا أن يسبق تعيينه في هذا المنصب الأكاديمي المهم إلى حد كبير احتجاج الطلاب. لا تترك تصريحاته بشأن

الأطفال ذوي الإعاقات الشديدة مجالاً للشك بشأن موقفه من القضايا المختصة بقيمة إنسان مع وجود إعاقة. فمثلاً:

إذا قارنا رضيعاً بشرياً معيماً بشدة مع حيوانٍ غير بشري، أي كلبٍ أو خنزير، على سبيل المثال، سنجدُ في الكثير من الأحيان أن غيرَ البشري لديه قدراتٌ متفوقة، فعلية ومحتملة، للعقلانية، والوعي الذاتي، والتواصل وأي شيء آخر يمكن أن يُعتبر ذا دلالة أخلاقية. مجرد حقيقة أن الرضيع المَعِيَب هو عضوٌ في سلالة البشر العاقلين homo sapiens يؤدي إلى معاملته بطريقةٍ تختلف عن معاملة الكلبِ أو الخنزير.^{٧٨}

في حين أن ردَّ فعلنا الأولي لمثل هذا البيان قد يكون على مستوى من الصدمة أو الاشمئزاز، فإنني معجبٌ بقوة ثباته في أن يعكس بدقة المنظورَ العالميَ العلمي والنفعي عندما يجرّد نفسه من أي مفهومٍ عن الله أو عن كرامة الإنسان. إذا كنا بالفعل نتاجَ التطور، وإذا أصبحت المواردُ في يومٍ من الأيام شحيحة، فسوف يتوصلُ إلى أنه يجب علينا أن نبدأ في تحديد كيفية استثمار الموارد فيما يتعلقُ بالبشر. وبشكلٍ يتفقُ مع الكثير مما رأيناه عبر التاريخ، يقيدُ سنجر "الأهمية الأخلاقية" في الجوانبِ غير المادية للحالة البشرية. إن كان الطفلُ حديثُ الولادة والمولودُ بإعاقةٍ يفتقرُ إلى مثل هذه القدراتِ المميزة، فعلى الرغم من أنهم قد يكونون بشرًا، إلا أنهم ليسوا "شخصًا" بشريًا.

تحدثُ سينجر مباشرة إلى مجتمعِ المُعاقين، معرفًا بعضَ الأشخاص ذوي الإعاقة على أنهم "يتمتعون بحياة لا تستحقُّ أن تُعاش".^{٧٩} بالطبع، هذه هي نفسُ المصطلحاتِ التي استخدمها النظامُ النازي Lebensunwertes Leben- (حياة غير جديرة بالعيش).

⁷⁸ Peter Singer, "Sanctity of Life or Quality of Life?" *Pediatrics: Journal of the American Academy of Pediatrics* (July 1983) cited in "Appendix A," *Human Life Review* 9, no. 4 (Fall 1983): 88.

⁷⁹ Peter Singer, *Practical Ethics*, 2nd ed. (Cambridge University Press, 1993), 184.

واستخدم هذه المصطلحات النظام الألماني في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي لإضفاء الشرعية على إبادة طبقات مختلفة من الناس في البلدان المحتلة. كتب سينجر قائلاً إن بعض الأطفال حديثي الولادة ذوي الإعاقة يمكن أن يُبرر قتلهم خلال ثمانية وعشرين يوماً من الولادة وأن "قتل الرضيع المعاق ليس معادلاً أخلاقياً لقتل شخص".^{٨٠} وفي كثير من الأحيان ليس خطأ على الإطلاق.^{٨١} لكن يجب أن نفهم أن وجهة نظر سينجر حول حديثي الولادة المعاقين تهيئ وتهدد جميع الأشخاص الذين يعانون من إعاقات. إن آراءه (والتي في الغالب يعتنقها سراً أو بدون وعي أشخاص أكثر جداً مما يمكننا أن نتخيل) تحفظ، بل وتعطي المصادقية الأكاديمية لمفهوم أن الأشخاص ذوي الإعاقة ليس لهم قيمة كأشخاص "عاديين" بطريقة أو بأخرى. على الرغم من أنه يفرض نظرياً التمييز ضد البالغين من ذوي الإعاقة، إلا أن هؤلاء البالغين من المبرر أنهم يشعرون بالغضب الشديد شخصياً لأنه يدعي أنه كان من الممكن قتلهم، وربما كان يجب قتلهم وهم رضع حديثو الولادة.^{٨٢} يمكن للمرء أن يرى التناقض المنطقي (أو ربما البراجماتية الثقافية) عند تفضيل سينجر أن يقتل الرضيع، ولكن إذا نجا إلى عمر غير مُحدد ما، يُعطى له الحق في الحياة، مهما كان هذا الحق هامشياً.

طُرحت وجهة نظر مماثلة قبل بضع سنوات من قبل الدكتور جيمس واطسون، الحائز على جائزة نوبل، والذي ساعد في اكتشاف الحلزون المزدوج للحمض النووي، ورئيس مشروع الجينوم البشرية في أوائل التسعينيات. قال: "إذا لم يُعلن الطفل أنه على قيد الحياة إلا بعد ثلاثة أيام من ولادته، فيمكن السماح لجميع الآباء بالاختيار ... يمكن للطبيب السماح للطفل أن يموت إذا اختار الوالدان ذلك ويعفيهما الكثير من البؤس والمعاناة".^{٨٣} قد نعتقد أنه بالنسبة للدكتور واطسون، فإن أسوأ شيء هو رفع

⁸⁰ Ibid., 194–97.

⁸¹ Ibid., 191.

⁸² Ibid., 189.

^{٨٣} جيمس واطسون، اقتباس في "الطب"، في مجلة *النايمز*، 28 مايو، 1973، 104. بعض المفسرين في ذلك الوقت، عند إعطاء ميزة الشك، تكهنوا بأن تعليق الدكتور واطسون كان صادم بشكل متعمد للتحذير من احتمال حدوث خلل في الولادات الناتج عن "أطفال جدد يتم تلقئهم في المختبر". في العناية

البؤس والمعاناة حتى لو كان ذلك معناه الموت. ولكن يجب علينا أن نسأل، بؤس ومعاناة من هي التي نسعى لرفعها في مثل هذه الحالات؟ في كثيرٍ من الأحيان لا تكونُ المعاناة أو البؤس المفترض للشخص ذي الإعاقة ولكن "معاناة" أولئك المثقلين (جسدياً أو ماليًا) بمسؤولية رعاية الشخص ذي الإعاقات. في كثيرٍ من الأحيان يعتبرُ الناسُ رعاية المكسور مسؤولية بائسة. حتى أن المرءَ يسمَعُ هذا في الكنيسة: "ياله من صليبٍ ثقيلٍ هذا لتحمله!"

أحدُ الأمثلة الأخيرة هو كتابُ الدكتور جاك كيفوركيان، والذي تلقى تغطية إعلامية كبيرة لمدة موسم. على الرغم من أن معظمَ عملائه (ضحاياه؟) كانوا أشخاصًا يعانون من حالاتٍ مرضيةٍ مستعصية في حالتها النهائية (وأعترف أنه في معظم الحالات، وليس كلها، لم يكن لديهم سوى أشهر فقط أو أقل للعيش)، إلا أن كيفوركيان قال إن هؤلاء الأشخاص يشكلون عشرة بالمائة فقط من أولئك الذين يحتاجون إلى المساعدة على الانتحار! في رأيه، فإن غالبية الذين يحتاجون إلى الاستفادة من استراتيجية الخروج الخاصة به هم من ذوي الشلل الرباعي، وأشخاص يعانون من التصلب في أنسجة متعددة، وحتى الأشخاص الذين يعانون من التهاب المفاصل الشديد.

نفسُ الرجل الذي قدّم الاستشارة القانونية للدكتور كيفوركيان، واسمُه جورج فيلوس، قدم أيضًا الاستشارة القانونية والدعم لمايكل شيافو في سعيه لإنهاء حياة زوجته ذات الإعاقة الخطيرة، تري. (من الشيق أن محاميا مفتاحيًا آخر في هذه القضية، وهو توماس بيريلي، عينه الرئيس باراك أوباما في عام ٢٠٠٩ لثالث أعلى منصبٍ في وزارة العدل.) يمكن قولُ الكثير (وقد قيلَ الكثيرُ بالفعل في أماكن أخرى) عن هذه القضية المحزنة. باختصار، في عام ١٩٩٠، كانت السيدة تري شيافو (تسعة وعشرين عامًا في ذلك الوقت)

الإلهية، في عامي 1990 و1991 كانت مؤتمرات خدمات ليجونير في سان دييغو تُقام في نفس الموقع مع الندوة الدولية السنوية لمشروع الجينوم البشري. في إحدى المرات أتاحت لي الفرصة أن أتحدث بشكل شخصي مع الدكتور واطسون لمعرفة إذا كان لا يزال يتمسك بوجهة النظر هذه فيما يتعلق بالرُضّع المعاقين والتي عبّر عنها قبل بضع سنوات. بمجرد أن أصبحت طبيعة سؤالي واضحة، طردتني تمامًا واختفى بسرعة في غرفة خاصة.

تعاني من إصابة دماغ ناجمة -جزئياً على الأقل- عن عدم توازن البوتاسيوم. تركتها إصابتها في حالة إعاقة شديدة. ومع ذلك، على عكس تقارير وسائل الإعلام، لم يتم إبقاؤها على قيد الحياة بواسطة الأجهزة، ولم تكن في غيبوبة، ولم تكن في خطر الموت. كانت مجرد شخص بالغ معاق بشكل خطير. من بعض النواحي، لم يكن وضع حياتها والرعاية التي احتاجتها مختلفين بشكل كبير عن ابنتي جيسكا.

بعد فترة وجيزة من الفوز بتسوية مالية كبيرة (حوالي ١.٣ مليون دولار، والتي كان من ضمنها ٧٥٠.٠٠٠ دولار كانت وديعة لتغطي مصاريف رعايتها طويلة الأمد)، أكد زوجها مايكل أنه قبل سنوات كانت زوجته قد عبرت شفهيًا له أنها لن ترغب أبدًا في العيش في مثل هذه الحالة. هكذا بدأ لتقديم التماس للمحكمة (في عام ١٩٩٨) لسحب الطعام والسوائل منها للسماح لها بالموت. استمرت القضية في المحاكم ووسائل الإعلام لسنوات. لكن السلطات القضائية في فلوريدا حكمت في النهاية لصالح الزوج بصفته الولي الشرعي، وتم تكريم رغباته. ماتت تيري شيافو من الجوع والجفاف في الحدود الهادئة والمعقمة لمرق الرعاية في سانت بطرسبرج، فلوريدا، في مارس ٢٠٠٥.

تم تجاهل العوامل المخففة كثيرًا من قبل وسائل الإعلام والمحكمة ولكنها نُقلت على نطاق واسع من قبل مصادر إخبارية محافظة ومؤيدة للحياة. سعى والداها وعائلتها الممتدة للفوز بالحق في رعايتها على نفقتهم الخاصة. منع زوجها "ولي أمرها وحاميها" مرارًا الرعاية البسيطة عن زوجته وعلاجها الطبي على أمل أن تتدهور حالتها وتموت. ينص السجل العام على أن العاملين في مرافق الرعاية شهدوا أنه كان يتصل للاطمئنان على حالتها واشتكى ذات مرة قائلاً، "متى ستموت تلك العاهرة؟" خلال خمسة عشر عامًا من الصراع في المحاكم، بدأ السيد شيافو في العيش مع امرأة أخرى، وأنجب معها طفلين، لكنه لم يتزوجها حتى تموت زوجته لئلا ينقض الطلاق منها حقه على زوجته المعاقة. بدا واضحًا أن "ولي أمر وحامي" تيري شيافو كان مهتمًا بشكل أكبر بحماية المال أكثر من حماية الحياة البشرية.

ثمة تطورٌ معبرٌ في هذه القصةِ الحزينة هو أنه بعد وفاتها، كتب مايكل شيافو على شاهد قبر زوجته بأنها "غادرت هذه الأرض ٢٥ فبراير ١٩٩٠، في سلام ٣١ مارس ٢٠٠٥". بالطبع، على الرغم من أنه من الواضح أنه اعتبرها "ميتة" من عام ١٩٩٠، لم تكن ميتة على الإطلاق. لقد كانت مُعاقبة- ولكنها كانت لا تزال إنسانا، شخصًا مخلوقًا على صورة الله، تستحق كل الكرامة والرعاية التي يجب أن يتلقاها أي إنسان.

تظهر هذه القضية والعديد من القضايا الأخرى مثلها تآكلًا خطيرًا في احترام الحياة لذوي الإعاقة. وفي قضية بيبي دو في بلومنجتون، إنديانا، في عام ١٩٨٢، شهدت المحاكم السماح لطفل حديث الولادة مع متلازمة داون أن يموت من الإهمال والجفاف في المستشفى بناءً على رغبة الوالدين بالرغم من الاحتجاج الوطني ومئات العروض من الناس لتبني الطفل ورعايته.

كل هذه الحالات وهذه الأصوات العلمانية البارزة لها شيء واحد مشترك: يبدو أن الأخلاق الحاكمة تحافظ على "جودة حياة" معينة من خلال رفع الآلام والمعاناة. لو كان هذا غير ممكن، فهم يؤكدون أننا يجب أن نرفع الألم بقتل الشخص. ولا تخطئ في احتساب الأمر، فاتخاذ قرارٍ بالسماح للناس بالموت من الجوع والجفاف هو قرارٌ بقتلهم. ولا يزال "القتل الرحيم السلبي" (الموت من خلال عدم الاهتمام بآخر) يؤدي عمداً وبشكل مباشر إلى الموت، بغض النظر عن مدى محاولة ثقافتنا أن تتبرأ من المسؤولية والذنب.

هنا تكمن المشكلة بالنسبة للأشخاص الذين يؤمنون بأن الله خلقنا، وأحصى أيامنا، وبطريقة غامضة ينظم الأحداث في حياتنا: يلغي مثل هذا الرأي قيمة الأم وكرامة الإنسان المخلوق على صورة الله. ولعل تصریح الجراح السابق الجنرال سي إفيريت كوب هو جوابٌ مناسبٌ لهذه الأخلاقيات:

القيمة الوحيدة لـ "عديم القيمة" هي أنهم يثبتون ما إذا كنا نستحق العناية بهم أم لا. وجود المعاقين وغير الكاملين، والحب الذي يمنحهم إياه أولئك

الذين يراعونهم، بمثابة شهادة على قدسية الحياة البشرية وعلى زعمنا أن هذه القداسة تفوق بكثير أية أخلاقيات تهتم بجودة الحياة البشرية.⁸⁴

المشكلة هي أنه عندما لا يحترم المرء الحياة بصفاتها ذات قيمة جوهرية، وعلى أنها مخلوقة على صورة الله، تصبح الأخلاقيات السائدة للقيمة فيما يفعله الإنسان بدلاً مما يكون. لقد أكد الإيمان المسيحي التاريخي دائماً أن الناس - كل الناس - مصنوعون على صورة الله، وهم بالتالي، ذوو قيمة، بغض النظر عما يمكنهم أو لا يمكنهم المساهمة به في المجتمع. من نحن بصفتنا بشراً هو أكثر أهمية جداً مما يمكننا القيام به أو ما سنفعله.

مثال آخر على الارتباك في مجتمعنا العلماني بشأن هذه النظرة الوظيفية يأتي مع تطورات في علم الوراثة. فعبر البحث الجيني الجديد والمذهل أصبح من الممكن الآن، بكل تأكيد، تحديد الجين الذي يسبب مرض هنتنغتون. (يُسمّى تقنياً 4ب16.3، تسلسل الحمض النووي هذا موجود في الذراع القصيرة للكروموسوم الرابع.) يبدأ هذا المرض العصبي الرهيبة التنكسي في وقت مبكر من مرحلة البلوغ إلى منتصفها وينتهي إلى الخرف المنهك والموت البطيء للضحية. ينتقل المرض وراثياً من خلال أجيال العائلة. حيث أنه يمكننا التعرف الآن على الجين، يمكن للوالدين التأكد من حالة الطفل الذي لم يُولد بعد من خلال اختبار مبكر جداً قبل الولادة. تختار الغالبية العظمى من الحالات ذات التشخيص الإيجابي الإجهاض بدلاً من الحياة لمن لديهم هذا الجين. مرة أخرى، يفترض رد الفعل هذا أن الموت أفضل من الحياة بنهاية معروفة.

ولكن من يمكنه أن يقول ما يمكن لأي من هؤلاء الأطفال الذين لم يولدوا بعد أن يحققوه في حياة عاشوها جيداً حتى الثلاثينيات والأربعينيات من العمر قبل ظهور المرض؟ ما هي الاكتشافات التي قد يساهمون بها؟ ما هي السمفونيات التي قد

⁸⁴ C. Everett Koop and Francis Schaeffer, *Plan for Action: An Action Alternative Handbook for "Whatever Happened to the Human Race?"* (Old Tappan, NJ: Revell, 1980), 78. Emphasis in original.

يكتبونها؟ كم من الناس يمكن أن ينقذونهم من خلال عيش حياة نكران الذات؟ ولكن مع وجود منظورٍ عالمي فيه الموتُ أفضلُ من الحياة التي تنطوي على معاناة، فقد أصبح الموتُ هو الخيار السائد.

أصواتُ المكسورين: القادة المعاقين في الثقافة العامة

قبل منتصفِ القرن العشرين، لم يكن الأشخاص ذوو الإعاقة جزءًا صغيرًا من المجتمع فحسب (بسبب العجز الطبي وإحصائيات البقاء الوحشية)، لكنهم كانوا مجموعة سكانية صامتة أيضًا. لم يكن لهم صوتٌ ولا متحدثٌ.

بدأ المعوقون يلاحظون عندما وفر التقدم الطبي البقاء على قيد الحياة لظروفٍ كانت مُميتة سابقًا (مثل شلل الأطفال مع ظهور الرئة الحديدية) وما بعده ذلك عندما أنشأ الطبُّ فئاتٍ جديدة تمامًا من الأشخاص ذوي الإعاقة مثل أطفال الثاليدومايد في أواخر الخمسينيات. وقع حدثٌ فاصلٌ في عام ١٩٦٢ عندما نشرت يونيس كينيدي شرايفر، شقيقة رئيس الولايات المتحدة آنذاك، مقالاً في جريدة السبت مساءً تحكي قصة شقيقها (وشقيقة الرئيس جيه. أف. كيه.)، روزماري. ولدت أختهم بتخلفٍ عقلي خفيف ولكنها احتاجت وضعها في مصحة في أوائل العشرينيات من عمرها بعد عملية غير ناجحة لبضع الفص الجبهي. وفجأة اختفى بعضُ الخجل غير المعلن من الإعاقة في العائلة عندما أعلنت عائلة كينيدي عن هذا الأمر. حجاب السرية الذي يعيش تحته العديد من العائلات أصبح عبئاً أخف فجأة.

في نفس الوقت في أوائل الستينيات، كان شابٌ اسمه إد روبرتس يحاول الالتحاق بجامعة ولاية كاليفورنيا في بيركلي. لكونه مقيدا على كرسي متحرك بسبب إعاقات جسدية شديدة، مُنع السيد روبرتس من الالتحاق ببيركلي، قالت الجامعة، "لقد جربنا المُقعدين وهم لا ينجحون". لقد رفع دعوى قضائية وفاز بها، لكن كان عليه العيش في الجناح بالمستشفى الجامعي حيث لم يكن هناك مكانٌ في سكنٍ يسهل الوصول إليه بالكرسي المتحرك. تخصص في العلوم السياسية، ودرس روبرتس وقرأ الأدب المتطرف

واليساري وطبقه على وضعه. تسببت طاقته في الكثير من المكاسب التي حققها مجتمعُ المعاقين في الأربعين عامًا التالية. حصل روبرتس في النهاية على درجة الدكتوراه من جامعة بيركلي، وعلم في مدارس المدينة الداخلية، وقام بتأسيس المراكز القومية لحركة الحياة المستقلة، وكان رئيسَ المجمع العالمي حول الإعاقة.⁸⁵

هناك مجموعاتٌ إعاقةٍ علمانيةٍ "متطرفة" مستمرة اليوم، تتراوح بين من يبحث عن منتهكي قانون الأمريكيين ذوي الإعاقة، ومن يبحث عن المنظمات والشركات ليرفعوا دعوى ضدها عند عدم الامتثال، والجماعات المتطرفة الأخرى مثل "لم يمت بعد"، معارضة قانون القتل الرحيم وتشريعات المساعدة على الانتحار. في الواقع، ضمن حركة الإعاقة اليوم، لا يوجد إجماعٌ على ما يُشكل الإعاقة. ربما ينبع جزءٌ من الخلاف من تعريفٍ غامضٍ بيروقراطيٍّ للإعاقة قدمه قانون الأمريكيين لذوي الإعاقة لعام ١٩٩٠. كان تعريفُ تلك الوثيقة المكون من ثلاثة أجزاء كالتالي:

- (أ) ضعف جسدي أو عقلي يحدُّ بشكلٍ كبير من واحدة أو أكثر من الأنشطة الرئيسية للفرد.
(ب) سجل لمثل هذا الضعف.
(ج) أن يُعتبر لدي المرء مثل هذا الضعف".⁸⁶

يقول البعض إنه لا يوجد شيءٌ اسمه الإعاقة، وإن قبول التصنيف هو مجرد قبولٍ للصور النمطية القمعية السائدة والتي يجب أن تنقلب.

على سبيلِ المثال، لا يُعتبرُ مجتمعُ الصمِّ الصممَ إعاقة. لديهم لغتهم الخاصة كاملةً نحويًا ودقيقة (لغة الإشارة الأمريكية) وثقافة داعمة. إنهم مستأوون من وصفهم بأنهم معاقون ويشعرون بالشفقة على هؤلاء الذين يعانون من ضعف السمع. مثل هؤلاء

⁸⁵ For more detailed history, see Jennie Weiss Block, *Copious Hosting: A Theology of Access for People with Disabilities* (New York: Continuum, 2002), 54f

⁸⁶ Americans with Disabilities Act (Public Law 101.336 [S. 993])

الناس، كما يقولون، غرباء عن كلِّ من عالم السمع وثقافة الصم. ومع ذلك، يطالبنا الحسُّ السليم بأن نعرّف أن البشر خلقوا بأذانٍ من أجل حاسة السمع. إنه عائقٌ أو إعاقة واضحة أن يعيش المرء بدون هذه الحاسة، بغض النظر عن مدى شجاعة ثقافة الصم وفخر إنجازاتهم.

كتب في مجلة نيويورك تايمز قبل بضع سنوات، أندرو سولومون قائلاً:

ربما يكون من الأدق القول إن "الإعاقة" و "الثقافة" هما حقاً مسألة درجة. أن تكون أصم هو إعاقة وثقافة في أمريكا الحديثة. وكذلك الحال مع كون المرء شاذاً؛ ... وكذلك الحال مع كون المرء أنثى. وكذلك حتى، بشكل متزايد، أصبح كون المرء رجلاً أبيض ذا ميول جنسية مستقيمة. وكذلك حال أن يكون المرء مصاباً بشلل نصفي أو متلازمة داون.⁸⁷

بسبب هذا الاختلاف الواسع في وجهات النظر، يرى البعض في مجتمع ذوي الإعاقة أي شخص يقبل تسمية "شخص لديه إعاقة" على أنه يبيع للثقافة بطريقة تحط من قدر جميع الأشخاص الذين لا يتناسبون مع فكرة الحياة الطبيعية المبنية اجتماعياً. فهدفهم هو قلب مفهوم "العادي" بأكمله. سوف يتحدث المؤيدون الأكثر تطرفاً لمجتمع الإعاقة باستخفاف عن "العادين" - الأشخاص الذين يدعون أن وضعهم في الحياة هو العادي أو المعياري. بالطبع، فكرة المعايير هي أولاً وقبل كل شيء فكرة رياضية لقياس النسب الإحصائية. يجدر بنا بصفتنا مسيحيين التفكير في سؤال: ماذا تعني كلمة "طبيعي"؟ على سبيل المثال، اعتبر أطفالي أنه من الطبيعي تماماً العيش مع أخت أكبر سنًا تجلس على كرسي متحرك. لم تكن التعديلات التي قمنا بها لمثل هذه الحياة تعتبر متطرفة أو غير عادية، لكنها عادية وطبيعية بالنسبة لهم.

⁸⁷ Andrew Solomon, "Defiantly Deaf," *The New York Times*, Aug. 28, 1994, 67

الإنجيل والإهتمام بالمعاقين

في الواقع، هذا هو، بطريقةٍ ما، ما يدورُ حوله الإنجيلُ وما يجب للمجتمع المسيحي أن يهتمَ به. هل هذا العالم، كما نراه، عادي؟ كنا سنقول بصوت مدوي، "لا!" كلُّ الخليقة ساقطة وفي حاجةٍ إلى الفداء. على الرغم من أنه قد توجد معاييرُ إحصائيةٍ يمكننا أن نقيسها، إلا أن كلَّ إنسانٍ فريدٌ من نوعه، ولا يوجد منه اثنان أبدًا. بالرغم من أن البعض، في ضوء ظهور تكنولوجيا الاستنساخ، سيتحدى مفهوم الفردانية البشرية، إلا إنني أسأل ببساطة، هل سنكون قادرين على استنساخ روح على الإطلاق؟⁸⁸

من المهم أن نرى أن التركيزَ العلماني من منظورٍ إنساني يسعى لكسرِ الحواجزِ لتحقيقِ الشعورِ المتبادلِ بالقدرةِ وبوجودِ الفرصة، مركزًا على الصلاحِ الداخلي والمساواةِ بين الناسِ ومنكرًا تمامًا، بطريقةٍ ما، وجودَ الإعاقات. يسعى الإنجيلُ بعكسِ ذلك إلى إظهار أنه بينما لكل الناس قيمة كبيرة، إلا أن قيمتنا الفردية ليست داخلية ولكنها خارجية. ينعمُ الله علينا بها في ضعفنا المتبادل وعدم قدرتنا لتعظيمِ نعمةِ الله ومجده. لا ينبغي أن يكونَ اللغَطُ الثقافيُّ بشأنِ قيمةِ الناسِ مفاجأةً للمجتمعِ المسيحي. لكن هذا بالتأكيد مكانٌ يمكن فيه لشعبِ الله، أي الكنيسةِ المحليةِ والعالميةِ، أن يمارسَ الفكرةَ التاريخيةَ للعيشِ *contra mun-dum* ("ضد العالم"). يمكننا أن نقدّم الكرامة والرعاية لجميع الناس، مؤكدين قيمتهم بصفاتهم أشخاصًا يحملون صورة الله.

يجبُ أن نتوقعَ انقسامًا ثقافيًا متزايدًا في هذا المجال، بينما يقولُ المنظورُ العالمي الطبيعي إننا مجردُ حيواناتٍ عالية التطور. أولئك الذين لا يستطيعون المساهمة، أو الذين لا يظهرون القدرة على التحكم في ظروفهم بطريقةٍ ذات مغزى، يجبُ أن يُحرموا من الرعاية وحتى الحياةِ في نهاية المطاف. في الواقع، وسطَ هذا التفكير، تحكمُ البراجماتية الكبيرة في الكثير من الأحيان. تصبح التكلفةُ الماديةُ للرعاية ذريعةً يصبحُ

⁸⁸ I address this question more fully in my chapter "Can You Clone a Soul?" in *Playing God: Dissecting Biomedical Ethics and Manipulating the Body*, ed. R. C. Sproul Jr. (Grand Rapids, MI: Baker, 1997), 75-78.

من خلالها بعض الأشخاص عِبَّاً على الأسرة، والمجتمع، وحتى الجنس البشري. قد يأتي يومٌ، وفي الحقيقة هناك أدلةٌ متزايدة على أن هذا اليوم قد جاء بالفعل، فيه تحدُّ شركاتُ التأمين أن نتائجَ اختبارات ما قبل الولادة تستبعدُ بعضَ الأشخاص من الرعاية المستقبلية. بما أنه لدينا القدرة على المعرفة مسبقاً أن بعضَ الأشخاص سيعيشون بطريقة تتطلَّبُ رعايةً باهظة الثمن، يزعمون أن مثل هذه الأرواح يجب إجهاضها، وإطفائها، وقصها قبل الميلاد. سيقولون إن مثل هذه الأرواح لا تستحقُّ العيش. فوق ذلك، في بعضِ الأوقات، تستخدمُ شركاتُ التأمين وحتى علماء الأخلاقيات الطبية وصف "الرعاية غير المجدية" لتبرير التوقُّفِ عن الرعاية والتعجيلِ بالوفاة. من المنظورِ المسيحي، بالطبع، "الرعاية غير المجدية" هي تناقضٌ لفظي. فالرعاية لا يمكن أبداً أن تكونَ غيرَ مجدية. بل هي تجاوبٌ إنسانيٌّ عظيمٌ وهي تحدُّ إنسانيتنا إلى درجةٍ حاسمة. لطالما تمسَّكَ الإيمانُ المسيحيُّ التاريخي، المسؤولُ عن ظهور المستشفيات، بأن الاستجابة المناسبة، والتقية، والمسيحية للألم، والأذى، والحرمان هو الرعاية. وصولاً إلى الثواني الأخيرة من حياة الشخص، فالرعاية تُظهرُ محبةَ الله من خلالِ اللمسة البشرية، هي الصوتُ الإنسانيُّ للشخص المحتاج.

لكن الكنيسة تتحدَّثُ عن هذا - على الرُّغم من أننا نعتزُّ أنها لا تقومُ بهذا دائماً بصوتٍ ثابتٍ ومُتسق. هذا ما سوف ندرسه في الفصلِ التالي.

الفصلُ الثامن

ما نتعلمه من

الأصواتِ المسيحيةِ الحالية

زوجتي، ماري، حائكة. لقد تعلمتُ القليلَ من ملاحظتي لها عبرَ السنين. أحدُ هذه الدروسِ هو التالي: التاريخ نسيج. بدلاً من كونه سلسلةً من الأُمَاطِ التي يمكنُ التنبُّ بها والمُكررة بدقة، هو نسيجٌ يرسمُ صورةً بالخيطِ والألياف. بعضُ الخيوطِ أكثرُ إشراقاً ووضوحاً من الخيوطِ الأخرى، والبعضُ أقل. يَظهرُ بعضها لفترةٍ وجيزة فقط؛ بينما تُنسجُ خيوطٌ أخرى بطولِ القطعة. ولكن جميعها تُنسجُ معاً بغرضِ صنعِ صورة.

لقد نظرَ مسحنا للتاريخِ بإيجازٍ إلى بعضِ الخيوطِ الأكثرِ وضوحاً والمملوطة فيما يتعلقُ بالفكرِ المسيحي بشكلٍ عامٍ وما قالوه عن الإعاقة على وجه التحديد وكيفية ارتباطها بصورةِ الله في البشر. ثم، في الفصلِ السابق، نظرنا إلى بعضِ الأصواتِ التي تتحدثُ عن هذه القضية من وجهاتِ نظرٍ عالميةٍ لا تتفقُ مع الإيمانِ والتقليدِ المسيحي التاريخي. نحتاجُ الآن إلى النظرِ إلى بعضِ المُفكرين المؤثرين أيضاً، والذين ساهموا ولا يزالون يساهمون في فهمنا لمقاصدِ الله للإعاقة وحاجةِ شعبِ الله أن يحتضنَ المنكسرَ في جماعةِ المسيح.

وجهاتُ النظرِ المسيحيةِ المعاصرةِ المفتاحية حول الإعاقة والإماجو

أصبح فرانسيس شيفر، وهو من أكثر المؤيدين صراحةً لحقِ كلِّ إنسانٍ في الحياة والكرامة، متحدّثاً إنجيلياً رائداً في أواخرِ الستينياتِ وأوائلِ السبعينيات. تستمرُّ كُتبهُ العديدةُ في تحديِ المسيحيين على التفكيرِ بوضوحٍ فيما يتعلقُ بالطريقةِ التي يُترجمُ بها الإيمانُ إلى العملِ والحياة. ومع ذلك، كان الأمرُ مفاجئاً إلى حدٍ ما بالنسبة لي، أنه فيما يختصُ بالمناقشاتِ المتعلقةِ بصورةِ الله في الإنسان، شدّد شيفر باستمرار على أن تلك الجوانبَ غيرَ الماديةِ للإنسان هي التي تحملُ الصورة.

في مُجلدٍ مصاحبٍ لكتابه بعنوان "ما الذي حدثٌ للجنسِ البشري؟"، أجابَ شيفر على سؤالٍ حولَ معنى صورةِ الله. ذكر هناك أن الصورة تتكوّنُ من "الشخصية" (حيثُ يختلفُ الإنسانُ عن غيرِ الإنسان، وتختلفُ الحياةُ الحيوانية، عما هو غيرُ حياة)، و"الإبداعُ ومفهومُ الأهمية" (حيث لا يستطيعُ الإنسانُ فقط التعبيرَ عن

نفسه فنيًا ولكن "يؤثر أيضًا على العالم من خلال اختياراته"، و"الخوف من عدم الوجود".⁸⁹ أنا واثق من أنه إن سُئل مباشرة حول الآثار المترتبة على تصريحه لذوي الإعاقَة الشديدة لدرجة أنهم لا يستطيعون التعبير عن الإبداع، أو ليس لديهم مفهوم شخصي للأهمية، أو يفتقرون إلى الشعور بالوجود وعدم الوجود، لكان شيفر قد أوضح بشكل لا لبس فيه ووسع تعريفه للإيماجو داي.

في الواقع، في نفس المجلد، سؤل المؤلف المشارك له، د. سي. إيفريت كوب عما إذا كان يعتقد أن الأطفال المشوهين بشكل كبير أو المتخلفين أفضل حالًا عند تركهم ليموتوا. كان ردُّه القاطع: "مهما كان مشوهًا أو متخلفًا، فهو لا يزال شخصًا خُلِقَ على صورة الله، وولد في عالم ساقط".⁹⁰

يجب أن ننظر أيضًا إلى رجل الدولة الإنجيلي الشهير الآخر، كارل ف. هـ. هنري، نظرًا لإسهامه المهم والمفاجئ في هذه المناقشة. في مقاله "صورة الله" في قاموس اللاهوت الإنجيلي، قال د. هنري:

إن أهمية الفهم الصحيح للإيماجو داي لا يمكن المبالغة في التشديد عليها. فالإجابة على سؤال إيماجو تصبح حاسمة سريعًا لسلسلة كاملة من التأكيد العقائدي. ليست التدايعات لاهوتية فقط ... أي رأي غير صحيح له عواقب أكثر خطورة حيث تُطبَّق تبعاته على الإنسان المُجدَّد وغير المُجدَّد، من الأصل الأولي وحتى المصير الأخير.⁹¹

⁸⁹ Francis Schaeffer and C. Everett Koop, *Plan for Action: An Action Alternative Handbook for "Whatever Happened to the Human Race?"* (Old Tappan, NJ: Revell, 1980), 70–71; but see also Francis Schaeffer, *The God Who Is There* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1968), 93.

⁹⁰ Schaeffer and Koop, *Plan for Action*, 78.

⁹¹ Carl F. H. Henry, "Image of God," in *Evangelical Dictionary of Theology*, ed. Walter A. Elwell (Grand Rapids, MI: Baker, 1984), 546.

أصابَ الدكتور هنري هنا، حيث يرى بشكلٍ صحيح أن تداعياتِ هذه العقيدة مهمة. لهذا السبب، من الجدير بالذكر أنه في العام نفسه، نشر د. هنري كتاب "العقلية المسيحية في مجتمعٍ علماني"، حيث عرضَ في أحد الأقسام "بعضَ وجهاتِ النظر الشخصية" حولَ أكثرِ من عشرين موضوعًا رأى أنها تؤثرُ على المجتمع في ذلك الوقت. تحتَ موضوع "الحق في الحياة" كتب أن "التدمير الوحشي لحياة الإنسان قبل الولادة ... يُظهر عدمَ الاحترام الوقح لكرامة الجنين البشري وقيمتِه"، وأن مدى الممارسة في يومنا هذا "يفوقُ الشرَّ المروّع لوأد الأطفال في وثنيةٍ ما قبلَ المسيحية".^{٩٢} مع هذا البيان نتفقُ بحرارة. لكن في الفقرة التالية يكملُ هنري قائلاً:

عندما تهددُ الولادةُ حياةَ الأم يمكن تبريرُ الإجهاض أخلاقياً. فوقَ ذلك، يبدو أن الجنينَ أقلَّ من كونه إنساناً في حالات التشوه الشديد التي يفتقرُ فيها للقدراتِ العقلانية والأخلاقية التي هي جزءٌ لا يتجزأ من الإماجو داي.^{٩٣}

لذا يبدو أنه في هذا البيانِ المفاجئ، يفتحُ هنري البابَ أمامَ احتمالِ حدوثِ تشوهاتٍ جسديةٍ شديدةٍ لدرجة أن نتاجَ الحمل، الجنين البشري، يصبحُ بطريقة ما "أقلَّ من إنسان!" إذا تركَ هذا البيانُ بمفرده، فإنه يختلفُ قليلاً عما رأيناه من العلمانيين المتعمقين مثل بيتر سينجر أو جيمس واتسون أعلاه.

في عنايةِ الله، قبلَ سنواتٍ، أتيحتُ لي الفرصة خلال محادثةٍ شخصيةٍ مع الدكتور هنري أن أسمعَه يوضحُ أقوالَه في ذلك الكتاب. كنا في مؤتمرٍ حيثُ كان هو المتحدثُ الرئيس.^{٩٤} بينما كنا نتمشى معاً بين المحاضرات، أوضحَ لي أنه في كتابه المقتبسِ أعلاه كان يشيرُ على وجهِ التحديدِ إلى الأجنةِ المصابة بانعدامِ الدماغ، وهي حالة يكونُ

⁹² Carl F. H. Henry, *The Christian Mindset in a Secular Society* (Portland, OR: Multnomah, 1984), 102–103.

⁹³ Ibid., 103.

⁹⁴ "Relating Man in the Image of God to the Health Sciences: Theological, Scientific, and Clinical Implications" (symposium conjointly sponsored by the Christian Medical Society and the American Scientific Affiliation, Gordon College, Wenham, MA, June 2–5, 1988).

فيها الجزء العلوي من الدماغ (الموجود غالبًا في الجمجمة العلوية) لا يتطور على الإطلاق. إنها حالة لا تتوافق مع الحياة إلا لمدة ساعات قليلة (على الرغم من حالات نادرة يعيش فيها مثل هذا الطفل بضعة أيام أو حتى أسابيع). في وقت لاحق خلال ذلك المؤتمر، قدّم هنري في بحثه "النظرة اللاهوتية للإنسان" مزيداً من التوضيح حول هذه المسألة، على الرغم من أن التوضيح قد يكون مقلقاً، فقال:

هل يمكنُ اعتبار الجنين عديمَ الدماغ إنساناً حقاً، حتى ولو بشكلٍ مُحتمل؟
هل يمكنُ اعتبار الجنين "إنساناً" بلا روح بدون تحفظ مصمم لقيامَةِ الأجساد المستقبلية مثلما يقول رودني كلاب في افتتاحية مجلة "المسيحية اليوم"؟ كن متأكداً، أن الروحَ مستقلةٌ عن الدماغ، والأشخاص الذين يعانون الخرفَ مع الشيخوخة يظلون أرواحاً على الرغم من أن قدرتهم العقلية التي مارسوها طويلاً وتمييزهم الأخلاقي لم يعد ظاهراً. لكن يبدو أن الجنينَ عديمَ الدماغ بطبيعته هو أمرٌ شاذٌ بلا فكرٍ ولا أخلاق.⁹⁵

مرة أخرى، في كتابه السابق، قال بشكلٍ صحيحٍ إن خطوة صغيرة تفصل بين إجهاض الأجنة والقتل الرحيم للبالغين المُصابين بالخرف والشيخوخة والذين هم ضعفاءٌ وعزّل مثل الجنين. لكن هل سيقولُ إن هؤلاء الكبار قد فقدوا صورة الله بداخلهم بطريقة ما عندما فقدوا القدرة على التفكير المنطقي وإصدار الأحكام الأخلاقية؟ ليس بحسب تعليقاته اللاحقة من بحثه المقتبس أعلاه. لكن في الكتاب، تحت عنوان "صورة الله والأخلاق العامة" كتب هنري، قائلاً:

على أساس الإيماء داي المخلوقة، يشتركُ كلُّ شخصٍ في أشكالِ المنطق والضمير المُعطاة له من الله والتي تربطُ البشرية باللهِ الصالح والعاقل

⁹⁵ 7 From Carl F. H. Henry, "The Theological View of Man" (an unpublished paper presented at "Relating Man in the Image of God to the Health Sciences"), 10, referencing an editorial by Rodney Clapp, "Prolonging Life to Promote Life" in *Christianity Today* (March 18, 1988): 14.

والقدوس بشكلٍ متسامٍ... مهما كانت ملطخة، إلا أن صورة الله في الإنسان لم يقصَّ عليه تمامًا في السقوط.^{٩٦}

بالطبع، تتوافقُ جملته الأخيرة مع التقليد الطويل للفكر المسيحي، إذ تتبع الأكويني عن كُتب (ص ٩٠) وكالفن (ص ٩٢). لكن الاستخدامَ الحذر لكلمة "شخص" مقترنة ببيانه السابق الذي شكَّك في الإنسانية الكاملة لبعض البشر، مدعاة للقلق.

يمكنُ عملُ المعادلةِ من صياغته أن هناك بعضَ البشر، الذين ينتمون إلى الجنسِ البشري، الذين يكون تشوهمهم (إعاقتهم أو ضعفهم) شديدًا لدرجة أنهم يفتقرون إلى القدرة على التفكير الأخلاقي والتصرف وفقًا لظروفهم، وبالتالي فهم لا يرتقون لمنصب "الأشخاص" إذ أن كلَّ "شخص" يشترك في صورة الله. أعتقد أنه، بهذه الطريقة، يترك هنري الباب مفتوحًا للآخرين الذين هم أقلُّ ترددًا، هم أصحابُ وجهات النظر الأكثر طبيعية ونفعية، والذين ليس لديهم إدراكٌ لكرامة الإنسان، للقيام بتلك المعادلة والتوصل إلى هذا الاستنتاج بتداعياتٍ مخيفةٍ كما رأينا أعلاه.

كنقطةٍ ترحيبٍ مضادة، في نفس المؤتمر، قال د. بروس والتكي، مستشهداً بتفاعل موسى مع الرب في خروج ٤: ١٠ (انظر ص. ٢٩):

يشكلُ الله كلَّ إنسان، بما في ذلك المشوه ... إلى جانب ذلك، لا يحتوي الكتابُ المقدسُ على فكرة أن بعضَ المخلوقات المشوهة في رحم المرأة هم أقلُّ من البشر أو أن الإيمانِ داي تتعلّق ببعض معايير الحياة الطبيعية. كلهم صورة الله ويحقُّ لهم المحبة والعدالة بدون تحيز.^{٩٧}

⁹⁶ Henry, *The Christian Mindset in a Secular Society*, 121.

⁹⁷ Bruce Waltke, "Relating Human Personhood to the Health Sciences: An Old Testament Perspective" (an unpublished paper presented at "Relating Man in the Image of God to the Health Sciences"), 7.

وجهاتُ نظرٍ المسيحيةِ الليبراليةِ

نرى أنه حتى داخلَ المجتمعِ المسيحي، لا يوجد صوتٌ واحدٌ أو وجهةُ نظرٍ واحدة تمثلُ الأشخاصَ ذوي الإعاقة. إلا أنه يمكننا، على الأقل، تقسيمُ الكتاباتِ الأبرز إلى فئتين: **ليبرالية ومحافظة**. من المنظورِ الليبرالي، يمكن تصنيفُ بعضِ وجهاتِ النظرِ المسيحية الصريحة بدقةٍ أكبر على أنها وجهاتُ نظرٍ لاهوتِ التحرير. على سبيل المثال، جيني فايس بلوك، في كتابها بعنوان "استضافةٌ زاهرة: لاهوتُ الوصولِ لذوي الإعاقات" كتبتُ قائلة: "

لدينا أفكارنا الخاصةُ حولَ ما هو "طبيعي" وكذلك ما هو "غيرُ طبيعي". ولا يشمل الطبيعي أبداً الإعاقة. ما هو الطبيعي؟ الرجل الأبيض، ذو الميول الجنسية المغايرة، غير المعاق، طويل القامة، النحيف؟ أين يترك هذا بقيتنا؟ إن الفهمَ الضيقَ أو المحدودَ لما هو طبيعيٌ يجمعُ ذوي الإعاقات. طالما نعتقدُ أن هناك خطأً ما في استخدامِ كرسي متحركٍ للتحرك، سيظل ذوو الإعاقة مضطهدين دائماً. نسير في العالمِ بعدةِ طرقٍ مختلفة. لا يوجدُ شيءٌ غيرُ طبيعي في عدم القدرة على الرؤية. لا يوجدُ عُطْبٌ في ألا يملك شخصٌ معدّل ذكاءٍ عالياً، كما لا يوجدُ عُطْبٌ في أن يكون المرءُ امرأةً أو مثلي الجنس. طالما قمنا بحد فهمنا لما هو طبيعي، سيظل ذوو الإعاقة مضطهدين دائماً.⁹⁸

على الرغم من أن الأشخاصَ الذين يحملون مثلَ هذه الآراء يكتبون من إطارٍ مسيحي (على سبيل المثال، بلوك عضوة علمانية في الكنيسة الكاثوليكية)، يبدو أن إحباطهم من الأنظمةِ والناسِ يؤثرُ بشدةٍ على استنتاجاتهم اللاهوتية. يبدو أن هذا التصريحُ أعلاه يقللُ من ويلاتِ السقوط. يبدو مرةً أخرى أن المنطقَ يخبرنا أننا لم نُخلقْ لنعيش في

⁹⁸ Jennie Weiss Block, *Copious Hosting: A Theology of Access for People with Disabilities* (New York: Continuum, 2002), 85–86.

الكراسي المتحركة، وأن الله قد خلق العيونَ لترى جمالَ الخليفة وألوانها (حاول وصف اللون "الأحمر" لشخص أعمى)، إن عقولنا وقدرتنا على التفكير بعقلانية في ظروفنا المحيطة هي ما يفصلنا بشكلٍ أعمقٍ من بقية النظام المخلوق.

في مكانٍ آخر، تقول بلوك، "يقول ذوو الإعاقة إنه لا يوجد خطبٌ ما في المُعاقين، وإنه "لا توجد شفقة أو مأساة في الإعاقة، وأن أساطير المجتمع، ومخاوفه، وصوره النمطية هي التي تجعل الإعاقة صعبة".⁹⁹

في الحقيقة، تذهب بلوك إلى حدِ الإشارةِ إلى بعض المقاطع الكتابية المُعينة على إنها "نصوصٌ رعب".¹⁰⁰ هذه هي الفقرات، بحسب رأيها، التي تفترض أن الحلَّ الأمثل يكمنُ في التخلص من الإعاقة. بالطبع، من دراستنا حتى الآن، سوف نجادلُ أنه في الواقع، فإن الوضعَ المثالي، والرجاءَ الأخروي للإنجيل يكمنُ في أن تختفيَ جميعُ الإعاقات. لكنها تؤكدُ أيضًا أن أناجيلَ العهدِ الجديد تمارسُ التهميشَ من خلالِ تصويرِ ذوي الإعاقة على أنهم مجهولون ومهمشون. مرةً أخرى، يمكننا القولُ إنها محقّةٌ في المستوى الأولي. فالمُعاقون في عالمِ الكتاب المقدس كانوا هكذا، ولا يزالون كذلك في عالمنا، مُهمشين. لكن الأناجيلَ، بعيدةً تمامًا عن الدعوة إلى مثلِ هذا التهميش أو ارتكابه، فهي تجلبُ المهمشين إلى داخلِ قصةِ الفداء، في الكثيرِ من الأحيان بصفتهِم أمثلةً رئيسةً لعمقِ النعمة والرحمة. لكن يبدو أن بعضَ المدافعين في مجتمعِ الإعاقة يعتبرون مد يدِ النعمة والرحمة للمُعاقين على أنه مثالٌ على الثقافةِ التي تناصرُ "الأمر الطبيعي"، وبالتالي تحافظُ على السيطرة على المُعاقين وقمعهم.

كاتبةٌ أخرى من هذا الموقف العام هي نانسي إيسلاند. قالت هذه: "ما دامتُ الإعاقةُ تُعالجُ من منظورِ الخلط بين الإعاقة والخطية، أو المعاناةِ الفاضلة، أو العملِ

⁹⁹ Joseph Shapiro, *No Pity: People with Disabilities Forging a New Civil Rights Movement* (New York: Random House, 1994), 5, quoted in Block, *Copious Hosting*, 17.

¹⁰⁰ Block, *Copious Hosting*, 102.

الخيرى، فسوف يُنظرُ إليها في المقام الأول على أنها مصيرٌ يجبُ تجنبه، أو مأساةٌ يجبُ تفسيرها، أو قضية يُدافع عنها بدلاً من أن تكونَ الحياةُ العاديةُ التي يمكنُ أن نعيشَها".^{١٠١} في حين أن هذا الدراسةُ تتمسكُ بأن جميعَ البشرِ معاقون بطريقةٍ ما، وأنه بهذه الطريقة تكون الإعاقةُ أمراً معيارياً، إلا أن تأكيدَ السيدةِ إيسلاند يستدعي طرحَ سؤال: هل الإعاقةُ الجسديةُ هي في الواقعِ حياةٌ "عادية"؟ ألا ينبغي تجنبها إن أمكن، وتصحيحها إن أمكن؟ ألا يجبُ أن نتوقَ إلى العتق والفداء منها تماماً كما نتوقُ إلى العتق من هذا الجسد الخاطئ؟

في مكانٍ آخر تكتبُ، قائلة:

إن الكنيسةَ فقيرةٌ بدون وجودنا. توضحُ رواياتنا وأجسادنا أن الحياةَ العاديةَ تتضمنُ الطوارئ والصعوبة. نحن نكشفُ عن الحقيقةِ الماديةِ للعيش في الجسدِ بصفتهِ عملية مضمّنة لامتلاك أجسادنا الموجودةِ حالياً وللسكنِ فيها. يعلنُ ذوو الإعاقةِ في الكنيسةِ عن حضورِ الله المُعاقِ معنا ويدعون الكنيسةَ لتصبحَ شركة لمن يعانون.^{١٠٢}

في نفسِ الكتاب، تُظهرُ وجهةُ النظرِ الأكثر صراحةً للاهوت التحرير عندما تكتبُ قائلة:

نحنُ نعترفُ بالموقفِ المحفوفِ بالمخاطر المتمثلِ في عيشِ حياةٍ صعبةٍ ونؤكدُ أن أجسادنا كاملةٌ وصالحةٌ وجميلة. في هذا التناقضِ، فإن الفعلَ الثوريَ المتمثل في قبول أجسادنا كأجسادٍ "يمكنها النجاة" وأنها بُنيت بعناءٍ وبصدقٍ وحُب، ليس وفقاً لنانسي مايرز والتي قالت، إنها "شخصياتٌ بطوليةٌ أصيبت بجروحٍ لكنها لا تزالُ جريئة". بدلاً من جلد أنفسنا أو التطلعُ إلى أجسادٍ حسنةِ التصرف و"مثالية"، نشعرُ بلذةٍ مختلطةٍ بالألم التي هي أجسادنا. في مجتمعٍ

¹⁰¹ Nancy Eiesland, *The Disabled God: Toward a Liberatory Theology of Disability* (Nashville, TN: Abingdon, 1994), 75.

¹⁰² Ibid., 115.

حيث إنكار أجسادنا والسعي للحصول على جسم أفضل هو الأمر "الطبيعي"، فإن احترام أجسادنا هو فعل المقاومة والتحرير.^{١٠٣}

من يعبر عن مثل هذا التفكير سرفضه تمامًا افتراضنا الأساسي في هذا الكتاب: أنه بينما نحن مخلوقون على صورة الله، إلا أننا جميعًا ضعفاء ومكسورون، وفي الاعتراف بهذه الحقيقة فقط وفي احتضانها لأنفسنا وللآخرين المتألمين بشكل أكثر وضوحًا ووجوديًا، سنصل إلى معرفة القوة المحررة والمغيرة لإنجيل الفداء في يسوع المسيح بشكل كامل.

تمثل الأصوات المعاصرة الأخرى الجسر للموقف الأوسط بين التعبيرات اليرالية الأكثر علنية والتعبيرات المحافظة تاريخيًا في الإيمان المسيحي. من بين تلك الأصوات الأكثر احترامًا هو صوت جيني ثورنبرج. لقد خدمت لسنوات عديدة مع الحركات الوطنية (خاصة التنظيم الوطني المختص بالإعاقة تحت اسم "برنامج الدين والإعاقة" والجمعية الأمريكية لذوي الإعاقة). ركزت السيدة ثورنبرج طاقتها باستمرار على قضايا الإيمان والعبادة مع تلك المنظمات. وهي معروفة بقولها، "المناصرة هو الفن الدقيق لدفع الناس إلى الأمام على مسار ربما لم يفكروا فيه".

كان عملها "بين كل الأديان" بطبيعته وعن قصد، بهدف توسيع الخطوط المذهبية والدينية لفتح أبواب أمام جميع الجماعات الدينية لأولئك الذين يعيشون مع إعاقات. قالت في مقابلة إذاعية إن عملها تضمن "دعم التجمعات الدينية وكليات اللاهوت، لكي تعرف التجمعات الدينية وكليات اللاهوت القدرات والمواهب التي يمكن أن يجلبها الأشخاص ذوو الإعاقة منا إلى تجمعاتنا الدينية وكليات اللاهوت. إنها ليست مسألة مسؤولية أو التزام [بل بالأحرى] إذا لم نكن مكانًا ترحيبيًا، فستفوتنا هذه القدرات والمواهب".^{١٠٤}

¹⁰³ Ibid., 95–96.

¹⁰⁴ Ginny Thornburgh, on a radio transcript from March 16, 2004, accessed March 2012 at: <http://www.paychecksnotpity.com/radiocaption/031604VA.html>.

بالتعاون مع آخرين، شاركتُ في تأليفِ وتحريِرِ العديدِ من المنشوراتِ التي لا تهدفُ فقط إلى التثقيفِ ولكن أيضاً لتمكين المجتمعاتِ الدينيةِ من تقديم خدماتٍ أكثر فاعلية لمجتمع الإعاقة. تشمل بعضُ هذه المنشورات: "لكي يقدّر الجميعُ أن يعبدوا، من العوائقِ إلى الجسور: دليلٌ للعملِ المجتمعي، والعدالةُ المحبة: قانون الأمريكيين ذوي الإعاقة والجماعةُ الدينية". للأسف، لا يسهلُ العثورُ على هذه المنشوراتِ القيمة في وقتِ كتابةِ هذه السطور.

صوتٌ آخرٌ من التقليدِ المسيحي الأساسي هو والتر ونك، كما ذكرنا سابقاً، هو يتحدى مفهومَ الحياة الطبيعية، واصفاً هذا المفهومَ بأنه "ضار"، معتبراً إياه نتيجةً لممارساتِ تقديم الذبائح العبرانية، والكمالية المسيحية، والكمالية العلمانية الناشئة من عصر التنوير. فهو يقول:

لا يعلمنا الإنجيل، أننا جميعنا متساوون، لكن أننا جميعنا لا نُضاهى. كلُّ شخصٍ فريدٌ في نظر الله. جميعُ الأشخاص، بغضِّ النظرِ عن الدرجاتِ التي يسجلونها في تصنيفاتِ الشعبية "للحياة الطبيعية"، لهم قيمة لانهائية، ويتمتعون بتقديرٍ لا نهائي، وهم مثيرون للاهتمام بلا حدود ... لذا فالمشكلة ليستُ في الأشخاص ذوي الإعاقة. فنحن جميعاً معاقون بشكلٍ كبير، ومن يمكنه تحديدُ أيةِ إعاقةٍ أكثر شدة. ... المشكلة هي بالأحرى مع فكرةِ الحياة الطبيعية نفسها. المعاقون هم اتهامٌ مستمرٌ لأولئك الذين باعوا أرواحهم إلى مبدأ الحياة الطبيعية. لا عجب أن ذوي الإعاقة مكروهون أو يشعرون بالخزي أو التجاهلِ في بعض الأحيان. فهم تهديدٌ أقصى لتعريفِ الشخص "العادي" لنفسه. وجودهم في حدِّ ذاته هو تذكيرٌ صامتٌ بأن الشخص "العادي" قد فقد أئمنَ شيئٍ، ما لا يضاويه شيءٌ، بشأن أنفسهم في ذاتِ قلقهم للتلائم.

إذاً فالعالمُ منقسمٌ إلى مجموعتين في النهاية. ولكنهما، ليسا الطبيعي وغير الطبيعي، أو القادرين والمُعاقين. بدلا من ذلك، يُرسمُ الخطُ الفاصلُ بين أولئك الذين يدركون إعاقتهم وأولئك العميان عنها.^{١٠٥}

وئمة صوتٌ معبرٌ آخر هو صوتُ مارفا داون، والتي ربما تكتب أفضل ملخص لهذا الجزء من دراستنا. في كتابها: "القوى، والضعفُ وسُكنى الله"، تقول:

كما أن المسيحَ حقَّقَ الكفارة من أجلنا بالألم والموت هكذا يحققُ الربُّ الشهادةَ للعالم من خلال ضعفنا. في الواقع، إن اللهَ بحاجةٍ إلى ضعفنا أكثرُ من حاجته إلى قوتنا. مثلما تتخطى القوى حدودَها وتصبحُ آلهة، كذلك تصبحُ قوتنا خصمًا لله. ... من خلالِ اتحادنا مع المسيحِ بقوةِ الروح في ضعفنا، نظهرُ مجدَ الله.^{١٠٦}

لا تزال هناك أصواتٌ أخرى تتحدثُ عن هذه القضايا من عدة أماكنَ حولَ العالم حيث أصبحَ الوجودُ الدولي للإعاقة أمرًا لا مفرَّ منه. أحدُ الأمثلة في بريطانيا العظمى هو مجموعةٌ من العلماءِ في جامعة أبردين الذين أنشأوا "مركز الروحانيات، والصحة والعجز". ندوة في 2005 أنتجت مجلدًا من المقالات بعنوان اللاهوت والإعاقة وعلم الجينات الجديد: لماذا يحتاجُ العلمُ إلى الكنيسة. مثل السيدة ثورنبرج، يمتدُّ هذا الجهدُ عبر العديد من الخطوطِ الطائفية والكنسية، ساعيًا إلى إشراكِ الثقافة مع التقليدِ المسيحي.

في أحدِ المقالات، بعنوان: "جودة الحياة: عن الإعاقة وعلم الوراثة والاختيار" يتحدى هانز س. رابندرز المفهومَ السائدَ ثقافيًا "للاختيار" بصفته ما يحددُ ما هو خيرٌ في الحياة.^{١٠٧}

¹⁰⁵ Walter Wink, "'Normalcy' as Disease: Facing Disabilities," *Church & Society* (May/June 1995), 16–17.

¹⁰⁶ Marva J. Dawn, *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 47

¹⁰⁷ Hans Reinders, "Life's Goodness: On Disability, Genetics, and 'Choice,'" in *Theology, Disability, and the New Genetics: Why Science Needs the Church*, ed. John Swinton and Brian Brock (London: T & T Clark, 2007), 163–81.

هو يرى بحق أن النتيجة غير المقصودة للتقدم الغربي هي أننا اعتمدنا افتراضاً أنه يمكننا ممارسة السيطرة على ظروفنا وعالمنا. الحريات والخيارات التي قدمها لنا عزم ثقافتنا تعطينا انطباعاً خاطئاً بأنه يمكن أن يكون لدينا السيطرة والاختيار فيما يتعلق بكل شيء. وأن اختيارنا يجعل الأشياء جيدة. نفس مفهوم السيطرة محوري في كتاب كريج جاي الرائع بعنوان "طريقة العالم (الحديث): أو، لماذا من المغربي أن نعيش كما لو كان الله غير موجود". يُظهر جاي بشكل مقنع أنه مع مفهوم السيطرة هذا، نصبُ آلهة أنفسنا الخاصة ويصبحُ إله التاريخ والكتاب المقدس غير مهم. لكن رايندرز ينصحنا ألا نرى الحياة على أنها تعتمد على "الاختيار" بل على "العطية". بما أنه، في العقلية الليبرالية، لن يختار أي شخص الإعاقة أبداً، لذلك فيجب أنها ليست أمراً جيداً. ثم يقول ما يلي عن حق من وجهة النظر الليبرالية، "الأشخاص ذوو الإعاقات العقلية الشديدة، على سبيل المثال، لا يمكن أن تكون لهم حياة جيدة. ليس لديهم خطط، ولا توقعات، ولا حتى شكاوى. إنهم "بالكاد على قيد الحياة"، مما يفسر سبب أن العيش مع شخص معاق بشدة يُعتبر مصيراً أسوأ من الموت. فإن "العيش" بهذه الحالة لا يُحتسب شيئاً".^{١٠٨}

لكن بالإستناد إلى الحجّة من تقليد الأكويني (كما رأينا في الفصل الخامس)، بما أن الوجود دائماً أفضل من عدم الوجود، فإن "الحياة كما هي" جيدة! يُظهر رايندرز بشكل مقنع أن خير الحياة لا يكمن في اختيارنا لها ولكن في قبولنا لها بصفاتها هبة، مما يوحى بوجود مانح صالح. نحن نتجاوب مع الحياة كما هي بدلاً من السعي (بطريقة إلهية مخطئين) للسيطرة بدلاً من الاستقبال. هذا تأكيد قوي على إنجيل الرجاء الذي ندافع عنه هنا. نستجيب لله بامتنان من أجل عطايا الحياة والخلاص في المسيح. نستقبل هذه العطايا لا من جهدنا أو اختيارنا ولكن من يد الله اللطيفة والمنعمة والمُسَدِّدة لإحتياجاتنا.

¹⁰⁸ Ibid., " 170.

إجابات من المنظور المسيحي المحافظ

كانت الإجابات المحافظة والإنجيلية من ذوي الإعاقة في إدراك كل من واقع الإعاقات وانكسارها. بدءاً بمنظور أكثر تقليدية حول الكتاب المقدس، لم يسع هؤلاء الناس فقط إلى الإجابة عن سبب وجود هذا الانكسار في عالم الله ولكنهم سعوا أيضاً لفهم النعمة الفادية التي يبدو أنها تصحب مثل هذه المواقف الحياتية الصعبة في كثير من الأحيان.

من الواضح أن جوني إيركسون تادا كان لها التعبير الأكثر بروزاً في هذا الموقف الإنجيلي الأكثر تحفظاً. لكونها مشلولة من الصدر إلى الأسفل منذ عام ١٩٦٧، بدأت تتصارع مع قضايا الإعاقة، والضعف، والإنجيل مع سرد سيرتها الذاتية، تحت عنوان "جوني"، والتي نُشرت بعد تسع سنوات من الحادث الذي تسبب في إعاقتها. بعد سنتين في عام ١٩٧٨، مع طالب كلية اللاهوت ستيف إستس، توغلت تادا بعمق أكبر في الأسئلة والقضايا في كتابها "خطوة أخرى". الكتاب هو تأمل لاهوتي عميق لا يزال مؤطراً في شكل سردي.

بعد نشر العديد من الكتب الأخرى التي تحتوي على تأملات قصيرة ومناقشات أخلاقية، بعد ما يقرب من عشرين عاماً تعاونت تادا مرة أخرى مع إستس (الذي أصبح الآن قساً) لكتابة "عندما يبكي الله: لماذا تهتم آلامنا القدير" (مذكورة سابقاً في الفصل الرابع أيضاً). هذا المصدر الثمين هو مناقشة متعمقة لطبيعة الله، وألامه، وعنايته الإلهية، ومقاصده.

بالعودة إلى استعارة الله بوصفه النحات، لاحظ كيف أن جوني تنسج في كتابها نصوصاً من بولس والمزامير، وتصيغ أحد أسباب الضعف والانكسار:

يستخدمُ الله الأزمانِ مثل المطرقة والإزميل، مكسراً ومقطّعاً ليكشف صورته فيك. ... يستخدمُ الله الألمَ لتطهير الخطية من حياتنا، وليقوي التزامنا به، وليجربنا على الاعتماد على النعمة، وليربطنا مع مؤمنين آخرين، ولينتج تمييزاً، وليعزز الحساسية، وليضبط أذهاننا، وليساعدنا على قضاء وقتنا بحكمة،

وليعمق رجاءنا، وليجعلنا نعرف المسيح بشكل أفضل، وليجعلنا نتوق إلى الحق، ويقودنا إلى التوبة عن الخطية، وليعلمنا أن نشكر في أوقات الحزن، ويزيد من الإيمان، ويقوي الشخصية. إنها صورة جميلة! ... الخضوع للإزميل هو "تعلم الطاعة مما نتألم به". لا تتغير ظروفنا. نحن نتغير. لا أستطيع تحمل التركيز على المطرقة والإزميل. ... الإيمان بالمعانة هو طريق مسدود. أما الإيمان بالنعمة فهو الرجاء الحي.^{١٠٩}

في وقت لاحق، انخرطت تادا في مناقشة مطولة لرسالة فيلبي ٣: ١٠ ("لأعرفه (أي الرب يسوع)، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته"). تقول، "إن الإيمان بالله في وسط المعاناة هو إخلاء الذات. وإخلاء الذات هو زيادة القدرة — منطقة التحرك - لله. أعظم خير يمكن للمعانة أن تقدمه لي هو أن تزيد من قدرتي لاستيعاب الله".^{١١٠} ثم تقول أيضاً: "الإبتلاء هو المطحنة التي تجعل الكبرياء بادرة، فتترك نفسك عارية، ومرتبطة بالمسيح. وهو شعور جميل. يحدث ذلك من خلال المشاركة في شركة آلام المسيح".^{١١١}

في الآونة الأخيرة، في اجتماع مع المجلس الدولي لمديري هيئة جوني وأصدقائها، قالت تادا: "إن ذوي الإعاقة هم نموذج مادي لواقع روحي يريد الله استخدامه لمساعدة شعبه على فهم الأمر". تغدق نعمته على أولئك الذين يعتبرون أنفسهم الأقل استحقاقاً".^{١١٢}

¹⁰⁹ Joni Eareckson Tada and Steve Estes, *When God Weeps: Why Our Suffering Matters to the Almighty* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1997), 116–118.

Emphasis in the original.

¹¹⁰ Ibid., 137. Emphasis in the original.

¹¹¹ Ibid., 143.

¹¹² Joni Eareckson Tada, (meeting, International Board of Directors of Joni and Friends, Agoura Hills, CA, March 2002). Her vocal emphasis.

لذلك نرى في كل هذه التصريحاتِ المعاصرةِ الفكرةَ الأساسيةَ التي نطرحُها هنا باسم "رجاء الإنجيل": نعم، نحن نعيشُ في عالمٍ ساقط، ونعم، هذا الانكسارُ حقيقيٌّ، ومؤلمٌ، حتى أنه مفعجٌ في بعضِ الأحيان. إذا تُركَ هذا الأمرُ بمفرده، فسيؤدي ذلك إلى حياةٍ من التشاؤم واليأس. هذا ما نراه كثيرًا في حياةٍ وعائلاتٍ هؤلاء المتأثرين بالإعاقة.

لكن إنجيلَ الرجاءِ لا يتركنا هناك. هذه أخبارٌ سارة تخبرنا أن إلهَ الخليقةِ دخلَ هذا الانكسارَ وأخذَ إلى نفسه الطبيعةَ البشرية، المحدودةَ والمكسورةَ بطريقةٍ غامضةٍ أيضًا. وحياته وموته يجلبان الرجاءَ للفداء - فداء الجسد والروح - لجميعِ الذين يضعون ثقتهم فيه.

الجزء الرابع



لقد افتتحنا هذا الكتاب في الجزء الأول بدراسة واسعة، على الرغم من أننا نعتزُّف أنها ليست شاملة، لما يقوله الكتاب المقدس عن الإعاقة ودور الله فيها. في الجزء الثاني درسنا أصوات التاريخ فيما يتعلق بصورة الله في الإنسان والعجز. إنه ليس سجلاً ممتعاً دائماً، ولكنه ما هو عليه، ويؤثر هذا السجل في يومنا هذا. ثم، في الجزء الثالث، استمعنا إلى أناس من عصرنا الحديث. ولاحظنا أنه مع الوجود المتزايد للإعاقة في عالمنا، فإن هذه الأصوات تأتي من أماكن عديدة ومن وجهات نظر عديدة.

في هذا الجزء الأخير من الكتاب نريد أن ننظر بتواضع إلى المستقبل. بصفتنا شعب الله، أي الكنيسة في العالم الحديث (وعالم ما بعد الحداثة)، ما الذي يدعونا الله لنقوله؟ ما هي أخطاء الماضي التي يجب علينا تجنبها وما هو الحق الإلهي والكتابي الذي يجب أن نلتزم به؟ نحن نعيش في وقت محير، زمن التكنولوجيا والتقنية سريعة التطور، ولكنه زمن يهدد أيضاً بالتقلص المستمر في الموارد والصبر. إذا كنا قد تعلمنا أي شيء حتى هذه النقطة، أتمنى أن يكون أن الإعاقة تتطلب الصبر، والوقت، والثقة، والخضوع، والرجاء. تنتقل إلى هذه المواضيع في هذا الجزء الأخير.

الفصلُ التاسع

ما يجبُ أن تقولَه الكنيسةُ للعالمِ
في القرنِ الحادي والعشرين

لا أحلم كثيراً - أو على الأقل لا أحلم أحلاماً أتذكرها. ولكن منذ وقتٍ ليس ببعيد، استيقظتُ من حلمٍ واقعي جداً. كنتُ في هذا الحلم قد عدتُ إلى الكنيسة التي كانت عائلتي ترتادها في غرب نيويورك عندما ولدتُ طفلتُنَا الأولى، جيسيكَا، وشُخصتُ حالتها شديدة الإعاقة. أظهرتُ هذه الكنيسة لطفًا عظيمًا وتعاطفًا معنا خلال الأيام الصعبة حيث بدأنا في استكشاف ما ستكون الحياة عليه مع طفلٍ مُعاق. في الحلم كنا نزورُ هذه الكنيسة بعد حوالي سبعة وعشرين عامًا، وهذا ما وجدناه.

دون علمنا، في السنواتِ الفاصلةِ بعد مغادرتنا للذهاب إلى كلية اللاهوتِ وللخدمة في فلوريدا، تذكرتُ هذه الكنيسة جيسيكَا وعملتُ على رؤية الوصول بنشاط إلى عائلاتٍ مثل عائلتنا. لدهشتنا، سُميت الخدمة "بيت جيسيكَا". صنعتُ الكنيسة مكانًا لذوي الإعاقة واسكنتهم فيه - خاصة الأطفال - إلى حدٍ رائع. كانت المرافقُ رائعة، والموظفون مؤهلون ورحماء على حد سواء.

باقي تفاصيل الحلم الأخرى كانت مشوشة - بلا عجب. ولكنني استيقظتُ بهذا الانطباع الذي تركني في حالةٍ صراعٍ في الواقع بطريقةٍ ما. كما ترى، بينما تحتاج الكنيسةُ إلى مد يدِها بشكلٍ أكثرَ فعاليةً لأولئك الذين يعانون من إعاقات، من الناحية، إلا أن رغبتِي هي ألا يُفصلون إلى "مكان خاص" أو حتى "خدمة خاصة". بدلاً من ذلك، آمل، أن نجتهدَ قدرَ الإمكان لتضمين جميع الناس بالكامل داخلَ الكنيسة العبادة.

أدرك أن هناك مواقفَ تحتاجُ إلى سكن. ونعلم أنه كان هناك العديدُ من الحالات التي رفضتُ فيها الأسرةُ مثلَ هذا السكنِ وتسببتُ في الحزنِ الكبيرِ في الكنيسة المحلية، التي لم تكن قادرة، لعددٍ من الأسباب، على تضمين طفلٍ مُعاقٍ إلى حياة الكنيسة بدونِ اضطرابٍ كبيرٍ للجسدِ كله. هذه قضيةٌ حساسة، وقد عالجها آخرون بشكلٍ كامل. لكن النقطة المهمة هي أن الكنيسة يجب أن تكونَ المكانَ حيث يمكن لجميع الناس، بغض النظر عن وضعهم، الحصولُ على المساعدة والرحمة والنعمة والرجاء.

تطوير فهم للضعف تحت النعمة

يؤكد ستيفن جاربر، في كتابه نسيج الإخلاص: نسيج الإيمان والسلوك معًا خلال سنوات الجامعة، أن المؤمنين الإنجيليين الشباب يعيشون غالبًا بشعور من التنافر غير المدرك في كثير من الأحيان. يقول إن الطريقة التي يعيش بها كثير من طلاب الجامعات المسيحيين لا تتفق مع ما يعترفون بأنهم يؤمنون به. منذ عدة سنوات (في عام ١٩٨١ في سلسلة من المحادثات مع موظفي هيئة يونج لايف في مؤتمر للموظفين في المنطقة الشرقية) سمعتُ ستيف براون من خدمات كي لايف يشير إلى هذا التوتر على أنه "فجوة القداسة"، أي الفجوة بين ما نعرف أنه حقيقي والطريقة التي نعيش بها حقًا. يقول جاربر إن الشباب يحتاجون إلى ثلاثة عناصر حاسمة لدمج ما يعرفون وما يؤمنون به مع الطريقة التي يعيشون بها: أولًا، منظور عالمي متماسك ومعقول؛ ثانيًا، مرشد يبين المنظور العالمي هذا ويعيش بموجبه أمامهم. وأخيرًا، مجتمع من خلاله يثبتون معقوليّة هذه المعتقدات في الحياة العملية.^{١١٣}

بينما نفكر في الإعاقات بصفتها نموذجًا للقوة المغيرة للإنجيل، أجد أن نموذج جاربر الثلاثي ينطبق هنا أيضًا. قلة من القادة والعلمانيين في الكنيسة سيتحدون حقيقة الشهادة الكتابية، التي توضح الأهمية التي لا يمكن إنكارها للخدمة بين الأشخاص ذوي الإعاقة. إذا سئلوا عما إذا كان هذا شيئًا يجب أن تنخرط الكنيسة فيه، ستوافق الغالبية العظمى أنه يجب على الكنيسة بالفعل أن تسعى جاهدة إلى تحقيق "مأمورية لوقا ١٤" لإحضار الأعمى والأعرج والمكسور ليكونوا جزءًا من المأدبة العظيمة. ولكن هناك فصلًا واضحًا - فجوة قداسة - بين ما يعترف به معظم الإنجيليين أنه صحيح وما يفكر فيه معظم الإنجيليين، في الواقع، على الإطلاق، هذا خلاف الخدمات التي يشتركون فيها.

¹¹³ Stephen Garber, *The Fabric of Faithfulness: Weaving Together Belief and Behavior during the University Years* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1996). His thesis is found on pp. 20–21 and then restated more fully on pp. 172–73. My paragraph here summarizes his main points spread throughout the book.

نعلم أنه قد يكونُ هناك العديدُ من العواملِ التي تساهمُ في هذا الأمر: جهلٌ بكيفيةِ التجاوبِ مع ذوي الإعاقة، وشعورنا بالانزعاج من وجودهم، والاستثمار الساقط للوقتِ والمواردِ اللازمة لإشراك هؤلاء الناسِ في خدمةٍ ذاتِ معنى.

ما نحتاجه هو دفاعٌ معقولٌ عن العملِ (نأملُ أن يكون المذكورة أعلاه!) مقترنةً بمنهجيةٍ معقولة. ثم يبدو أنه لا غنى عن وجودِ مرشدين ليعيشوا مثالَ هذا العملِ ومجتمعاتٍ متعاطفةٍ يمكن من خلالها الانخراط في هذا العمل.

عندما نبدأ في التفكيرِ في نموذجٍ للخدمةِ بين ذوي الإعاقات، قد نطرحُ بعضَ الأسئلةِ أولاً. ما الذي يعرفه المسيحيون عادة عن الإعاقة؟ مامدى صحةِ هذا الفهمِ أو خطأه؟ هل ساهمتُ المقاطعُ الكتابيةُ المتعلقة بالإعاقةِ في سوءِ الفهمِ من قبلِ جماعةِ الإيمان؟ ما الذي يمكنُ لشعبِ الله البدءُ في القيام به للمساعدةِ في التغلبِ على الإهمالِ أو الخوفِ الماضي ولتوفيرِ إمكانية أكبرَ لوصولِ ذوي الإعاقةِ إلى الإنجيل؟

المكان الذي تجدُ فيه كلَّ هذه الأسئلةِ إجاباتها في الوعظ وتعليم الإنجيل في ملئه لشعبِ الله. هذه هي الأداةُ التي يجبُ تقديمُ المنظورِ العالمي من خلالها بطريقةٍ معقولةٍ تمامًا. يجبُ على الكنيسةِ أن تدركَ من جديدٍ أننا ضعفاءٌ ولكن النعمةُ عميقةٌ وقوية. نحن البشر، وخاصة الأمريكيون، نبذلُ الكثيرَ من الجهدِ للتغلبِ، ولنكسبَ، فعلى الأقل نساهمُ بشيءٍ فيما نتلقاه. لذا فيجب على الكنيسة، بدلاً من ذلك أن تكونَ مقتنعةً أنه، في ضعفنا، نحن غيرُ قادرين على المساهمةِ بأي شيءٍ للإنجيل. الإنجيل قويٌّ عنا في ضعفنا. هو قادرٌ عنا في عدمِ قدرتنا. هو كاملٌ عنا في كسرنا. يحتاجُ الوعظُ بإنجيلِ النعمةِ إلى تجريدٍ آخر بقايا عقليةِ المساعدة الذاتية، وريادة الأعمال، وعقليةِ القدرةِ على الفعلِ والتي تسودُ بعمقٍ في الاختبارِ الأمريكي المسيحي. يجب أن يكونَ منظورنا العالميُّ الروحيُّ متأسساً على فهمٍ لضعفنا مرتبطاً مع فهمٍ أكثر ثراءً لكفاية النعمة. هذا هو مكانُ الانطلاق.

وأي توضيح أقوى للضعف لدينا من الأشخاص الذين يعانون من إعاقاتٍ (سواء بشكلٍ واضحٍ في أجسادهم أو بشكلٍ لا يمكن إنكاره في أسلوبهم)؟ لذا فإن الخطوة الأولى في خدمة مجتمع المعاقين هو أن تتفهم الكنيسة ضعفها شخصياً وتفهم قوة النعمة. نقلاً عن نص لبولس والذي يقول فيه أن تشبه بآلام المسيح وضعفه والنصوص من كتابات بطرس التي تقول لنا أن نقتدي بمثال المسيح في الألم، قالت مارفا دون:

إذا كانت الكنيسة أكثر وفاءً لدعوتها الحقيقية بصفاتها قوة مخلوقة من خلال الضعف والتي تفسح المجال لسكنى الله، فيجب علينا أن نطرح أسئلة مثل هذه:

- لماذا حولنا القساوسة إلى رؤساء تنفيذيين ناجحين بدلاً من رعاية للضعفاء؟
- لماذا نبحت عن قساوسة وسيمين، وأذكاء، وذوي كارزما- بدلاً من أن يكونوا نماذج للألم؟

- لماذا تتبنى كنائسنا ممارسات حياة العمل التجارية ونماذج إنجازها؟
- لماذا نلجأ إلى الحيل، أو ما يسميه جاك إلول "تقنية"، بدلاً من ممارسة "التعامل الصافي للكلمة"¹¹⁴؟

كما ناقشنا سابقاً، بصفتنا أميركيين، تغمرنا صور القوة والاكتفاء الذاتي. يصبح إنجيل النعمة أعمق نعمة كلما اعترفنا بضعفنا وتنازلنا عن انشغال الثقافة بالقدرة والقوة. تستمر "دون" لاحقاً في هذه النقطة إذ تقول:

تعمل كنائسنا بمثابة قوى ساقطة عندما لا يعود الإنجيل حجر عثرة عندما تُنبذ "جهالة" الله و "ضعفه" المبينين في ١ كورنثوس ١-٢ لصالح المكانة، أو

¹¹⁴ Marva J. Dawn, *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 5

المنصب، أو الغنى، أو الشهرة، أو القبول لدى أذهانِ الحداثة أو ما بعد الحداثة، أو السلطة. ... تكون الكنائس قد فقدت دعوتها عندما ترضي العالمَ بشكلٍ مفرطٍ وتفقدُ فصيحةَ التبشيرِ بالنعمة - والعجز الذي يعلق في حلق أولئك الذين يريدون أن يكونوا قادرين على إصلاح أنفسهم بأنفسهم.¹¹⁵

المجتمعُ المسيحيُّ بحاجةٍ إلى منظورٍ عالمي مبنيٍّ على العجز وليس على القوة. بهذه الطريقة فقط يمكن أن تبدأ القوةُ المغيرةُ للإنجيل في الظهور في ضعفنا. ويحتاجُ المجتمعُ إلى قادةٍ يعترفون بضعفهم وعجزهم كنقطة انطلاقٍ ليكونوا نماذجٍ في حياتهم الشخصية لقوةِ الإنجيلِ المقلوبةِ رأسًا على عقبٍ هذه.

يستخدمُ علماءُ الأنثروبولوجيا كلمة **كوميونيتاس** *communitas* لوصفِ التجاوبِ البشري الإيجابي الذي يختلفُ عن النظام الاجتماعي العادي.¹¹⁶ متى اجتمع الناسُ معًا في إظهارِ الصدقةِ والعطفِ والرحمةِ بطرقٍ غير عادية، يسمون هذا الأمرَ **كوميونيتاس**. سيكون المثلّ الرئيس لهذا هو تدفُّقُ الجُهدِ المشتركِ والتضحيةِ بالنفسِ والرحمةِ التي ظهرت في مدينةِ نيويورك بعد الهجماتِ على مركزِ التجارة العالمي والبنطاجون في ١١ سبتمبر ٢٠٠١. لكن يجب أن يكونَ هذا هو الوصفُ الطبيعي للمجتمعِ المسيحي.

مثل هذه الشركة هي الإطارُ الذي يجلبُ اللهُ فيه، بطريقةٍ جماعية، القوةَ المغيرةَ لشعبه. عندما يجتمع الأفراد

معًا في اعترافٍ متبادلٍ بنقاطِ ضعفهم المختلفة -الجسدية، والعاطفية، والروحية، والاجتماعية، والنفسية- يأتي اللهُ بينهم لإظهارِ نفسه بقوة، وكما كان ينوي من البداية، ليأخذَ المجدَ في وسط ضعفنا.

¹¹⁵ Ibid., 91.

¹¹⁶ See Stuart D. Govig, *Strong at the Broken Places: Persons with Disabilities and the Church* (Louisville, KY: Westminster, 1989), 72–73.

لذا فإن أساس الخدمة لذوي الإعاقة يبدأ من خلال الوعظ الأمين - وإعادة تثبيت منظور عالمي مسيحي أصيل يقوم على الضعف والنعمة. يجب بعد ذلك أن يكون القادة نموذجًا لهذا، إذ يحتضنون ضعفهم كمثال للآخرين. وأخيرًا، نحتاج إلى مجتمع مشترك يمتلك رؤية يمكن لتلك الخدمة أن تجد الجذور فيها وتنمو-أولاً من خلال الإتاحة والقلوب منفتحة على اختبار النعمة المغيّرة بطريقة جديدة تمامًا على الكثيرين، ثم من خلال "الخبرة" المتزايدة، أي التطبيق والعمل من منطلق الرحمة والنعمة وبناءً على الرحمة والنعمة التي تلقينها واختبرنها من الله في المسيح.

تطوير لاهوت الكسر

الخطوة الأولى هي الوعظ والتعليم والعيش كنموذج لضعف الجهد البشري وقوة النعمة الإلهية. الله في صلاحه ورحمته يخلص كل من "اعترف بقمه بالرب يسوع، وآمن بقلبه أن الله أقامه من الأموات" (رومية ١٠: ٩). من الممكن أن تمتلك الإيمان الذي يخلص النفس وتظل تعيش شخصاً ناموسياً. يخلص الله أولئك الذين يعتمدون على المسيح بالإيمان، حتى عندما يكونون قد أضافوا بالخطأ بعض المتطلبات الإضافية للخلاص أو يؤمنون أن بعضاً من بقايا الصلاح لا تزال موجودة فيهم- حتى لو كانت مجرد بعض قرارات إرادتهم التي ساهمت بطريقة صغيرة في خلاصهم.

وبالمثل، يمكن للمؤمنين أن يقولوا، "نعم، أنا ضعيف حقاً واحتاج إلى الرب يسوع وغنى نعمته"، ومع ذلك لن يأتوا أبداً وجهاً لوجه مع انكسار أرواحهم المعطّل لهم. كثيراً ما نفكر نحن أيضاً قائلين: "رهما يوجد أشخاص آخرون محطمون، ولكن ليس أنا". نضع مثل هؤلاء الأشخاص المكسورين في فئة مختلفة عنا. نحن لسنا قادرين تماماً على التشبه بهم وبتجربتهم. ندرب متخصصين لمساعدة مثل هؤلاء الناس.

جيني فايس بلوك، في كتابها بعنوان "استضافة زاخرة: لاهوت الوصول إلى ذوي الإعاقات" تؤكد أن الإعاقة والانكسار قد انتقلا في التوصيف العام من كونهما شيئاً مخيفاً نخبتى منه (كابتن هوك)، أو شخصاً مثيراً للشفقة نشفق عليه (تايني تيم)، إلى

شيءٍ صحيحٍ سياسيًا ورائعٍ بطريقة ما. وتكمل قائلة إن لعبَ مثل هذا الدورِ بالتأكيد سيحصُدُ الجوائزَ والشهرةَ للممثل. قد تتضمنُ قائمةُ جزيئةٍ من مثل هذه الشخصياتِ "البطولية": داستن هوفمان في فيلم رجل المطر، توم هانكس في فورست جيمب، وباقي دوك وميليسا جيلبرت في النسخ المختلفة من فيلم صانع المعجزات، وروبرت دينيرو في الصحوات، ودانيال داي لويس في فيلم قدمي اليسرى، وجون هيرت في الرجل الفيل، وتوم كروز في فيلم مولود في الرابع من يوليو، وكريستي ألي في فيلم عادية بشكل عميق، والقائمة تطولُ وتطول. علقْتُ بلوك على هذا التيارِ قائلةً إنه "ربما يكشفُ هذا عن نظرةِ المجتمعِ للشخصِ المُعاقِ على أنه شخصٌ مختلفٌ بشكلٍ جذري. نحن نعتقدُ أن الممثلَ الذي يمكنه لعبَ شخصٍ مختلفٍ تمامًا بهذه الدرجة هو جديرٌ بتقدير خاص".¹¹⁷

ومع ذلك، كما رأينا، فإن الأشخاصَ ذوي الإعاقة ليسوا "مختلفين". إنهم يشبهوننا أكثر بكثيرٍ جدًّا من اختلافهم عنا. في الحقيقة، هم نحن! ثمة خطوة رئيسة نحو الحصول على قوة الإنجيلِ المغيرةِ ونحو الخدمةِ وسطَ مجتمعِ الإعاقةِ تكمن في أن يرى المرءُ القواسمَ المشتركةَ مع أولئك الذين يعيشون حياةً مكسورةً بشكلٍ واضحٍ أكثر مما نعيشه.

للأسف، يظلُ صباحُ يومِ الأحدِ أحدَ أكثرِ أوقاتِ الفصلِ العنصريةِ في الثقافةِ الأمريكية. غالبًا ما تكونُ الانعكاساتُ المحليةِ لجسدِ المسيحِ متجانسة فيما يتعلقُ بالعرق، والطبقةِ الاقتصادية، والأشخاصِ ذوي الإعاقة. في كثيرٍ من الأحيان تفتقرُ الكنائسُ إلى أية اختلافاتٍ ملحوظة عن الأغلبية. كتب ستانلي هويرواس قائلاً:

إن استعدادَ جماعاتنا الكنسيةِ لمواجهةِ تحديِ القبولِ والترحيبِ [بالمُعاقين] ربما يكونُ أكثرَ أهميةً مما هو عليه بالنسبة لنظرائنا غير المسيحيين. ... في حين تبدو الضروراتُ الأخلاقيةُ للإنجيلِ واضحةً ولم تنسها كنائسنا أبدًا، إلا أن

¹¹⁷ Jennie Weiss Block, *Copious Hosting: A Theology of Access for People with Disabilities* (New York: Continuum, 2002), 46

الاتجاه الذي قد يقدمونه لنا بصفتنا أعضاء المجتمع لم يبرزُ بصفته أساساً منطقياً مقنعاً لرعاية أعضائنا المُعاقين أو للاعتزاز به بصفته مثلاً يمكن تحقيقه في إدماجهم الكامل في مجتمعنا. ... هل نفتقرُ إلى الموارد الأخلاقية لدمج هؤلاء في مجتمعاتنا الذين نراهم مختلفين عن بقيتنا بشكل خاص؟^{١١٨}

في ضوء النقاش العلماني حول الشخصية والاعتداء عليها، بصفتنا أتباع المسيح، يجب أن نحترم خليفة الله من كل الناس وألا نراهم على أنهم مشاكل يجب تجاهلها أو إخفاؤها. بل يجب أن نراهم مرايا لانكسارنا الشخصي ونوافذ إلهية يمكننا من خلالها التقاط لمحات عن نعمة الله. يجب علينا أن نفعل كل ما في وسعنا لاحترام صورة الله حتى في أكثر حالات الانكسار وفي الحياة المشوهة. حتى أقل هؤلاء يحمل كرامة وقيمة داخلية متأصلة فيه. عندما نرى أنفسنا في انكسارهم، قد نفهم قوة الإنجيل في أجسادنا وأرواحنا المُحطمة والتي في احتياج.

مرة أخرى، كما قلنا سابقاً، فإن ميلنا الثقافي هو السعي لتجسيم صورة الكمال والاكتمال الذاتي. لكن تاريخياً، رأينا أن أعمق الدروس الروحية يتم تعلمها، وأكثر قادة الكنيسة قوة يُطورون من خلال الألم والانكسار، وليس من خلال الراحة والكمال. يلتقي الله بنا في برية حاجتنا، لكننا نميل إلى التخلي عن حاجتنا إليه في وسط راحتنا واكتفائنا الذاتي. يقول آدم نيلسون في كتابه "مكسور في المكان المناسب"، "على الرغم من أن الانكسار وثماره لا يجعلان المرء قائداً، إلا أن من يلعبون دور القادة بدون هذه العملية في ماضيهم يجب النظر إليهم على أنهم خفافاً على هذا الدور".^{١١٩}

¹¹⁸ Stanley Hauerwas, *Suffering Presence: Theological Reflections on Medicine, the Mentally Handicapped, and the Church*. (South Bend, IN: The University of Notre Dame Press, 1986), 182–83.

¹¹⁹ Adam E. Nelson, *broken in the Right Place: How God Tames the Soul* (Nashville, TN: Thomas Nelson, 1994), 232.

أخيرًا، قال بيلدون لين في مقالته "النعمة والمشوه" إن الإنكسار بصفته مسارًا للاكتشاف وللنمو المسيحي "كان يُسمى فيا نيجاتيفا *via negativa* - أي اكتشاف حضور الله في الانكسار، والضعف، والتخلي، واليأس"¹²⁰ ويواصل، قائلًا:

إن روحانية الإنكسار تتطلب ثلاثة أمورٍ صعبةٍ بشكلٍ غيرٍ عاديٍ في مجتمعنا:

أولًا، تجربتنا على الاعتراف بأن النعمة نادرًا ما تأتي على شكل دعوةٍ لطيفةٍ للتغيير. في أغلب الأحيان تظهر في شكلٍ من أشكال الاعتداء - شيءٍ مُميلٍ أولًا إلى الفرار منه. ... نادرًا ما تكون الحياة الروحية مسألةً فهو غير مؤلم ومتواصل.

ثانيًا، تتطلب روحانية الإنكسار إعادة التفكير فيما يعنيه أن تكون إنسانًا. يرغمنا المشوه، بينما نحدقُ فيما هو غير طبيعي، أن نوضح ماهية جوهر الشخصية.

المطلب الثالث والأخير لروحانية الإنكسار هو إعادة النظر في الطريقة التي نتصور بها الله. ... صورتنا عن الله لا تهيئنا لحقٍ يتحقق في الإنكسار. نحن بحاجةٍ إلى التخلص من توقعاتنا. يذكرنا الشخص المشوه من نحن، لكنه يكشف أكثر من ذلك سر حضور الله. ... ما تراه في الاختبارات الكتابية ليس بالضرورة ما تحصل عليه. هذا هو سر الله باعتباره دايوس أبسكونديتوس *Deus absconditus*. ... لذلك، فإنه في الإيمان الكتابي لا يحتفل بالانكسار أبدًا بصفته نهايةً في حد ذاته. إن كسر الله ما هو إلا تعبيرٌ عن محبةٍ في طريقها إلى الإكمال. ... التناقض في الشخص المشوه هو أنه يستدعي أولئك الذين هم كاملون ليُكسروا ويتوفى إلى أن يُجعل المنكسرون كاملين.¹²¹

¹²⁰ Belden C. Lane, "Grace and the Grotesque," *Christian Century* 107 (1990): 1068

¹²¹ Ibid., 1068-69.

ليس هذا مُضادًا للثقافية فحسب، بل إنه يتعارضُ مع الكثير من الاختباراتِ المسيحيةِ المعاصرة. لكنني أعتقدُ أن نقاطَ لين هي تلخيصٌ جيدٌ لجزءٍ حيوي من الإنجيل الكتابي والتاريخي، والذي يُكتشفُ فقط من خلالِ فهمِ انكسارنا. ثم نصبحُ قادرين أن نرى بطرقٍ جديدةٍ القوةَ المغيرةَ للإنجيلِ عاملةً فينا وفي مجتمعنا.

ما الذي يقوله قادةُ خدماتِ المعاقين

من أجلِ تطويرِ نموذجٍ أفضلٍ لتحقيقِ مأموريةِ لوقا ١٤ - أي رؤيةِ الكنائسِ وهي تحتضنُ ذوي الإعاقة وتدمجهم وسطَ أعضائها وحياتها- كتبتُ إلى و/أو تحدثتُ مع العديد من الناسِ المنخرطينِ بنشاطٍ في مثلِ هذه الخدمات. طُلب من كلٍ منهم الردُّ على سلسلةٍ من ستة أسئلةٍ بخصوصِ استعدادِ الكنيسةِ للانخراطِ في الخدمةِ بين ذوي الإعاقة. مع أنها ليستُ دراسةً اجتماعيةً مفصلة، إلا أن النتائجَ غيرَ الرسمية لهذا المسحِ تؤكدُ وتتفقُ مع ما أظهرته الدراساتُ الأخرى الأكثرُ شمولًا وحساسية من الناحية الإحصائية.^{١٢٢}

نجد، أولاً وقبلَ كل شيء، أنه نادرًا ما تتمُّ الخدمة بين المعوقين بطريقةٍ استباقيةٍ ومتعمدة. دائمًا تكون الحاجةُ الخاصة للأسرةِ بمثابةِ المُحفِّزِ للخدمة. ثانيًا، نجد أنه في العددِ الهائلِ من المواقف، تكون الخدمةُ بين الأطفالِ المعاقين وأسرهم (وأكثرُ ندرَةً بين المعاقين البالغين) تطوعية، وتلقى دعمًا ضئيلاً أو معدومًا من ميزانيةِ الكنيسة. في حالاتٍ قليلةٍ (لكنها متزايدة والحمدلله)، ودائمًا تكونُ في كنائسٍ كبيرة، ربما نجدُ وظيفةً يشغلها متفرغٌ لهذه الخدمة.

لا عجب، أنه فيما يتعلقُ بأكبرِ التحدياتِ التي يواجهها أنصارُ خدمة الإعاقة، عدد القادة الخوف ووصمة العار كثيرًا. ومن المثير للاهتمام أن الخوف في كلا الاتجاهين.

¹²² See for example the fine study by Linda Treloar, "Spirituality, Adaptation to Disability, and the Church," in *Christian Council on Persons with Disabilities (CCPD) Journal*, 2(1), 7-10, and the references to other such studies cited there.

بحسب رأي أحد القادة، لا يخاف الأصحاء فقط من المجهول، أو من قول شيء غير لائق أو من القيام به، فإن ذا الإعاقة يخاف أيضًا من الرفض، وخيبة الأمل، والمزيد من الإحباط، ومن ألا يفهم، أن يتم التفضل أو الشعور بالشفقة عليه. رغم أننا يجب أن نفترض ميزة الشك في أن أية وصمة عار هي غير مقصودة من جانب الكنائس، إلا أنه، في اختبار العائلات ذات الإعاقة، تضع الكنائس الكثيرة العديد من الحواجز - الجسدية، والاجتماعية، وأحيانًا الروحية - مما يجعلها لا تستحق عناء محاولة الحضور.

أخيرًا، يجب أن نقول إن التحدي المتكرر الآخر هو مشكلة الوقت الموجودة في كل مكان. يفهم قادة الكنيسة والعلمانيون عن حق، أنه في الغالب، سيتطلب الالتزام بخدمة بين المعاقين وقتًا طويلًا وعملاً كثيفًا. لن تكون خدمة مريحة أبدًا ونادرًا ما يكون لها عائد على الاستثمار يظهر بشكل ملموس. لا يمكن التغلب على هذه العقبة إلا من خلال الرؤية - الرؤية إلى ما وراء حاجز الوقت إلى قوة التغيير الكامنة في احتضان الضعيف والمكسور بيننا.

عندما يُسأل على وجه التحديد عن سبب عدم ذهاب المعاقين إلى الكنيسة، تكون الإجابة الأكثر شيوعًا هي صعوبة إمكانية الوصول — في بعض الأحيان الجسدية ولكن في كثير من الأحيان تكون صعوبة التواصل الاجتماعية والروحية. الحياة صعبة بما يكفي يوميًا لمثل هذه العائلات. ليس لديهم الطاقة للنضال من أجل القبول والرعاية في الكنيسة. يبلغون أنهم يطلب منهم المغادرة بسبب الضوضاء أو النشاط المزعج. في بعض الحالات، تخشى الكنائس من المسؤولية إذا "حدث شيء ما". بالنسبة للعائلات ذات الإعاقة، الخوف من عدم القبول، الخوف من أن يتم انتفاؤهم بطريقة غير لائقة، أو حتى الخوف من رؤية الناس وهم يخافون منهم - كل هذا يبقي الكبار المعاقين وآباء وأمهات الأطفال المعاقين بعيدًا عن الكنائس.

وعندما سئلوا عما يفعلون للتغلب على هذه العقبات، كانت إجاباتهم تعود باستمرار إلى المادة الافتتاحية لهذا الفصل. أولئك الملتزمون بالعمل مع ذوي الإعاقة

وبينهم يرون القيادة مشكلة. هم يسعون شخصياً إلى أن يكونوا نموذجاً للإتاحة الضرورية للقيام بهذا العمل. هم يدربون الآخرين في العمل، ويساعدونهم على التغلب على مخاوف لا داعي لها. وأخيراً، بحضورهم المستمر والعازم، يسعون إلى زرع رؤية في أذهان وقلوب القادة والعلمانيين على حد سواء. بهذه الطريقة، يأملون في تغيير الكنيسة شخصاً تلو الآخر.

رعاية الإعاقة - القادة الفعالون في الكنيسة

لذا، من كل ما رأينا، فإن الطريقة لجلب الناس إلى الكنيسة لاحتضان ذوي الإعاقة باستعداد أكبر هو أن نبدأ بقيادة الكنيسة. يجب أن يلتقطوا الرؤية وأن يقتنعوا بالاحتياج. يجب أن تنبع رؤيتهم من قناعة كتابية، إذ أن مثل هذه الخدمة لن تشكل نجاحاً مادياً أو اجتماعياً أبداً.

كما رأينا من الأشخاص المنخرطين في هذه الخدمة، فإن بعض أكبر العقبات هي التعليم والتوعية. لذا فإن أول أمرٍ يجب أن يفعله قادة الكنيسة هو أن يسألوا أنفسهم بعض الأسئلة المفتاحية ليعرفوا رأيهم في الإعاقات- الأسئلة التي يمكن أن تتضمن ما يلي:

- هل لدي صورٌ نمطية عن ذوي الإعاقة؟
- هل أتساءل، ولو بإيجاز، عما إذا كان هذا الشخص البالغ المُعاق قد فعل شيئاً خاطئاً يستحق حالة العجز هذه؟
- هل أشعر أنني متفوقٌ على الأشخاص ذوي الإعاقة بأية طريقةٍ من الطرق؟
- هل أذنبت من قبل في الشعور بالتفضل أو الشفقة عليهم؟

وأهم سؤال:

- هل أعتبرها عالية على كنيسة، ثقبوا سوداء من الطاقة والموارد التي يمكن إنفاقها بشكل أفضل في مكان آخر؟

يجبُ على القادةِ المسيحيين أن يطرحوا مثلَ هذه الأسئلةِ على أنفسهم أولاً قبلَ أن يمكنهم البدءُ في قيادةِ الآخرين وبالتالي يصبحون ما تسميه هيئة جوني وأصدقائها "القادة الفعالون للإعاقة".

ما الذي يشكلُ القائدَ الفعَّالَ للإعاقة؟ أحدُ العناصرِ الرئيسةِ للقائدِ الفعَّالِ في مجالِ الإعاقةِ هو أنه يقضي وقتاً مع المعاقين - كما فعل الربُّ يسوع. تؤكد القراءة السريعةُ للأناجيل أن الربَّ يسوعَ قضى وقتاً طويلاً للغاية مع أولئك الذين نعتبرهم الآن معاقين، ومحرومين، ومهمشين. إذا كان القساوسة والقادة ليسوا نموذجاً في هذا الالتزام الأساسي، فإن الشعبَ الجالسَ على المقاعدِ لن يفعلَ ذلك على الإطلاق.

لكن مع ضيقِ الوقت على جميعِ الناس، وخاصة أولئك الذين تمت دعوتهم للقيادة، يمكن أن يكونَ "الوقت" أصعبَ معركةٍ يجبُ الانتصارُ بها. لكن الوقتَ، بطرقٍ عديدة، هو أهمُّ احتياجٍ في هذه الخدمة. بمجرد أن تقضي الوقتَ لتكونَ بين ذوي الإعاقة، فإن الباقي يحدثُ تلقائياً (وغالباً يحدث لك!). يتفقُ العديدُ من القادةِ اليومَ على أن ٨٠ بالمائة من الخدماتِ الناجحةِ تكمنُ في المجيء ببساطة.

العناصرُ التاليةُ ضروريةٌ للشخص ليكونَ قائداً فعالاً في مجالِ الإعاقة.^{١٢٣}

القائدُ الفعَّالُ للإعاقة

تسعى مؤسسهُ جوني وأصدقائها إلى الوصول إلى ذوي الإعاقة من خلال القادة الذين يجسدون خصائصَ القائدِ الفعَّالِ في مجالِ الإعاقة. يسعى مثلُ هذا الشخص إلى تحقيق ما يلي في حياته:

¹²³ This paradigm grew out of a "Leadership Forum" for disability ministry sponsored by Joni and Friends. The forum was held in Agoura Hills, CA, January 21–24, 1999.

◀ يشمل

يشمل القائد في دائرة أصدقائه وشركاء خدمته المعاقين وغير المعاقين.

◀ كتابي

يخضع القائد لسلطة كلمة الله وهو قادرٌ على توضيح المبادئ الكتابية المختصة بنظرة الله لذوي الإعاقة ولخدمة المعاقين أيضًا.

◀ سهولة الوصول

هذا القائد هو مناصرٌ لجعل المرافق ووسائل التواصل في متناول الأشخاص الذين يعانون من جميع أنواع الإعاقات.

◀ عملي

يمارس القائد خدمة الأشخاص ذوي الإعاقة ويقود الآخرين لتحديد احتياجات ذوي الإعاقة في المجتمع وتلبيتها.

◀ يبشر

يبحث القائد بنشاط عن فرص لمشاركة رسالة الإنجيل مع الأشخاص المتأثرين بالإعاقات، ويشجع الآخرين ويقودهم لفعل الشيء نفسه.

◀ استيعاب

يشجع القائد الكنائس والهيئات الكنسية على استيعاب ذوي الإعاقة في خدماتهم وشركتهم.

◀ تعزيز

يقوم القائد بإعداد وتجهيز ذوي الإعاقة للبحث عن فرص للقيادة في الخدمة.

◀ التضاعف

يسعى القائد وراء فرص لمضاعفة عدد القادة والكنائس الفعالة في مجال الإعاقة في منطقة تأثيره.

في حين أن هذه قائمة شاقّة من الصفات والخصائص، فإن التواضع على الأرجح هو الأساس غير المكتوب وراء هذه الصفات. يحتاج الأمر إلى التواضع للتخطيط والاستمرار في استثمارات الوقت مع مجتمع المعاقين، خاصة عندما يكون إغراء الأقوياء موجودًا دائمًا. لكن يقول هنري نوين عن حق، "ليست القيادة المسيحية قيادة القوة والسيطرة، ولكنها قيادة الضعف والتواضع حيث يستعلن عبدُ يهوه الله المتألم، يسوع المسيح".¹²⁴ عند الخدمة بين ذوي الإعاقة، تتلاشى قوة المرء الشخصية وسيطرته. لا يُعَدُّ الوقت سلعة خاضعة للمراقبة بعناية. يختفي تقدير اللقب والأهمية في ضوء المهام المملة ولكنها العادية والخاصة بالعيش مع جوانب عديدة من الإعاقة.

ولكن لا يجب أن يكون لدى القائد إحساس بضعفه فقط، فالجزء الأساسي الثاني من الخطة هو معرفة أن ذوي الإعاقة قادرون على القيادة والخدمة بين آخرين من ذوي الإعاقة. أحد المفاهيم الخاطئة في ثقافتنا حول الإعاقات هو أن أي شخص معاق هو أيضًا غير قادر بحكم الواقع، لكن هذا ليس صحيحًا بالتأكيد. وحتى لو كانوا غير قادرين على المساهمة بطريقة شفوية، أو اجتماعية، أو روحية، فإن وجودهم بيننا ينطق بكلمات ترضي الله. بعض من أقوى النماذج للقيادة والكنائس الفعالة في مجال الإعاقة هم هؤلاء الذين يقودون من إعاقاتهم. سواء أكان شلل دماغي مدى الحياة، أو شلل ناتج عن حادث، أو ظهور حالة منهكة مثل التصلب المتعدد أو مرض السكري الشديد، فإن القيادة من موقع الضعف، في طبيعة الإنجيل المقلوبة رأسًا على عقب، هي قوة بشكل لا يمكن إنكاره في عيون العالم المتشكك.

عندما يحدث هذا، يُسمح للسكان الأصحاء أن يؤمنوا، ربما للمرة الأولى، أن ذوي الإعاقة يمكن أن يكونوا أناسًا حقيقيين وأذكياء وجذابين. لكن يصبح بقية العالم أيضًا قادرًا على رؤية ما بداخل عالمهم، وربما يقدر حتى على الحصول على لمحة بطريقة ما،

¹²⁴ Henri Nouwen, *In the Name of Jesus: Reflections on Christian Leadership* (New York: Crossroad, 1994), 63

عن المشقة، والوحدة، والمعاناة، ويقدرُ أن يعترفَ - مرةً أخرى، في كثيرٍ من الحالات، يكونُ هذا لأول مرة - بمقدارٍ ما من انكسارهم وحاجتهم الشخصية والروحية الداخلية الخاصة. يستخدمُ الله الضعفاء ليخزي الأقوياء، والحمقى ليخجلَ الحكماء. لكن في مثل هذا الاكتشاف والاعتراف، يتبعُ الرجاء - الرجاء الحقيقي أنه إذا كان هذا الشخص، المكسورُ بشكلٍ أوضح وأكثر وجودية مني، لديه ثقة في المسيح، حتى من خلال الدموع، فرمًا يكون هناك رجاءٌ لدموعي أيضًا. كتب نوين قائلاً:

لذلك فإن القيادة لا تُسمى مسيحية لأن التفاؤل يتخللها رغم كل احتمالات الحياة، ولكن بسبب أنها متأصلة في حدث المسيح التاريخي الذي يفهم على أنه خرقٌ حاسمٌ في السلسلة الحتمية للتجربة والخطأ البشرية، وبصفته تأكيداً درامياً على وجود ضوءٍ على الجانب الآخر من الظلام.¹²⁵

ليست هذه عناصرٌ ثورية في فلسفة القيادة المسيحية. كانت هذه النماذج موجودة طوال تاريخ الكنيسة (في الواقع تمتدُّ طوال الطريق عبر تاريخ الفداء مع قادة اعترفوا أنهم ضعفاء مثل موسى، وجدعون، وشمشون، وداود). ولكننا نعطي لهذا التعليم الواضح شفتي الوعظ، من الكثيرين من القادة الموهوبين بشكلٍ "طبيعي" في الكنيسة رافضين أن نتبع هذه "الحركة للأسفل" في القيادة. هذا أمرٌ ضعيفٌ في نظر العالم. إنه جهالةٌ في أعين العالم. إنه غير عملي وربما يكونُ ضاراً لنمو الكنيسة.

لكن في نهاية المطاف، عندما نكونُ صادقين، فإننا مجبرون من الكتاب المقدس، والتاريخ، والصدق القاسي للتجربة الشخصية أن نعترف بأن هذا هو الحق الكتابي بشأن القيادة. إنه كتابي لأنه عندما نقودُ من موقع الضعف والتواضع بدلاً من موقع القوة والسلطة، يأخذُ الله المجدَ عندما يتمُّ العمل. وكما قال جون باير: "إن الله شخصٌ مهمٌ

¹²⁵ Henri Nouwen, *The Wounded Healer: Ministry in Contemporary Society* (New York: Doubleday, 1972), 76.

جداً ولا يحب أن يُعتبرَ أمراً مسلماً به".^{١٢٦} ويشمل هذا القادة الذين، حتى مع اعتبار أفضل نواياهم، يبقون بسهولة جداً في دائرة الضوء ويقبلون الفضل عما هو لله.

هدي، في جميع المجالات التي دُعيت للقيادة فيها، أن أفعل ذلك من ضعفٍ صادق وبشفافية، محضراً الآخرين من حولي الذين يستطيعون أن يكونوا أقوىاء عندما أكون ضعيفاً، حتى تُبنى كنيسة المسيح وليمجد اسم المسيح.

إنهاء كنيسة فعالة للإعاقة

كيف يمكن أن تصبح الكنائس مُجهزة لتكون فعالة في خدمة الإعاقة؟ في النهاية، سيكون مقياس النجاح لفعالية خدمة الإعاقة في الكنيسة المحلية أنها لن تحتاج إلى خدمة معاقين. سيصبح الوصول إلى ذوي الإعاقة ودمجهم أمراً طبيعياً حتى أن ذوي الإعاقة سينخرطون، ويشتملون، ويندمجون في نسيج الكنيسة لدرجة أنهم لن يحتاجوا إلى اهتمام خاص بوصفهم مجموعة من الشعب.

النموذج استفزازي: العيش بشفافية (بدافع الضرورة!) مع الضعف، والسماح لنقاط الضعف هذه - التي نعتزُّ بها، ونعلنُ امتلاكنا لها، ونسلمها- لتخرج في عملٍ مثمر- حتى في القيادة - في كنيسة المسيح. ربما يمكن قياس الكنيسة الفعالة في خدمة الإعاقة بمكوناتٍ متطابقة (عند تطبيقها على نطاقٍ واسع) مع تلك التي رأيناها أعلاه عندما ناقشنا القائد الفعَّال للإعاقة. يجب على الكنيسة أن تكون شاملة، وكتابية، ويسهل الوصول إليها، وعملية، تبشِّر، وتستوعب، وتعزُّز، وتضاعف.

تماماً كما أن التواضع هو السمة الأساسية للقائد، أعتقد أن السمة الأساسية للكنيسة الفعالة في خدمة الإعاقة ستكون "محفوفة بالمخاطر". تتطلب خدمة الإعاقة كنيسة تكون على استعدادٍ للمخاطرة بالمجهول، وكسر الحواجز، وللدخول إلى اختبار الأشخاص والأسر الذين يعيشون بإعاقة. إنها تتطلب الخيال والإبداع، والاستعداد لارتكاب الأخطاء

¹²⁶ This statement, one of Dr. Piper's signature phrases, I first heard in a message by the same title at the annual meeting of the Evangelical Press Association, in Minneapolis, Minnesota, in the spring of 1994.

وللتعلم على طول الطريق، ولكن الأهم من ذلك كله، تتطلب المخاطرة بأن تكون متاحة وأن يوجد بين شركتها أشخاص من ذوي الإعاقة.

الخطر تجربة إنسانية أساسية. في يومنا هذا، أصبحت التجربة الإنسانية مبتدلة ولا طعم لها بشكل متزايد، إذ يسعى المجتمع إلى إزالة جميع المخاطر من الحياة (وهو مؤشر آخر على رغبتنا في العيش مسيطرين على ظروفنا بدلاً من تلقي الحياة بصفتها هبةً من الله). عندما نطور رؤية لإحضار ذوي الإعاقة إلى الكنيسة، والشروع للقيام بذلك، فإننا نجازف بخسارة الأشخاص الذين لا يستطيعون التعامل مع غير المتوقع والقبيح. هذا يعني المخاطرة بخسارة مالية وفقدان المكانة، ولكن هذه هي المخاطرة التي قام بها الرب يسوع عندما اقترب من المرفوض، والمريض، وغير المقبول اجتماعياً.

العديد من الخدمات لديها أساليب غير مُعلنة للنمو في المؤسسة والتي تنطوي على ربح الشخص المؤثر، والشعبي، والثري من أجل تأسيس الحركة. لكن الرب يسوع يدعونا لنذهب إلى أولئك الذين ليس لديهم ما يقدمونه: المنبوذين، والوحيدين، والمكسورين، والضعفاء. هذه طريقة محفوفة بالمخاطر للنمو في المؤسسة. منذ عدة سنوات، عندما عملت مع هيئة يونج لايف، كانت الإستراتيجية هي الوصول إلى "الأطفال المفتاحيين" في مدرسة ما، ثم سيأتي الآخرون. إذا تواصلت مع الأطفال "الخطأ" أو إن أتى الحشد الخطأ، تعتبر الإرسالية محكومًا عليها بالفشل! شعرت بالتنافر مع هذه الإستراتيجية في ذلك الوقت وكان من دواعي سروري أن أرى يونج لايف تخطو خطوة مخاطرة في السنوات الأخيرة من أجل تطوير فرع كامل من الإرسالية إلى الأطفال الأكثر تهميشًا. هذا العمل، المسمى يونج لايف كفرناحوم، يثبت لنا ما نشره إليه هنا - أن الله يظهر بطرق قوية وفدائية في وسط ضعفنا. يسعده أن يبارك بطرق رائعة الاستراتيجيات التي يعتبرها العالم حماقة.

يتحدث بریت ويب ميتشل عن هذه المسألة في مقالته بعنوان "الترحيب بضيوف غير متوقعين" حيث يكتب قائلاً:

إن المفاهيم الخاطئة حول الأشخاص الذين يعانون من ظروف إعاقة في شعب الكنيسة ليست مشكلة فردية، ولكنها خيط غامق، ومعقد، ومزعج يسير في جميع أنحاء النسيج الغني لحياة الشركة. التحدي الذي يواجهه الكنيسة هو أن تدرك بحق أن بعض الأشخاص يعانون من حالات جسدية أو عقلية أو حسية تفرض بشكل طبيعي قيودًا حقيقية فيما يتعلق بما يمكن للبعض فعله ولا يستطيعون فعله في الحياة. لكن على أعضاء جماعة المسيح أن ينظروا عبر أو إلى ما هو أبعد من قدرات الفرد أو إعاقته إلى قلب الشخص الآخر إذ نأتي نكون مع الآخر، سواء في أوقات الاحتفال الغزير أو الغضب البار، لنعتني بالآخر وليعتني هو بنا. نحن مدعوون لأن نعيش علاقة مع بعضنا البعض تكون بمثابة عطية نعمة الله.^{١٢٧}

كما سمعنا من أولئك الذين يعملون في مثل هذا العمل، فإن العائلات التي بها أعضاء معاقون نادرًا ما سيخاطرون بالمزيد من الرفض والشعور بالوحدة بالمغامرة بزيارة كنيسة جديدة. سيتطلب الأمر جهدًا لجذب الناس الذين ليسوا في العادة على قائمة كنيستنا. كتبت كريستين بول، قائلة:

تتضمن قائمة ضيوف الله عددًا مقلقًا من الفقراء والمنكسرين، أي أولئك الذين يبدو أنهم يجلبون القليل إلى أي تجمع فيما عدا حاجتهم. تتمثل الطبيعة المميزة للضيافة المسيحية في أنها تقدم ترحيبًا كريمًا إلى "الدون" بدون الاهتمام بميزة أو فائدة تعود على المضيف. تعكس مثل هذه الضيافة كرم الله الأعظم الذي يرحب بغير المستحق، ويوفر للشخص الوحيد منزلًا، ويضع طاولة مأدبة للجائع.^{١٢٨}

¹²⁷ Brett Webb-Mitchell, "Welcoming Unexpected Guests," *Perspectives* 10 (1995): 13. Emphasis in the original

¹²⁸ Christine Pohl, *Making Room: Recovering Hospitality as a Christian Tradition* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1999), 16.

مثلما يكمنُ الجزء الأكبرُ من الخدمةِ في "المجيء"، كذلك يكمنُ الجزء الكبيرُ من إعادة ذوي الإعاقةِ إلى الكنيسةِ في أن يكونَ متاحًا وحاضرًا للاحتياج وللفرصة التي يجلبها. يقول بول، متحدّثًا عن ضيافة المهتمشين:

في حالاتِ الإعاقةِ الشديدة، أو المرضِ العضال، أو الاحتياجِ الغامر، لا يمكنُ "حل" المشكلة. لكن الممارسين يفهمون الخدمةَ الضروريةَ للوجود: قد لا تُحلَّ المشكلة لكنها توفرُ علاقاتٍ تفتحُ نوعًا جديدًا من الشفاء والأمل.^{١٢٩}

احتضان تشابهاتنا المتبادلة

يمثلُ أحدُ الأهدافِ النهائيةِ تحديًا رهيبًا: يجبُ على الكنيسةِ أن تصبحَ أكثرَ فاعليّةً لتعكسَ التنوعَ الذي يقصدهُ اللهُ من خلالِ احتضانِ ضعفها أولًا (وبالتالي فهم الإنجيل) ثم ضعفِ وانكسارِ الآخرين.

على المستوى الطائفي، فإن معظمَ الكنائسِ الإنجيليةِ لم تظهرَ أبدًا أدنى نيةٍ للتحركِ في مثلِ هذا الاتجاهِ الاستباقي. من ناحيةٍ أخرى، كان لدى العديدِ من الطوائفِ الرئيسةِ مكاتبُ قوميةٌ ممولَةٌ من ميزانيةِ الكنيسةِ مخصصةٌ لخدمةِ ذوي الإعاقات. للأسف، أوقفَت معظمُ تلكِ الكنائسِ تمويلها لمثلِ هذه المكاتبِ في السنواتِ الأخيرةِ بسببِ متطلباتِ التقشف. لكن قسمًا للوعي بالإعاقات لا يمكنه أن يحدثَ أيَّ تغييرٍ على الإطلاق إن لم يتمَّ تعليمُ القادة من المنبع.

والأهمُ من ذلك، لا يمكنُ أن يحدثَ التغييرَ أبدًا حتى يفهمَ القادةُ والعلمانيون الإنجيلَ بشكلٍ أفضل. بينما الهدفُ القريبُ من هذا الكتابِ هو أن يسكّنَ ذوو الإعاقةِ جماعةَ العبادةِ الخاصةِ بالله، إلا أن الهدفَ النهائيَ لهذا الكتابِ هو أن يكونَ لشعبِ الله إحساسٌ متجددٌ بمعنى العيشِ كأولادِ الله - مقبولون في حبه رغم ضعفنا، وانكسارنا، وعجزنا. أولئك الذين يعيشون بإعاقاتٍ جسدية، وعقلية، وإعاقاتٍ أخرى سيساعدون

¹²⁹ Ibid., 112

شعبَ الله على رؤيةِ هذه الإعاقاتِ في أنفسهم بطريقةٍ أكثرَ أصالة. عندما نتكاتفُ مع هؤلاء الإخوةِ والأخوات، ونرى أنفسنا في بعضنا البعض، ونسلُكُ في علاقةٍ مع بعضنا البعض، سنبدأُ في التحركِ إلى الأمام بصفتنا كنيسةً ذاتَ قوةٍ جديدة- قوةٍ مغيّرة.

يقدمُ جون سوينتون في مقالته "استرداد الصورة: الروحانيات، والإيمان والإعاقة الإدراكية" في مجلة الدين والصحة، قضيةَ نموذجِ العلائقي للإيماجو داي. يلاحظ أن النعمةَ الإلهيةَ تكشفُ أننا جميعًا كائناتٌ معتمدةٌ على الآخرين بشكلٍ أساسي. كما يؤكدُ أن المعرفة، والإدراك، والتفكير، والتأمل، والاستنتاج بصفتها عناصرَ أولية (أو حصرية) للإيماجو، هي نتيجةٌ لعقلانيةِ التنويرِ ولا تنصفُ طبيعةَ الله الكاملةِ المنعكسةِ في البشر. ويختتمُ في النهاية قائلًا، "لذا، ففي كيفيةِ علاقاتنا، في مقابلِ كميةِ إدراكنا العقلي تُسترد الصورة".¹³⁰ ومن هناك يفترضُ قائلًا: "إن غيابَ مستوى معينٍ من القدرةِ الإدراكيةِ لا يستبعدُ الشخصَ من الروحانيةِ الاختباريةِ التي تظهرُ في علاقاتِ المحبة"¹³¹ ويضيفُ قائلًا:

تقترحُ عقيدةُ التجسدِ أن اللهَ لا يستعلنُ في المقامِ الأولِ في الأفكار، ولكن في الواقعِ الملموس. فإنه في جسدِ الربِ يسوعَ نلتقي مع الله بشكلٍ كامل. بنفسِ الطريقةِ التي يُعلن بها الكتابُ المقدسُ اللهَ على أنه يكتِّفُ نفسه باستمرارٍ مع تقصيرِ البشرِ عبرَ التاريخ، وفي النهايةِ في الكلمةِ الذي صارَ جسدًا، فهكذا يكتِّفُ نفسه أيضًا في تواصلِ المحبةِ مع الأشخاصِ المُعاقين إدراكيًا من خلالِ علاقاتِ المحبة... ببساطة، المواقفِ المحبةِ تكشفُ عن إلهٍ مُحِبٍّ، وإذا كانتِ اختباراتُ الأشخاصِ المُعاقين إدراكيًا تساعدُ في تنميةِ الثقةِ في إنهم موجودون

¹³⁰ John Swinton, "Restoring the Image: Spirituality, Faith, and Cognitive Disability," *Journal of Religion and Health* 36, no. 1 (Spring 1997): 24–25.

¹³¹ Ibid., 25.

في علاقةٍ محبةٍ وقبولٍ بشكلٍ أساسي، فقد بُشِّرَ بالإنجيلِ المسيحي بشكلٍ
اختباري وفعّال.^{١٣٢}

ليمدُّ اللهُ أوتادَ خيمتهِ مثل هذه النماذجِ الخدميةِ لمجدِ كنيسةِ المسيح. ولتفتخرُ تلك
الكنيسةُ ليس بمظهرها الخارجي المتلألئ بالكمال، والقوة، والتأثير، ولكن لتفتخرُ
بضعفها حتى تظهرَ قوةُ الله من خلالها وينالَ اللهُ كلَّ المجد.

¹³² Ibid., 26

الفصلُ العاشرُ

السيادةُ وصوتُ الهمسِ للرجاء

الإعاقة شيءٌ مثيرٌ للفضول. قد يأتي إدراكُ الإعاقةِ على الفور من خلالِ حادثٍ مأساوي أو من خلالِ ولادةِ طفلٍ ذي احتياجاتٍ وتحدياتٍ واضحة. أو قد يتطورُ بشكلٍ أبطأ مع طفلٍ إعاقتهُ ليست ظاهرةً في البداية أو ممرضٍ يتسللُ تدريجيًا. ولكن عندما يأتي الإدراكُ أن الإعاقة وصلت، تتغيرُ الحياة، بشكلٍ كبيرٍ غالبًا، ولا تعودُ إلى طبيعتها أبدًا، هذا غيرُ ما كنتَ قد خططتَ له أو توقعته. ولا يزولُ التأثيرُ أبدًا. بينما يمكنُ للناسِ أن يشفوا من كثيرٍ من الابتلاءِ والفقد، إذ يسمحون للأحداثِ أن تتلاشى إلى النسيان، عندما تأتي الإعاقة، فإنها عادةً ما تبقى، ولا يحدثُ الشفاءُ بالمعنى المُتعارف عليه في ثقافتنا. في حين أنه قد يكونُ هناك مضي قدمًا بطريقةٍ ما، إلا أنه ليس هناك نسيانٌ بمعناه الأساسي. يمكنُ أن تذكرَ المنعطفاتُ البسيطةُ للأحداثِ لما كان من الممكن أن يكونَ ولكن لم يحدثُ أبدًا ولن يحدثُ أبدًا.

كنت في الآونة الأخيرة في صالونٍ لتصفيف الشعر أقوم بقص شعري. كانت الشابة التي تعتني بشعري المتناقص تُسمى جيسिका. بينما قامتُ بقص شعري، وأدركت أنها كانت في الغالب في نفسِ عمرِ ابنتي جيسिका- في أواخرِ العشرينات. كانت مرحلة وتشاركني الحديث. وبينما كانت تتحدثُ معي وأنا خاضعٌ للمقص، فوجئت من أفكارِي. فكرتُ قائلاً: "أراهن أنه إن لم تكن ابنتي جيسिका قد وُلدتُ بشذوذٍ في الكروموسومات، لكان صوئها يشبه تلك الشابة". كانت ستكون مهيبة، ولطيفة، وتشرك الآخرين في الحديث، ومن الممتع أن نعاملَ معها. وفجأةً وجدتُ نفسي أفتقدُ ما لم يكن على الإطلاق ولكن ما كان من الممكن أن يكون. فاجأني هذا. ظننتُ بأنني تجاوزتُ هذا الأمر. لكن بعد ذلك تذكرتُ أنه عندما تأتي الإعاقةُ لتبقى في المنزل، تأتي معها أشياء أخرى مثل الأحلام المحطمة. ويأتي التذكيرُ بذلك في الأوقاتِ الأقلِ توقعًا.

ثم صدمتني فكرةٌ أخرى. بطريقتها الخاصة، فإن ابنتي جيسिका هي أيضًا شابةٌ مهيبة، ولطيفة، ويمكنُ أن تنخرطَ معها في الحديث، ومن الممتع التواجدُ بجوارها- وإن كان ذلك بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا. وهذا هو رجاءُ الإنجيل. ما قد يبدو للعالمِ خسارة، يمكنُ أن يكونَ للمؤمن تذكيرًا بالرجاء. نحن نبي ولا شك في ذلك. لكننا لا نبي مثل

هؤلاء الذين لا رجاء لهم. قد يكون لدينا أيضًا فترات من "الحزن والألم المزمّن". لكن هذا الحزن العميق يجعلنا نتوق فقط إلى الفداء بحماسة أكبر. (لمزيد من المعلومات حول هذا الأمر، انظر النقاط الأربع التي أشرت إليها في الملحق ١.) في مقطع مؤثر في ختام كتاب تولكين الضخم، *The Lord of the Rings*، بينما يتضح للهوبيتس أن صديقهم فرودو سيتركهم إلى الأبد، يقول جاندالف بحكمة، "لن أقول: لا تبكي. لأنه ليست كل الدموع شراً".^{١٣٣}

ومن المثير للاهتمام، إنه في بداية هذه القصة الملحمية، بينما يبدأ فرودو في إدراك ثقل العبء الذي على كاهله، يخبر صديقه جاندالف أنه كان يتمنى لو لم يحدث أي من الأشياء التي أدت إلى الوضع الرهيب الذي يواجهه الآن (ولم تكن لديه أي فكرة عن مدى سوءه!) ربما تكون قد تمينّت أيضًا (أنا قمتُ بذلك عدة مرات!) لو لم تحدث الأشياء السيئة في حياته. لكن مرة أخرى، نجد أن ردّ جاندالف حكيم. فهو يتفق، قائلًا إن لا أحد يرغب في مثل هذه الظروف. ثم يتابع قائلًا: "لكن هذا ليس قرارهم. كل ما علينا أن نقرّه هو ما يجب فعله بالوقت الذي أعطي لنا".^{١٣٤} على الرغم من أننا قد لا نكون قادرين على تغيير الظروف التي أثرت على حياتنا، إلا أننا مدعوون للعيش بأمانة في وسط مثل هذه الأوقات. نستطيع أن نقول مع داود في المزامير، "أَمَّا أَنَا فَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ يَا رَبُّ. ... فِي يَدِكَ آجَالِي" (مز ١٤: ١٥). هناك أوقات للدموع في انكسارنا. لكن هذه الأوقات تذكّرنا بالرجاء الذي لنا أن وقتا سيأتي لن يكون فيه المزيد من الدموع أو الحداد أو الموت (رؤ ٢١: ٤).

¹³³ J.R.R. Tolkien, *The Lord of the Rings* (London: George Allen & Unwin, 1966), 3:310.

¹³⁴ Ibid., 1:60. Interestingly, in Tolkien's book, this exchange takes place in the comfort of Bag End, while in Peter Jackson's movie adaptation, for some reason, the conversation occurs in the darkness of the Mines of Moria!

أسبابُ للرجاء

قال البعض، "للرجاء أسبابه". الألم والضيقات أيضًا لها أسبابها. عبر التاريخ، كافح الفلاسفة المؤمنون والطبيعيون على حد سواء، لشرح الغرض من الألم في العالم. في الصياغة الكلاسيكية، طرح العديد من الفلاسفة فكرة أنه بما أن المعاناة موجودة، فلا بد من صحة واحدة من فكرتين. فإما أن يكونَ اللهَ صالحًا ولكنه ليس قوياً، أو أنه قويٌّ ولكنه ليس صالحًا. تؤكد الفكرة الأولى أن اللهَ يهتمُّ بالبشرية وبآلامنا، وبهذه الصفة سيغيرُ الأمورَ ويزيلُ الألمَ إن استطاع. بما أنه لا يفعل، كما تكملُ الفكرة، فلا بد وأن اللهَ غيرُ قادرٍ على تغييرِ الأمور. بقدرِ ما قد يهتمُّ هذا الإلهُ بالناس، إلا أنه ببساطةٍ لا يملكُ القدرةَ على تغييرِ الأمور. ويؤكد الموقفُ الثاني أن الإلهَ هو في الواقع كليُّ القدرة، قادرٌ أن يفعلَ ما يشاءُ في العالم. وبالتالي، بما أن المعاناة موجودة، يعتقدُ الكثيرون من الناس أنه لا يهتمُّ ببساطة.

لكن بناءً هذه الحجة يقدمُ مُعضلة زائفة. فهذا ليس اقتراحاً إما هذا أو ذاك. يوجدُ بالفعل ما يسميه الفلاسفة **تيرتيوم كويد** *tertium quid*، أي خيارٌ ثالث. يصف الكتابُ المقدسُ اللهَ بأنه كُليُّ الصلاح وكُليُّ القدرة معاً. هو يعلم ويهتم، ويمكنه تغيير الأشياء إذا رغب في ذلك (ويذكرنا سجلُ الكتاب المقدس بالعديد من الأوقات التي يخترقُ فيها اللهُ بأعجوبةٍ لإزالةِ البلاء والمعاناة). ولكن عندما لا يتدخلُ الله، وعندما لا تُستجاب الصلواتُ من أجل الراحة والشفاء بالإيجاب، فهذا يعني أنه يجبُ أن يكون لمعاناتنا معنى وهدفٌ إضافي في خطته وفي عنايته الإلهية.

ثمة مثالٌ على أحدِ الحلولِ المذكورة أعلاه في الكتاب المعروف بعنوان **"عندما تحدثُ الأشياء السيئة للأشخاص الطيبين"**. في هذا الكتاب المهم، يختار الحاخامُ هارولد كوشنر أولَ افتراضٍ من الافتراضين الكاذبين. يستنتج أن اللهَ "لنا" في معاناتنا، ولكنه لا حول ولا قوة له في السماء فلا يقدرُ أن يساعدنا. إنه يقومُ بتشجيعنا للقيام بالأمر ويأمل أن

ننَجِّحَ ولكنه لا يقدرُ أن يتدخلَ نيابةَ عنا بآيةٍ طريقةٍ ذاتِ مغزى. إن تصويرَ الله هكذا لا يقدمُ سوى القليلَ من الرجاءِ إن وجدَ على الإطلاق.

ولكن، بحسبِ ما قلناه على طولِ الطريق، آمَلُ أن تستنتجَ معي أن موقفَ كوشنر لا يتوافقُ مع ما يقوله الكتابُ المقدسُ ويعلمه بوضوح. لذلك تُركنا مع حقيقة أن المعاناةَ حقيقةً لأبدٍ وأن اللهَ لديه خططٌ صالحةٌ لها، بما أنه صالح. فوقَ ذلك، فإن الأحداثُ المؤلمة ليست مصادفة، لكن تُظهرُ كلَّ حالةٍ منها بطريقةٍ ما خطةَ اللهِ المجيدةَ لخليقته ككلٍ ولأبنائه كأفراد.

اسمحوا لي للمرة الثالثة أن آتي ببصيرةٍ جديرةٍ بالاهتمام من تولكين. يناقشُ البروفيسور تولكين في مقالٍ أقلَّ شهرة ولكنه مهمٌ للغاية بعنوان، "حول القصص الخيالية"، من منظورِ البناءِ القصصي للأدب، فكرة أن القصصَ الخياليةَ تعطينا قالبًا أدبيًا يوجدُ فيه ما يسميه "عزاءُ النهايةِ السعيدة".¹³⁵ هو يقترحُ أن بعضَ القوالبِ الأدبيةِ الدرامية تعطينا التراجيديا، والتي تعكسُ بدقةِ الحالةَ الساقطةَ لعالمنا (وتعطينا قوالبَ أدبيةً أخرى مثل الخيالِ الهروبِ من واقعنا الحالي). لكنه يؤكدُ إنه في القصصِ الخياليةِ نجدُ ما هو عكسُ التراجيديا، شيءٌ أسماه يوكاتستروفي "eucatastrophe". استمعُ إلى وصفه:

إن عزاءَ القصصِ الخيالية، أية فرحةِ النهايةِ السعيدة: أو الأصح فرحة الكارثةِ الجيدة، "المنعطف" المفرجحي المفاجئ: ليس هذا الفرحُ. . . بالضرورة "هروبًا من الواقع". إنها نعمة مفاجئة ومعجزية: لا يُعتمدُ عليها أبدًا أن تتكرر. إنها لا تنكرُ وجودَ الكارثةِ السيئة، الخاصة بالأسى والفشل: احتمالية هذه الأمورِ ضرورية لفرحِ الخلاص. إنها تنكرُ (في مقابل الكثير من الأدلة، إن أردنا القول) الهزيمة العالمية النهائية، وبالتالي تكون البشارة

¹³⁵ J.R.R. Tolkien, *Tree and Leaf* (London: George Allen & Unwin, 1964), 60.

(الخبر السار)، التي تعطي لمحةً عابرةً من الفرح، وهو فرحٌ أبعدُ من أسوار العالم، مؤثرة مثل الحزن.^{١٣٦}

يجسّد هذا فكرةً أن ما قد يراه العالمُ على أنه مكسورٌ، وضالٌّ، وبدون قيمة، يقصّدُ اللهُ به الخيرَ، وحتى الفرح والعزاء. عندما يعملُ العالمُ جاهدًا للابتعادٍ عن أولئك الذين يعيشون مع الانكسار والضعف، يستخدمُهم الله، في خطته السيادية، لجلب الرجاء من اليأس والنور من الظلام. هذا هو جوهرُ إنجيلِ المسيح.

لذلك نتقدّم بالإيمان، واثقين أن إله الكتاب المقدس يهتم بنا وأنه سوف يفي بوعوده بأن يجعلَ كلّ الأشياءِ جديدة في وقته. لكن في تلك الأثناء، صرّح تشارلز سويندول، قائلاً "لا نعرفُ كيف نتعاملُ مع المُعاقين! ... لكن لدهشتي وربما لدهشتك، فإن الكتاب المقدسَ منسوجٌ مع نسيجٍ من المُعاقين. أنا تلميذه [الكتاب المقدس] وقد فوجئتُ مرةً أخرى!"^{١٣٧} بالفعل، تظهرُ أصواتُ الكتاب المقدس والتاريخ هذا - لا تظهرُ الأسفارُ المقدسة أن الله يتراءى على الأرملة واليتيم فقط، ولكن على المكسور والمُعوق أيضًا. ربما لدهشتنا، رأينا أن الله يستخدمُ الأشخاص الضعفاء والمنكسرين كثيرًا (أو غالبًا!) ليحملوا رسالته وليقوموا بعمله. بهذه الطريقة رأينا أن الله ينالُ المجد، وتظهرُ قوته ومجده في ضعفنا.

يُعلنُ اللهُ في العهد القديم، بصفته الخالق والحافظ لكل حي. هو يعلنُ أن كلا من المواقف الجيدة والسيئة، يرجعُ أصلُ كلٍّ من البشر المشوهين والأصحاء بطريقةٍ ما إليه. يُعلنُ عن قداسة الله جزئيًا من خلال المطالب الصارمة للكمال الخارجي بين الذين يخدمون في خيمة الاجتماع والهيكل. لكن نرى في الوقت نفسه، أدلةً واسعةً على عطفه

¹³⁶ Ibid., 60.

¹³⁷ Charles Swindoll, "The Parents of a Son Born Blind" (part 1) from *Insight for Living* radio program, January 7, 2003.

ورحمته وضمه لجميع أنواع المنكسرين في جماعةٍ عهده. حرمت القوانينُ الخاصةُ إساءةَ معاملَةِ المكفوفِ أو الأعرجِ بالفعلِ بالتهديدِ من أن يتسبَّبَ الجانيُّ في غضبِ الله.

في العهدِ الجديد، نرى أولاً أن الربَّ يسوعَ يجسِّدُ رافةَ الله ورعايتهَ للمنبوذِ والمكسورِ، إذ قضى الكثيرَ من الوقتِ معهم، باحثاً عنهم، شافياً لهم، ومطمئنهم. في وقتٍ لاحقٍ نتعلمُ أن الهدفَ من فدائنا يرجعُ جزئياً إلى أن نستطيعَ أن نشابهَ صورةَ فادينا، يسوعَ المسيح. أخيراً نتعلم أن السعيَ البشريَ لا يهْمُ شيئاً في عمليةِ الفداءِ هذه. فاللهُ يسعدُ بإنقاذ أولئك الذين يعترفون بأن قوةَ الله تكملُ في الضعف.

بينما ننظرُ إلى تاريخِ الكنيسةِ وتجاوبها مع الإعاقة، اكتشفنا أنه، في أحسنِ الأحوال، كان ماضياً متقلباً. في بعضِ الأحيان، عبَّرَ اللاهوتيون عن اهتمامهم الدقيقِ والعاطفيِ بمجتمعِ المعاقين. لكن في أوقاتٍ أخرى، كتبَ القادةُ المبجلون وقالوا أموراً، في الماضي وللأسف في الوقتِ الحاضرِ أيضاً، والتي نؤمنُ أنها تتعارضُ مع قلبِ الله وتعاليمِ الكتابِ المقدس فيما يتعلقُ بالأشخاص ذوي الأجسادِ والعقولِ المكسورة. في الحقيقة، في بعضِ الأوقاتِ أدى مثلُ هذا التعليمِ الخاطئِ إلى عزلِ المزيدِ من الناسِ الذين يتوقون إلى الرجاءِ ويحتاجون إلى قوةِ الإنجيلِ المُغيِّرة. ولكن في كثيرٍ من الأحيان لا يرغبُ ذوو الإعاقةِ في المخاطرةِ بمزيدٍ من خيبةِ الأملِ والرفضِ من خلالِ البحثِ عن الرجاءِ داخلَ الكنيسةِ المحليةِ.

في عنايةِ الله في السنواتِ الأخيرة، تطورتِ التكنولوجيا التي تسمحُ للعديدِ من ذوي الإعاقةِ بالبقاءِ على قيدِ الحياةِ عبرَ الظروفِ والإصاباتِ التي كانت قبلاً مميتة. تسبَّبَ هذا في شيئين: أولاً، أصبحَ ردُّ فعلِ المجتمعِ على وجودِ ذوي الإعاقةِ أصبحَ مشكلةً لا بد من مواجهتها. وثانياً، بدأ المسيحيون الذين ميزت حياتهم الإعاقةُ بالتحدثِ بصوتٍ يطالبُ ويستحقُّ أن يُسمع.

خلصنا في وقتٍ سابقٍ من هذا الكتابِ إلى أن كلَّ إنسانٍ مخلوقٌ على صورةِ الله، وقد وضعَ في كلِّ شخصٍ كرامةً وقيمةً بَعْضُ النظرِ عن القدرة. وحددنا أن البشرَ في شخصهم ككلٍّ هم صورةُ الله وأنا نقيّدُ هذه الصورةَ بشكلٍ غيرِ لائقٍ لأحدِ جوانبِ كياننا- سواء كانت الجسدية، أو العقلانية، أو الروحية. فوق ذلك، وجدنا أيضاً أن جسَدَ المسيح

مكونٌ من أجزاءٍ مختلفة، كلُّ جزءٍ منه كما قصدَ اللهُ له بالضبط- بعضها أضعفُ وأقلُّ مظهرًا، والبعضُ الآخر أقوى وأكثرُ جمالًا ظاهريًا - لكن كلها ضروريةٌ بطريقةٍ سرية.

لقد وجدنا أن اللهَ في سيادته يخلُقُ بعضَ الناسِ مظاهرَ وقدراتٍ تقعُ خارجَ النطاقِ التعسفي اجتماعيًا لما هو طبيعي. ويعبُرُ اللهُ بأناسٍ آخرين في ظروفٍ تركهم بقدراتٍ (جسديةٍ أو عقليةٍ) أقلَّ مما كانت لديهم من قبل. قالت **جوني إيركسون تادا**، "في كثيرٍ من الأحيان يسمحُ اللهُ بما يكرهُ لإنجازِ شيءٍ أكثرَ ثراءً، وأعمقَ وله مكافأةٌ أبدية من "الهروب" من كرسي متحرك. إنه يسمحُ بالإعاقة...حتى نكونَ في أمسِ الحاجةِ إليه، ولكي نثقَ فيه بشكلٍ أكثرَ حصرية، ونلتصقَ به بأكثرَ جدية. وبينما نفعلُ هذا، نتغيرُ".¹³⁸

الحاجة والثقة والالتصاق. أخبرَ الناسُ كثيرًا أن سفر التثنية يمكن تلخيصه في ثلاث كلمات: "تذكر، ولا تنسى!" نحن مدعوون لأن نتذكرَ طبيعةَ اللهِ ووعوده. يحذرننا من أن ننسى في ظلامنا الأمورَ القيَّمة التي تعلمناها في نور المسيح.

كما أننا وجدنا أيضًا أنه ليس من غير المعتاد أن يشعرَ الناسُ بعدم الارتياح حول أولئك المختلفين. لقد خلصنا إلى أن هذا الانزعاج لا يعودُ في الغالب إلى أن الشخصَ المُعاقَّ سيءٌ في جوهره ولكن لأن حالته المكسورة ظاهريًا تذكرنا جميعًا بوضوحٍ شديدٍ بكسرنا الحقيقي. يلخصُ هاورواز هذا جيدًا، فيقول:

ربما لهذا السببِ يخيفنا المعاقون ذهنيًا [والمعاقون بشكلٍ عام] بهذه الدرجة — أي، لأنهم يذكروننا بأنه على الرغم من كل ادعاءاتنا، فإننا لا حولَ لنا ولا قوة مثلهم عندما يصمُّ كلُّ القولِ والفعل. مثلهم، نعتمدُ نحن على الآخرين من أجل حياتنا وللأشياء البسيطة التي تجعلُ الحياةَ قابلةً للعيش. إلا أننا نفضلُ إبقاءَ اعتمادنا مخفيًا، لأننا نتوهمُ أننا، على عكسِ المُعاقين ذهنيًا، مسيطرون على وجودنا. وبالتالي نوصمُ أولئك الذين يعتمدون بشكلٍ واضحٍ للغاية على آخرين بأنهم "معاقون ذهنيًا" لكي نُميزَهم عنا. بالنسبةِ

¹³⁸ Joni Eareckson Tada, *Joni and Friends Newsletter* 23, no. 8 (September 2002).

للمسيحيين، يجب أن يكونَ مثلُ هذا التمييزُ أناثيما (محروما وملعوناً)، اذ أن محتوى الإعلانِ عينه يعلمنا بالضبط أننا بالفعل بشرٌ مُعتمدون على آخر.^{١٣٩}

لكننا خلصنا أيضاً إلى أنه لهذا السببِ بالذاتِ فإن هناك حاجة ماسة لمثل هؤلاء الأشخاصِ للكنيسة. إنهم بمثابة تذكيرٍ ماديٍّ وملموسٍ مِن نحن حقاً: أي كائنات معتمدة على آخر ذات أجسادٍ وأرواحٍ مُعاقّة. (مرة أخرى، انظرُ إلى نقاطي الأربع في الملحق ١.) يتم تذكيرنا ألا نعتمد على أنفسنا بل على القادر وحده أن يلي كل احتياجنا ويجعلنا ما ينبغي أن نكونَ عليه في وقته.

أخيراً، نوّمنُ أن القوةَ المُغيّرةَ للإنجيل ستأتي على أبناءِ اللهِ بطرقٍ جديدةٍ وعميقةٍ بينما نواجهُ ضعفنا وانكسارنا الشخصي. الأشخاصُ ذوو الإعاقة ضروريون في الكنيسة لأن وجودهم يذكرنا بأننا جميعاً ضعفاء ومنكسرون أمامَ اللهِ القدوسِ الرحيم. يجبُ أن نأتي ونقع عليه وحده هو القوي، لأننا لا نستطيعُ أن نخلصَ أو نقدسَ أنفسنا بقوتنا الشخصية.

توصياتٌ

عندما بدأنا هذا الكتابَ طرحنا السؤال، من خلال استيعابِ انكسارنا الأساسي بمزيدٍ من الحزم، كيف يمكننا، بصفتنا شعبَ الله، احتضانَ ذوي الإعاقة بشكلٍ كتابيٍّ أكثرٍ وأكثرَ فاعلية، متممين بالتالي وصية كورنثوس وعائشين بموجبِ الإنجيلِ أمامَ العالم؟ نظراً لأن الكنيسةَ العاديةَ بها عددٌ قليلٌ جداً من ذوي الإعاقة وسطَ الحضور، أردنا معرفة كيف يمكننا تحقيقُ مأمورية لوقا ١٤ لجلبِ الأعرج، والأعمى، والضعيف. أنهت إحدى العاملاتِ في خدمةِ الإعاقة والتي ردتُ على استبيانٍ أجرته قائلة: "لا تأتي معظمُ العائلاتِ [ذات الإعاقة]، لأن الحياةَ صعبةٌ للغاية ... ونحن لا نصلُ إليهم لأننا لم نرَ بعد".

¹³⁹ Stanley Hauerwas, *Suffering Presence: Theological Reflections on Medicine, the Mentally Handicapped, and the Church* (South Bend, IN: Notre Dame Press, 1986), 184.

كان الهدفُ من هذا الكتابِ هو مساعدةُ الناسِ على رؤيةِ الحاجة. لقد سعينا أكثرَ إلى الإجابةِ على سؤال: لماذا يجبُ علينا؟ أكثرَ من الإجابةِ على سؤال: كيف يجبُ علينا؟^{١٤٠} بعد قولِ هذا، فما يلي من توصياتٍ تقدّمُ بتواضعٍ لمجموعتين - للقادةِ في الكنيسةِ ولشعبِ اللهِ بشكلٍ عام.

للقساوسةِ وللقادةِ المسيحيين

أولاً، كُنْ أميناً في الوعظِ والإنجيلِ في ملئه، دون أن تهملَ تعليمَ الناسِ أن كلَّ البشرِ مخلوقون على صورةِ الله. قلْ الحقيقةَ الصعبةَ القائلةِ إنه بسببِ السقوط، انكسرَ كلُّ الناسِ وأصبحوا لا حولَ لهم ولا قوةَ أمامَ الله و- بكلِّ صدق- أمامَ بعضهم البعض. ذكّرْ قطيعك أنه على الرغمِ من أن بعضَ الأشخاصِ منكسرون بشكلٍ أكثرَ وضوحاً من غيرهم، إلا أن جميعَ الناسِ — المعاقين والأصحاء - يحتاجون إلى الفداءِ والمحبةِ المُخلصةِ للمسيح.

ثانياً، خاطرْ واقضِ وقتاً طويلاً مع بعضِ الأشخاصِ الذين يعيشون بإعاقة. كُنْ مثلاً الربِّ يسوعَ في هذا الصدد. سينكسرُ قلبُك ويتغير. كُنْ نموذجاً أمامَ شعبك رغبةً لا في أن تكونَ متاحاً فقط، ولكن في أن تقتربَ أيضاً بشكلٍ استباقي للتواصلِ مع أولئك الذين يعيشون بعبءِ الإعاقة. ادرك أنه لن يمكنكِ بالضرورةِ إصلاحَ حالتهم، لكن عليك أن تدركَ أيضاً أن وجودك قد يكونُ كلَّ ما هو مطلوبٌ لفرحِ القلبِ وجلبِ رجاءِ الإنجيلِ إلى بعضِ الأشخاصِ المرفوضين والمُهمشين بشكلٍ أكبر في ثقافتنا. قد يكونُ قبولك كلَّ ما هو مطلوبٌ لبدءِ الشفاءِ الذي يحتاجُه الروح.

ثالثاً، ادمعْ وشجعْ أولئك الذين لديهم الوقتُ والمواهب في كنيستك للانخراطِ في هذه الخدمة. اشعلْ رؤيتهم واستمر بتغذيتها بشغفِ الإنجيل. قُمْ بتوجيههم نحو المواردِ

¹⁴⁰ Many “how-to” books are available. One example is Erik Carter’s *Including People with Disabilities in Faith Communities: A Guide for Service Providers, Families, and Congregations* (Baltimore, MD: Paul H. Brooks, 2007). Carter includes sample questionnaires, resources, ideas, etc., as well as a list of dozens of published resources, organizations, and more.

الإلهية وبينما يوفرُ اللهُ الاحتياج، اجعلْ لهم مكانًا في ميزانيتك، واعرضْها على موقع كنيستك على الإنترنت.

للعلمانيين، شعبُ الله

أولًا، حاولْ أن ترى إنكسارك الشخصي، سواء كان داخليًا أو خارجيًا، باعتباره وسيلةً لتوصيلِ النعمةِ التي أعطاهها اللهُ لك حتى تكتشفَ قوةَ الإنجيلِ المُغيّرة. إذا كنتَ قادرًا جسديًا، فلتَرِ ضعفك وانكسارك شخصيًا في إخوتك وأخواتك وأولادك المُعاقين. سبِّح الله على أنه أسسَ كنيسته هكذا بحيثُ تشملُ جميعَ الشعوبِ من أجلِ قصده ومجده.

ثانيًا، قُمْ بالمخاطرةِ وتطوعْ لتأتي جنبًا إلى جنبٍ مع شخصٍ مُعاقٍ - إنهم من حولك في كلِّ مكان. ادعهم للكنيسة وساعدْهم على الوصولِ إليها. لا أوصي بأن تسعى إلى "مساعدتهم". سوف تجدُ أنه عندما تأتي إلى جانب ذوي الإعاقة، فإنهم على الأرجح سيساعدونك هم. تذكر: لا يصنعُ اللهُ الأمورَ بالطريقةِ التي نتوقعها أبدًا!

ثالثًا، قُمْ بمخاطرةِ أكبرَ واحضرْ مؤتمرَ عائلةِ جوني وأصدقائها بصفتك مُبشراً لمدةٍ مُحددة. أو حتى الأكثرَ مخاطرة، سافرْ إلى بلدٍ آخر في إرساليات "عجلات من أجل العالم" مع جوني وأصدقائها. كُن مستعدًا لأن ينكسرَ قلبُك وليتمَّ ملؤه بطريقةٍ جديدةٍ تمامًا بعد ذلك. عن طريقِ وجودك بينَ الناسِ المنكسرين، سيأتي الإنجيلُ إليك بطرقٍ جديدةٍ وقويةٍ للغاية. استمعْ إلى قصصِ بؤسهم ولاحظْ حياتهم بأعبائهم. ولتفهمْ سببَ كونِ رجائهم في السماء حقيقياً وملموساً بهذه الدرجة.

رابعًا، اسألِ اللهَ عما إذا كان يريدُ منك أن تشاركَ في الخروجِ للمجيءِ بذوي الإعاقة ولتضمينهم وسطَ شعبِ كنيستك. انظرْ إلى بعضِ المواردِ لمعرفةِ ما هو متاحٌ أو قُمْ ببساطةٍ بزيارةِ كنيسةٍ محليةٍ أخرى منخرطةٍ بالفعلِ في مثلِ هذا العمل. تفحصْ المواردَ المُتاحةَ على الإنترنت - وهي كثيرة - وخاطرُ بالتورط.

كلمة ختامية

قام القس في كنيسة مؤخرًا بالوعظ من خلال خيوط متعددة من التعليم في رسالة يعقوب. في الخيط المتحدث عن الإيمان والأعمال (خاصة يعقوب ٢: ١٦-١٧)، ذكرنا أن الإيمان المستعد للتحديث أو الصلاة فقط - أن تكون مؤدبًا وتطلب من الله أن يساعد المحتاجين - هو إيمان ميت. في اللغة اليونانية المعيارية، يقول النص حرفيًا، "هذا [أو "مثل هذا"] الإيمان، إذا لم يكن لديه [أو "يمتلك"] أعمالا، فهو ميت في حد ذاته.

يستخدم يعقوب راحب مثالا - وهي عاهرة ماهرة وفاسقة، والتي، في مواجهة الحاجة الحقيقية، لم تكن مؤدبة ومصلية. بل انخرطت في التضحية بطريقة محفوفة بالمخاطر. تقول الوصية: أعطى للناس الذين في احتياج الأشياء التي يحتاجها الجسد! تذكر أيضًا ما قاله الرب يسوع (في متى ٢٥) بخصوص الخراف والجدا. حُكم على الناس بحسب أعمالهم (ما فعلوه أو لم يفعلوه لأشد الناس احتياجًا بينهم). وتفاجأ الخراف بأن أفعالهم ورحمتهم لهؤلاء "الأصاغر" ساهمت في مكافأتهم.

لئلا نسيء الفهم ونبدأ في التفكير في أن أعمال الرحمة الخاصة بنا تخلصنا، ضع في اعتبارك هذا (مرة أخرى من تعاليم القس في كنيسة): لا يعني اختبار الحمض النووي للإيمان الكتابي الأصيل من رسالة أنك إذا فعلت هذه الأشياء تصبح مسيحيًا (لأن الكثيرين يقومون بأعمال حسنة بدافع الأنانية). بل بالأحرى، فإن اختبار الحمض النووي هو أن تسأل نفسك، إذا لم أفعل هذه الأمور، هل أنا من أتباع المسيح حقًا؟

يسعى الكثير من الناس إلى الاحتفاظ ببعض الإحساس بأن أعمالهم تساهم في وضعهم أمام الله. لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة من هذا. في لوقا ١٨، ذهب الرجل المعتمد على قيمته الروحية إلى منزله غير مبرر. يصف يعقوب ١ هؤلاء

الناس بأنهم يخدعون أنفسهم ويمارسون ديانةً "باطلة". لمثل هؤلاء يقول الرب يسوع (في متى ٢٥: ٤١)، "اذهبوا عني!"

تذكر، تسبقُ الكينونة الفعل. من نحن (بصفتنا أولادَ الله في المسيح) أهم بكثير مما نفعله. يعمل الكثير من الناس بناءً على فكرة، "إذا فعلتُ هذا أو ذاك، فأنا مسيحي"، بينما يقول الموقف الكتابي، "إذا كنتُ مسيحيًا، أي ابنَ الله بالتبني، يمكنني أن أفعل هذه الأشياء".

"اليتيم والأرملة" في يعقوب هما اختصارُ كتابي لهؤلاء الأكثر احتياجًا في مجتمعك- ولكن تذكر، هؤلاء هم الأكثر احتياجًا في عيون العالم. يسعى عملنا هنا إلى إظهار أننا جميعًا في أشد الحاجة. ومع فهمنا هذا، وبينما نشرك أولئك المُهمشين والمرفوضين من نموذج الكمال والقوة العالمي، وبينما نتماثل مع الأكثر احتياجًا لأننا ندرك أننا هم، تقع قوة الإنجيل على عاتقنا بشكل كامل في ضعفنا.

في عام ١٩٧٣، كجزء من قانون إعادة التأهيل (المقطع ٥٠٤) ، قال كونجرس الولايات المتحدة، "لا يجب على أي فرد مؤهلٍ بخلاف ذلك في الولايات المتحدة، أن يُستبعد، فقط بسبب الإعاقة، من المشاركة في، أو الحرمان من الفوائد، أو التعرض للتمييز في المعاملة في أي برنامج أو نشاطٍ يتلقى مساعدةً مالية فيدرالية". تبع هذا في عام ١٩٧٥ توجيهُ موسّع وشاملٍ مشابه، مع قانونٍ تعليم جميع الأطفال المُعاقين (إذ يجعل التعليم العام إجباريًا لجميع الأطفال بغض النظر عن شدة المشاركة حتى سن الحادية والعشرين). يشار إلى قانون التشريع هذا الآن بشكلٍ شائع بالقانون العام ٩٤-١٤٢ ببساطة.

ومع ذلك، ليس إلا بعد أن أقر الكونجرس هذين القانونين أن بدأت الكنيسة، وحتى عند ذلك الحين فقط الجناح الليبرالي للكنيسة، في التحدث عن مثل هذه القضايا. في القسم الثاني من التقرير بعنوان "ما تتطلبه الوحدة"، قال مجمع الكنائس العالمي في عام ١٩٧٥ تحت عنوان:

المعاقون وصحة عائلة الله

إن الإعاقة -هي مشكلة عالمية متزايدة. تؤدي الحوادث والمرض إلى إعاقة البالغين والأطفال؛ والكثيرون الآخرون معاقون عاطفياً بسبب ضغوط التغيير الاجتماعي والحياة الحضرية؛ تترك الاضطرابات الوراثية والمجاعات ملايين الأطفال في ضعف جسدي أو عقلي. لا تستطيع الكنيسة أن تجسّد "البشرية الكاملة المعلنّة في المسيح"، ولا أن تشهد لترابط الجنس البشري واعتمادهم على بعضهم البعض، ولا أن تحقق الوحدة في التنوع إذا استمرت في الانصياع لعزل المجتمع للمعاقين وحرمانهم من المشاركة الكاملة في حياتها. إن وحدة عائلة الله معاقّة حيث يُعامل هؤلاء الإخوة والأخوات بمثابة موضوعات للأعمال الخيرية المتعالية. إنهم مكسورون حيث أنهم يستبعدون. كيف يمكن لمحبة المسيح أن تخلق فينا الإرادة للتمييز والعمل بقوة ضد الأسباب التي تشوه وتعطل حياة الكثير من إخوتنا البشر؟ كيف يمكن للكنيسة أن تكون منفتحةً للشهادة التي يقدمها المسيح من خلالهم؟¹⁴¹

كان هذا السؤال الأخير إلى حد ما هو موضوعنا الأساسي: بالضبط من خلال احتضان ضعف الانكسار لدى ذوي الإعاقات المتعددة، تبدأ الكنيسة في التعرف على حالتها الروحية المُحطمة ويمكنها أن تبدأ في رؤية قوة الله المُغيّرة تتجلى بطرق عميقة من خلال الضعف. لقد رأينا في الفصول من ١ إلى ٣ الشهادة المتعددة للكتاب المقدس على انكسار البشرية جمعاء (جسدياً، وعاطفياً، وروحياً)، ومط الله في إظهار نفسه متعاطفاً وقوياً من خلال الضعفاء والمنكسرين. لقد رأينا في الفصول من ٥ إلى ٨ حالة التأمل المسيحي في هذا المجال من الفكر. ولخصنا تلك النتائج في الفصل ٩ وبدأنا في تقديم نموذج للكنيسة.

¹⁴¹ Geiko Müller-Fahrenholz, ed., *Partners in Life: The Handicapped and the Church*, Faith, and Order Paper 89 (Geneva: World Council of Churches), 177.

في الختام، صلاتي - ورجائي الثابت- أن تصبح رؤية صفنيا واقعًا في الكنيسة في وقتِ الرب. في الأسطرِ الختاميةِ للنبي (٣: ١٩-٢٠)، يقولُ ربُّ السماءِ والأرضِ من خلالِ خادمه:

"هَأَنَذَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَعَامِلُ كُلَّ مُدَلِّيكِ، وَأُخَلِّصُ الظَّالِمَةَ، وَأَجْمَعُ الْمُنْفِيَّةَ،
وَأَجْعَلُهُمْ تَسْبِيحَةً وَاسْمًا فِي كُلِّ أَرْضٍ خَزَيْهِمْ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ آتَى بِكُمْ
وَفِي وَقْتِ جَمْعِي إِيَّاكُمْ. لِأَنِّي أَصِيرُكُمْ اسْمًا وَتَسْبِيحَةً فِي شُعُوبِ الْأَرْضِ كُلِّهَا،
حِينَ أَرُدُّ مَسْبِيئِيكُمْ قُدَّامَ أَعْيُنِكُمْ،" قَالَ الرَّبُّ.

سوف ينفذُ الأعرجُ (التعميم لذوي الإعاقة) من كلِّ مكانٍ شعروا فيه بالعارِ لضعفهم. وسيأتي بهم إلى المنزل، إلى البيت، إلى المائدة، بل إلى مأدبةِ الوليمة، وحتى إلى الأماكنِ المكرَّمة. هذا هو قصدُ الله للضعيفِ والمُهْمَّش. أتمنى أن تدركَ الكنيسة رؤيةَ الله لجسده وتبدأ في فعلِ الشيءِ نفسه.

الملحق ١

سيادة الله والشذوذ الجيني

قُدِّمَتْ هذه المادة في الأصل بصفتها ورقةً بحثيةً في أحد المؤتمرات التي استضافها مركز الأخلاقيات البيولوجيا والكرامة الإنسانية ("الحصة المسيحية في علم الوراثة") في كلية لاهوت ترينيتي إيفانجيليكال Trinity Evangelical Divinity School في يوليو ١٩٩٧. نُشِرَتْ في الأصل في مجلة أخلاقيات علم الوراثة: هل تبرر النتائج الجينات؟^{١٤٢} حُرِّرت المادة الأصلية من أجل إدراجها في هذا الكتاب. على الرغم من أن بعض الاقتباسات قد استُخدِمت بالفعل، منتشرة عبر الفصول السابقة، إلا أنني اخترت تقديم هذه المادة بمثابة وحدةٍ من أجل النقاط الأربع التي أحدها أدناه.

ما العلاقة بين سيادة الله في الخليقة ووجود أطفال مشوهين بشكلٍ بشع أو على الأقل "حوادث" وراثية غامضة؟ هل قصد الله أن يصنع مثل هذه، أم أنه بدأ الآلة البيولوجية التي نسميها البشرية ثم تراجع لمشاهدتها وهي تعمل تاركة دخول الخطية لتعيث الفوضى التي نراها في التشوهات؟ هل الانحرافات الجينية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخطية والسقوط، مما يحرر الله من أية مسؤولية تجاهها؟ إذا لم يكن لله دورٌ في مثل هذه الظروف الجسدية البشرية المنهكة، فما هو الرجاء الذي يقدمه الإيمان المسيحي للذين يعانون أو لأولئك الذين يعتنون بهم أو يعالجونهم؟

في خضم دراسةٍ إثنوغرافيةٍ تقنيةٍ لمهنة المشورة الوراثية، والتي تحمل عنواناً استفزازياً: "كل أخطاء الله: المشورة الوراثية في مستشفى الأطفال"، يظهر البيان الشخصي والصادق بشكلٍ لافتٍ للنظر:

¹⁴² Michael Beates, "God's Sovereignty and Genetic Anomalies" in *Genetic Ethics: Do the Ends Justify the Genes?* ed. John F. Kilner, Rebecca D. Pentz, and Frank E. Young (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1992), 55–56. Reprinted by permission of the publisher, all rights reserved.

هناك عبءٌ أخيرٌ يجبُ على الآباءِ أيضًا مواجهته: وهو ضعفُهم وعجزُهم على تغييرِ الوضع. يتطلبُ هذا قبولَ حدودِ نموِّ أطفالهم، على الرغمِ من إيجادِ أفضلِ برامجِ تحفيزِ الأطفالِ، والحصولِ على أفضلِ خدماتِ الدعمِ، وتقديمِ أفضلِ أساليبِ الأبوةِ والأمومة. إن الأمرَ يتطلبُ قبولَ محدوديّةِ ما هو ممكن ...

في النهاية، يغمرُ هذا العجزُ بعضَ الآباءِ. يصبحُ أطفالُهم مصدرَ "حزنٍ مزمن"، وتُختبرُ خسارتهم الأصلية بشكلٍ متكررٍ مع الفشلِ في الوصولِ إلى كلِّ معلمٍ تنموي. من جانبِ المشيرين الوراثيين، فإن عجزَهم الشخصي في إصلاحِ ما لا يمكنُ إصلاحه يغمرُهم في الكثيرِ من الأحيان.

أخيرًا، مشاهدة كلِّ هذا بصفتي شاهدٍ، وأن يُطلبَ مني المساعدة مع أنني لا أعرفُ كيف طغى عليّ أيضًا... شعرتُ بنوعٍ من الغضبِ الكوني بأن هناك الكثيرَ من الألمِ والمعاناةِ العشوائيةِ والطارئة. لقد غمرني الشعورُ ثم شلّني محدوديّةُ الفهمِ العقلاني.^{١٤٣}

من المنظورِ العلماني لهذا الكتاب، فإن هذا الإحباطُ حتميٌّ وليس مفاجئًا. ومع ذلك، في كثيرٍ من الأحيان، فإنه حتى الأشخاص الذين يتبنون منظورًا عالميًا مسيحيًا يستسلمون لمثلِ هذا الموقفِ الوجودي. قد يكون الاستسلامُ دقيقًا (وربما غيرَ مقصود) مثل الإشارةِ إلى أشياء مثل "الحوادثِ الإنجابية ولكن التحدثُ عن الحوادثِ المؤسفةِ يلغي إلى حدٍ ما فكرةَ سيادةِ الله. لا نستطيعُ أن نرفضَ فكرةَ سيادةِ الله في الحالاتِ الطيبةِ بدونِ البطشِ بالكتابِ المقدسِ. يجبُ وضعُ سيادةِ الله، والمسؤوليةِ البشرية، والشرِ جميعها في الحُسبانِ من وجهةِ نظرٍ كتابيةٍ حقيقية.

¹⁴³ Charles Bosk, *All God's Mistakes: Genetic Counseling in a Pediatric Hospital* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 1992).

إذا كان الله صاحب السيادة و"يأمر بكل ما يحدث"، فكيف نفهم إذا الانحرافات الوراثية التي تبدو مأساوية أو بشعة؟^{١٤٤} نطلق على هذه الحالات الشاذة عادة "التشوهات" أو "العيوب". ولكن هل يمكننا أن نؤكد في نفس الوقت سيادة الله على الخليقة مع الإشارة إلى منتجات خلقه على إنها معيبة أو مشوهة؟ باختصار، هذا هو موضوع هذا الملحق.

سوف ننظر بإيجاز إلى تعاليم الكتاب المقدس عن سيادة الله ثم نناقش كيف يمكن لهذا المنظور الكتابي أن يأتي براحة للذين يعانون، والتشجيع والقوة لمن يهتم بهم، والتوجيه لأولئك الذين يقودون علاجهم.

سيادة الله

في حين أن جميع المسيحيين تقريباً يؤمنون بسيادة الله، إلا أنه مجرد أن نبدأ في مناقشة عمق تلك السيادة، نجد أن الكثير من المسيحيين يتمسكون بنسخة متناقضة من السيادة المحدودة. نسمع الكثيرين يقولون: "الله كلي السيادة فيما عدا عندما..."^{١٤٥} قال أ. سي. سبرول كثيراً إن هناك القليل من السيادة الثمينة المتبقية في فكرة الكثير من الناس عن سيادة الله. ويكتب أ. دبليو توزير، في كتابه الكلاسيكي بعنوان "معرفة القدوس"، قائلاً: "وحيثما يفتقر الله لنقطة قوة واحدة بسيطة ومتناهية في الصغر، فإن هذا النقص سينهي ملكه ويقضي على مملكته. تلك الذرة الواحدة الطائشة من القوة ستكون ملكاً لشخص آخر وسيكون الله بذلك حاكماً محدوداً، وبالتالي ليس صاحب السيادة".^{١٤٦} عندما نقول مع إقرار إيمان وستمست أن "الله منذ الأزل، من خلال المشورة الأكثر حكمة وقداسة لإرادته الشخصية، بحرية، ودون تغيير، أمر بكل ما يحدث"، فإننا

¹⁴⁴ Westminster Confession of Faith, 3.1.

^{١٤٥} لقد طرح بعض العلماء مؤخراً مفهوم الإله الذي يحد ذاته. على الرغم من الإبداع به، إلا أن مثل هذا الطرح لا يبدو لي أنه يخاطب بشكل ملائم النطاق الكامل للتعاليم المتعلقة بالله في الكتاب المقدس، والذي هو المصدر الأساسي لفهمنا عن الله.

¹⁴⁶ A. W. Tozer, *The Knowledge of the Holy* (New York: Harper, 1961), 115.

نؤكدُ لا على نوعٍ واحدٍ رفيعٍ من المسيحيةِ المُصلحةِ ولكن على الفرضيةِ اللاهوتيةِ التي يقومُ عليها كلُّ إيمانٍ بالله، بما في ذلك اليهودية، والإسلام، والمسيحية.^{١٤٧} والأهمُّ من ذلك، هو أن مثل هذا البيانَ لسيادةِ اللهِ أمينٌ لتعاليمِ الكتابِ المقدسِ.

تكوين ١-٣. من سردِ قصةِ الخليقةِ في سفرِ التكوينِ يمكننا أن نفترضَ أن الناسَ خُلِقوا بتزكيٍّ جينيٍّ مثالي. تسببَ السقوطُ بسقوطٍ في جميعِ أنحاءِ كيانتنا بالكامل وصولاً إلى جينائنا، وأحماضنا النووية، وأرواحنا ذاتها. لكن هذا السقوطُ لم يكن مفاجأةً بالنسبةِ لله، وخطته للعداء لم تكن الخطئة البديلة. بالفعل، حتى حالتنا الساقطة يجبُ أن تمجدهَ بطريقةٍ ما في نهايةِ المطاف، لأنه قررَ أن كلَّ الأشياءِ ستعطيه المجد. كيف يمكنُ لجوانبِ السقوطِ مثل الشذوذِ الجيني أن يمجدهَ، هذا هو السؤالُ الصعب.

مزمو ١١٥: ١-٣. "لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لَكِنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا، مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِكَ. لِمَاذَا يَقُولُ الْأَمَمُ: «أَيْنَ هُوَ إِلَهُهُمْ؟». إِنَّ إِلَهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ."

دانيال ٤: ٣٥. "وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الْأَرْضِ، وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟». هذين النصين، من بين النصوص الكثيرة، يؤكدان أن الله كلي القدرة في شخصيته وملكه. في قدرته المطلقةِ يقدرُ أن يفعلَ ما يختاره وفقاً لطبيعته.

تثنية ٣٢: ٤. "هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ. إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلَهُ أَمَانَةٍ لَا جَوْرَ فِيهِ. صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ". يضيفُ هذا النصُ التأكيدَ على أن اللهَ صالح، وصادقٌ، وبارٌّ أيضاً بشكلٍ كامل.^{١٤٨} نعرفُ من صفاتِ الله أنه لا يخطيء. إذا كان لا يخطئ وقد خلقَ كلَّ شيءٍ وأمرَ به، فعندئذٍ بمعنى ما، فكلُّ ما خلقه جيد.

¹⁴⁷ Westminster Confession of Faith, 3.1a

¹⁴⁸ انظر أيضاً تكوين 18: 25؛ عدد 23: 19؛ مزمو 89: 14؛ 100: 5؛ 136: 1؛ إرميا 33: 11.

عند هذه النقطة تظهر المشكلة الكلاسيكية: إذا كان الله موجوداً ومع ذلك، توجد أيضاً صعوبات مثل الشذوذ الجيني، فإما أن الله كلي القدرة أو أنه كلي الصلاح، ولكنه ليس كليهما معاً. فلو كان مُحسناً وقوياً، نعتقد أنه لن يسمح بمثل هذه الصعوبات. البدائل هي إما أنه كلي القدرة ولكنه بلا شعور، بلا قلب، أو طاغية في ممارسة هذه القوة، أو أنه صالح ولكنه ليس قوياً بما يكفي لمنع الشر والمأساة مثل الشذوذ الجيني.

إلا أن هذه النصوص تؤكد أن الله صالح وأنه كلي القوة أيضاً. ومن ثم، فإننا نترك مع النتيجة الصعبة، أنه بقدر ما يقرر الله عدم منع الانحرافات الجينية، بطريقة ما هو يأمر بوجودها، ويقرر أنها يجب أن تحدث. إذا كانت وفقاً لمشيئته الصالحة أن يسمح بحدوث الشذوذ الجيني، إذاً فحدوثها صالح بطريقة ما حتى لو لم نستطع فهم ما يمكن أن يكون صالحاً فيها.^{١٤٩}

في الواقع، تؤكد النصوص الكتابية الأخرى بطريقة مباشرة هذا الاستنتاج الصعب (وغير المقبول بالنسبة للكثيرين) أن الله له دور سيادي في كل الأشياء، حتى الأشياء التي نعتبرها سيئة أو خاطئة.

خروج ٤: ١١. "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ (لموسى): «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أُخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟»

إشعياء ٤٥: ٥، ٧-٩. "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لَا إِلَهَ سِوَايَ. ... مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ. ... هَلْ يَقُولُ الطِّينُ لِحَبَالِهِ: مَاذَا تَصْنَعُ؟ أَوْ يَقُولُ: عَمَلُكَ لَيْسَ لَهْ يَدَانِ؟"^{١٥٠}

¹⁴⁹ For extended discussions of the question of God's power versus God's goodness, see two messages by R. C. Sproul, "The Goodness of God" and "The Sovereignty of God," (Lake Mary, FL: Ligonier Ministries, 1990), audiocassettes SD90.8, 9; and Jerry Bridges, *Trusting God: Even When Life Hurts* (Colorado Springs, CO: NavPress, 1988), 23-53.

^{١٥٠} انظر أيضاً: أيوب 2: 9-10؛ الجامعة 7: 13-14؛ مراثي 3: 37-38؛ 1 تيموثاوس 6: 15-16؛ 1 بطرس 4: 19.

في هذين النصين الصعيين نرى أن الله لا ينكرُ إنخراطه في أشياء نسميها سيئة، ولكنه لدهشتنا، أخذ الفضلَ فيها. معلقاً على هذا المقطع، يميزُ والتر كايزر بدقة بين الشرِّ الأخلاقي والشرِّ الجسدي، فيذكرنا أن الله، بطبيعته، لا يمكنُ أن يتورطَ في الشرِّ الأخلاقي. ثم يعلّق على مقطعٍ إشعياء بالقول: "وفقاً للطريقةِ العبريةِ في الكلام، والتي تتجاهلُ السببيةَ الثانويةَ بطريقةٍ لن يفعلها الفكرُ الغربيُّ أبداً، فأياً كان ما يسمحُ به الله يجبُ أن ينسبَ إليه مباشرة، في كثيرٍ من الأحيانِ دون ملاحظةٍ أن أطرافاً ثانويةً وخاطئةً كانت الأسبابُ المباشرةً للكارثةِ الجسدية." ^{١٥١}

يقدمُ مقطعٌ آخر، في رومية ١١: ٣٦، منظوراً شاملاً، إذ نقرأ: "لأنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الشَّيْءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ." كُلُّ الأشياءِ لها أصلُها فيه، وهو يحفظها، وستعطي المجدَ له. قال تشارلز هودج هذا الأمرُ بجودة مثل آخرٍ عندما كتبَ قائلاً:

سلطانُ الله لا يحدهُ شيءٌ خارجه، لكنه يتحكمُ فيه، في كلِّ مظهره، كمالاته اللانهائية. ... سيادةُ الله هذه هي أساسُ السلام والثقةِ لكلِّ شعبه. هم يبتهجون لأن الربَّ الالهَ الكليَّ القدرة يملك. ولا الضرورة، ولا الصدفة، ولا حماقة الانسان، ولا خبثُ الشيطان يتحكمُ في تسلسل الأحداث وكلِّ مشاكلها. فالحكمةُ اللانهائية، والمحبةُ، والقوةُ، هي لإلهنا العظيم ومخلصنا، الذي في يديه وُضعتْ كُلُّ قوَّةٍ في السماء والأرض. ^{١٥٢}

إن هدفَ الله النهائي في كلِّ شيء هو أن يجلبَ المجدَ لنفسه. لذا فإن كلَّ عملٍ تدبير، الجيدِ والسيء، الحلوِ والمرِّ، يكشفُ عن جانبٍ من مجده، وعن مقياسٍ جديدٍ لروعةِ كماله وجلاله المدهش. لا يفعلُ هذا فقط لكي يعلنَ عن مجده ولكن أيضاً، في الدرجةِ الثانية، لكي تنعمَ مخلوقاته، وخاصة أولاده المختارون، في مجد عظمته ويعبدونه

¹⁵¹ Walter Kaiser, *Hard Sayings of the Old Testament* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1988), 194–95

¹⁵² Charles Hodge, *Systematic Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, n.d.), 1:441

بتكريس متزايد، ويكرمونه ويسرون به، من أجل كل المجد الذي اختار أن يعلته من خلال ما هو جيد وما هو سيء.

إذا كان الله صاحب السيادة، فلماذا ... ؟

الله، إذًا، الكلي القدرة والكلي الصلاح. بصفته خالق كل ما هو موجود وحافظه، فهو المسؤول في النهاية عن وجود الشذوذ الجيني. ومع ذلك، عند النظر في سبب هذه الحالات الشاذة، يجب أن نضع في اعتبارنا التعاليم الأوسع للكتاب المقدس، أن "الله ليس هو صانع الخطية، ولا يقدم العنف لإرادة المخلوقات".^{١٥٣} إن لم يكن الله في السماء يهز يديه بقوة بسبب عجزه عن الوقاية من الأمراض أو التشوهات الجينية التي تؤدي بحياة الأطفال، إذا لم يسه وبتك بعض عيوب التصميم تفلت بطريقة ما مراقبة الجودة بينما كان يتعامل مع وضع أكثر إلحاحًا في أوروبا الشرقية، فما هو إذا هدفه في خلق بعض الناس بمتلازمة داون، ومتلازمة ديلانج، التثلث الصبغي ١٨، التثلث الصبغي ١٣، أو أي من الانحرافات الجينية الجذرية العديدة الأخرى التي لا تقدر على العيش؟^{١٥٤} بينما فهمنا لمقاصد الله بعيدًا تمامًا عن أن يكون كاملاً، إلا أنه توجد أربعة أسباب محتملة على الأقل تستحق الاعتبار.

أولاً، كما لاحظنا سابقاً، خلق الله بعض الناس بشذوذ جيني لمجده ببساطة. يعلم الكتاب المقدس أن كل الأشياء صُنعت به (يوحنا ١: ٣) ولمجده (إشعياء ٤٨: ١٠-١١؛ رومية ١١: ٣٣).

ليس كثير من الناس على استعداد لتحمل حقيقة أن كل شيء يصنعه الله ويفعله يستخدمه لتمجيد نفسه. إنه أمر كبير بالنسبة للكثيرين أن يؤمنوا أن كل ما يحدث لهم هو من أجل مجد اسم الله. هذا تعليم صعب، ولكن فيه راحة كبيرة، ومن خلال

¹⁵³ Westminster Confession of Faith, 3.1.b.

¹⁵⁴ This is the position taken by Rabbi Harold Kushner in his popular but biblically unsound book, *When Bad Things Happen to Good People* (New York: Schocken, 1981).

تأكيدنا له، فإننا نمجدُ إلهنا المهيّبَ صاحبَ السيادة بشكلٍ أكبر. العزاء هو أنه عندما نعتنقُ الحقَّ القائلَ إن اللهَ سيمجدُ نفسه من خلال كلِّ ما يحدث، فإننا نعلمُ أنه في العنايةِ الإلهيةِ لا تضيعُ شيئاً أو يذهبُ سدى. لا شيءٌ مما نخبرُه لا معنى له. كلُّ شيءٍ مهم، والمرِّ والخلو. قد لا نرى الجانبَ الحلوَّ منه في هذه الحياة. قد لا نكونُ قادرين أن نقولَ وقتَ وفاةِ الأحباءِ إن موتهم يمجّدُ الله. ومع ذلك، يمكننا أن نطمئنَ تمامًا أن مثلَ هذه الأشياءِ ليستْ أخطاءً ولا تحدثُ بالصدفة. يمكننا أيضاً أن نكونَ على يقينٍ أن حتى تلك الأشياءِ البشعةِ سوف تمجّدُ الله لأنه قالَ ذلك، وهو يفي بوعده.

ثانياً، أن اللهَ يخلُقُ بعضَ الناسِ مع الشذوذِ الجيني لا من أجلِ مجده فقط، ولكن أيضاً لإظهار انكسارنا الشخصي وحاجتنا إلى نعمته. يذكرنا المعاقون بيننا، سواء كانوا مُعاقين وراثياً أو غير ذلك، بإعاقاتنا الشخصية المتأصلة. عندما نراهم بمحدوديّتهم، يمكننا أن نبدأ في رؤية أنفسنا بطريقةٍ جديدةٍ أكثر صدقاً، بصفتنا رجالاً ونساءً منكسرين أمامَ الله وباجةٍ إلى الفداء - للجسدِ وللروح.

يغني مايكل كارد في أغنيته بعنوان "عندما تكونُ النافذةَ امرأة"، عن ولدٍ في كنيسته مصابٍ بمتلازمة داون، قائلاً: "في كلِّ مرةٍ أهدقُ في هذا الصبي، هناك شيءٌ يتحرّكُ في الداخل. إذ أرى تشوهي الشخصي، الذي لا لم أعد في حاجةٍ إلى تخبئته".¹⁵⁵ يساعدنا مثلُ هؤلاء الأطفال على توضيح رؤيتنا لأنفسنا. أنا أتحدّثُ من تجربةٍ شخصيةٍ وليس فقط بناءً على تعاليم الكتاب المقدس. ولدت ابنتي الكبرى، البالغة من العمر الآن تسعة وعشرين عاماً بشذوذٍ وراثيٍّ يسمى 8p+. إنها معوقةٌ بشدةٍ وستحتاجُ إلى رعايةٍ مدى الحياة. حالتها نادرة لدرجةٍ أننا لا نفعلُ حتى متوسط العمر المتوقع لها. رغم أن الحياة مع ابنتنا كانت صعبةً للغاية (وباهظة) في بعضِ الأوقات، إلا أننا تعلمنا دروساً هامة عن الحياة وقيمة الحياة منها.

¹⁵⁵ Michael Card, "When a Window Is a Mirror," in *Come to the Cradle* (Brentwood, TN: Sparrow, 1993).

لقد تلقينا رسالته منذ بضع سنواتٍ من صديقٍ يفهمُ هذه الفكرةَ جيّدًا، والمتمثلةً في رؤية انكسارنا الشخصي في أولئك الذين يعانون من إعاقاتٍ وراثية. في سياقِ رسالتها كتبتُ صديقتنا ما يلي:

بصفتي ابنةَ الملك، فأنا ذاتُ قيمةٍ أعظمٍ من قدرتي على الأداء. تقاسُ قيمتي بمحبةِ الله لي، وليس بمحبتتي له. لا يوجدُ شيءٌ يمكنني القيامُ به من شأنه أن يمثّلَ خدمةً له، لا شيء. ومع ذلك فهو يحبني. ...

ثم فكرتُ في جيسيكا. هي محبوبَةٌ من قبل عائلتك وتُعطى قيمةً تفوقُ قدرتها على الأداء. مكانها في منزلكم مضمونٌ بحبكم لها، وليس بقدرتها على أن تكونَ مُجبة، أو مُساعدة، أو أن تحققَ أيَّ شيء. أدركتُ بتواضعٍ أنني مثلها تمامًا في عائلةِ الله، ولكنني مُعاقٌ أكثرُ بكثير. في العالمِ الروحي، لا يمكنني التحركُ بشكلٍ صحيح - هذا غيرُ المشي أو فعلُ أي شيءٍ رائع، لا يمكنني إطعامُ نفسي أو إلباسها ... ولا أرى حتى كم أنا مُعاقّة، إذ أعتقدُ أنني بخير، وقوية، وكفاء. ومع ذلك، يحبني الله، أنا ابنته المُعاقّة، كنزُه الخاصُّ المُختار. تمامًا مثلما بنيتما منزلكما ليتكيّف مع احتياجاتِ جيسيكا، هكذا نظّم الله كلّ الخليقة والفداء لتتكيفَ معنا.

فلقد استخدمَ الربُّ ابنتكم الغالية جيسيكا ليوضحَ لي من أنا حقًا بالنسبةِ له. إنه أمرٌ يجعلني أتضع، حقًا، لكنه لا يزالُ يوفرُ راحةً كبيرة، لأنه حقيقي.¹⁵⁶

يميلُ الأشخاصُ "الطبيعيون" الأصحاء (أشارَ أحدُ المؤلفين ببصيرةٍ إلى هذه الفئة الواسعة من الناسِ بصفتهُم "القادرون جسديًا بشكلٍ مؤقت" ¹⁵⁷) إلى تجنبِ ذوي الإعاقةِ وإلى الشعورِ بعدمِ الراحةِ حولهم عندما يكونُ التجنبُ غيرَ ممكن. يرجعُ ردُّ

¹⁵⁶ From personal correspondence to Mary Beates, April 28, 1996.

¹⁵⁷ Nancy L. Eiesland, *The Disabled God: Toward a Liberatory Theology of Disability* (Nashville, TN: Abingdon, 1994), 25 and throughout the book.

الفعل هذا في المقام الأول إلى غطرسة يومنا هذا التي تجعلنا نرى أنفسنا على أننا أناس جميلون، وكاملون، ومثاليون. عندما نواجه شخصاً مكسوراً في الجسد، فهذا يذكرنا أننا نشبه هذا الشخص المعاق كثيراً أكثر مما نود أن نعترف. ليست اختلافاتنا اختلافات في النوع، بل اختلافات في الدرجة فقط. يجعلنا مثل هذا الإدراك نتضع، وليس التواضع فضيلة تُنمى في العالم الغربي المعاصر. كما قال أحد الكتاب مؤخراً "للتواضع رائحة رطبة ومخزية لما هو دنيوي، رائحة الفشل، والدونية، وعدم الشهرة."¹⁵⁸

ثالثاً، خلق الله بعض الناس مع الشذوذ الجيني لا لمجده فقط وليظهر لنا انكسارنا الشخصي، ولكن لأن مثل هؤلاء المعاقين يقدمون للكنيسة أيضاً عطية السماح لأتباع المسيح أن يخدموهم بلا شروط- بدون توقع أي شيء في المقابل. بهذه الطريقة يساعدوننا على أن نستعلن الله ونختبر إعطاء النعمة للآخر كما يفعل الله معنا. يكتب سي إفريت كوب: تكمن "قيمة" عديمي القيمة" في أنهم يثبتون ما إذا كنا نستحق الاهتمام بهم أم لا. وجود المعاقين وغير الكاملين في حد ذاته، والمحبة الممنوحة لهم من أولئك الذين يرعونهم هي شهادة على قدسية الحياة البشرية وعلى جدالنا بأن هذه القدسية تفوق بكثير أي أخلاقٍ معنية بجودة الحياة البشرية."¹⁵⁹

في عصر يتسم إلى حد كبير بالرغبة في السلطة وحكم الذات وممارستهما، فإن المعاقين وراثياً يكشفون عن ضعف صراعاتنا على السلطة. قال هنري نوين، "ربما يرجع الأمر إلى أن السلطة تقدم بديلاً سهلاً لمهمة المحبة الصعبة. يبدو أنه من الأسهل أن تكون الله بدلاً من أن تحب الله، وأسهل أن تسيطر على الناس من أن تحب الناس، وأسهل أن

¹⁵⁸ Fernanda Eberstadt, *Isaac and His Devils* (New York: Warner Books, 1992) as quoted by George Grant in "Fear and Humility," *Tabletalk* 20, no. 10 (October, 1996): 58. See also 2 Cor. 2:15–16 which corroborates this spiritual truth.

¹⁵⁹ Francis Schaeffer and C. Everett Koop, *Plan for Action; An Action Alternative Handbook for "Whatever Happened to the Human Race?"* (Old Tappan, NJ: Revell, 1980), 79. Emphasis in the original.

تملك الحياة بدلاً من أن تحب الحياة".^{١٦٠} يجب أن نكون ملتزمين بحبة كل البشر بصفتهم أشخاصاً مولودين على إيماجو داي، على صورة الله. بينما تظهر وتُستعلن الإيماجو داي بأكثر وضوح في قدرتنا على المنطق، والتواصل، وممارسة السيادة، وما إلى ذلك، فإن الإيماجو في منظور الكتاب المقدس هي وجودية أولاً - جزء أصيل من كينونتنا بصفتنا بشراً بمعزل عن أية قدرة قد تمتلكها بنعمة الله ونستخدمها. قد تكون هذه الصورة مشوهة جسدياً ومرئياً ويشوبها شائب في بعض الحالات، كما هو الحال مع الأطفال المصابين بانعدام الدماغ أو الأطفال المصابين بالشذوذ الجيني الشديد. ومع ذلك، فإن هذا التشوه في الإيماجو داي الخاصة بهم ليس أكثر شدة من تشوهنا عندما يتعلق الأمر بالجانب غير المادي من نفوسنا. يجب أن نؤكد أنهم، مثلنا جميعاً، مخلوقون على صورة الله وهم بحاجة إلى عمله الفدائي ليعمل فيهم - في الجسد والروح - كما نحتاج نحن جميعاً.

رابعاً، يخلق الله بعض الناس مع الشذوذ الجيني لزيادة رغبتنا في السماء. سفر الرؤيا ٢١: ٣-٤ يقول، "وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. وَسَيَمَسُحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدَ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدَ، لَأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ". في هذه الحالة النهائية يعد الله بفداء كل شيء، إذ يجعل كل شيء جديداً وكاملاً. في مجتمعنا الغربي في القرن العشرين، نحن أصحاب، كاملون، سعداء، وراضون (أو هكذا نعتقد من الإعلانات التلفزيونية وهذا ما نقوله لأنفسنا). نحن مرتاحون فعلياً لدرجة أننا نفقد الإحساس بالرغبة في السماء. لكن أشياء مثل الشذوذ الجيني تعمل بمثابة إشارات وعلامات،

¹⁶⁰ Henri Nouwen, *In the Name of Jesus: Reflections on Christian Leadership* (New York: Crossroads, 1994), 59.

فتذكرنا أننا في رحلةٍ وأن هذا العالم ليس وطننا. أنها تعيدنا إلى حقيقةٍ أن هذه الحياة ليست جيدة كما نحب أن نظن وأن توقع السماء حقيقي وجذاب.^{١٦١}

عندما نواجه مواقف حياتية مؤلمة للغاية بسبب الشذوذ الجيني، نسأل (وبحق)، إذا كان هذا من عند الله فكيف يكون هذا خيراً؟ ولكن إذا كانت هذه المشقة تسبب في جعل المؤمن يتوق أكثر إلى حضور الله وينتظره ليجعل كل شيء جديداً، يكون لها معنى وهدف. إذا كانت مثل هذه التجارب تدعو أتباع المسيح أن يحبوا الرب إلهنا بدلاً من أن يحبوا هذا العالم، فهو يتمجد إذاً في مثل هذه الظروف. نرى أمثلة جذرية على مثل هذه النظرة في رسالة العبرانيين. بحسب عبرانيين ١٠: ٣٢-٣٤، قبل المؤمنون الأوائل سلب بيوتهم وممتلكاتهم بفرح لأنهم علموا أن لديهم "مَآلاً أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبَاقِيًا". بعد بضع آيات فقط في العبرانيين ١١: ٢٤-٢٦ يذكرنا الكاتب أن موسى رفض أن يدعى ابن ابنة فرعون "مُفَضَّلًا بِالْأَحْرَى أَنْ يُدَلَّ مَعَ شَعْبِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَتْنَعٌ وَفَتِيٌّ بِالْخَطِيئَةِ". نقرأ: "حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غَنَى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَجَارَةِ". لقد صاغ لوثر هذا الأمر جيداً في ترنيمة "حصن قوي"، إذ يقول:

لتذهب الممتلكات وليذهب الأقرباء، وهذه الحياة الفانية أيضاً.

قد يقتلون الجسد، إلا أن حق الله باقٍ.

فملكوته إلى الأبد.

لقد عانى التطهيريون الحياة الصعبة، والمؤلمة في كثير من الأحيان، بسبب الآلام التي نعالجها غالباً بمجرد قرص دواء أو حقنة. لم يحتاجوا إلى الأشخاص الذين يعانون من

¹⁶¹ On these thoughts I recommend Marshall Shelley's two articles in *Christianity Today*, which poignantly recount the circumstances of two of his children who lived brief lives and died with genetic anomalies. See "The Sightless, Wordless, Helpless Theologian" (April 26, 1993) and "Two Minutes to Eternity" (May 16, 1994).

تشوهاتٍ وراثيةٍ للبقاء على قيد الحياة لتذكيرهم بانكسارهم وحاجتهم إلى السماء - فحياتهم عينها تشهدُ على هذه الحقيقةِ جيدًا. لكن تدبيرَ الله من المفارقاتِ بطريقةٍ ما. فقد أعطانا المعرفةَ والتقدمَ التكنولوجي الذي ينفذُ الكثيرَ منا من الأمراضِ القاتلةِ والحالاتِ الطبية. وفي نفسِ الوقتِ، تحافظُ هذه التكنولوجيا أيضًا على الحياةِ للعديدِ ممن يعانون من حالاتِ الشذوذ الجيني والإعاقاتِ والذين لم يكن بإمكانهم البقاءَ على قيد الحياة قبلَ جيلٍ أو جيلين فقط. لذا فعلى الرغم من أننا اكتسبنا الراحة، إلا أن الله لا يزال يُذكرنا بانكسارنا وحاجتنا إلى السماءِ على يدِ المتألمين وراثيًا بيننا.

راحةٌ سيادةِ الله

لا تملك الكنيسةُ سجلًا قويًا فيما يتعلقُ بالتعاملِ مع الاختراقاتِ الغريبةِ والرائعةِ مثل تلك التي يجعلها البحثُ في علمِ الوراثةِ ممكنة. فقد أخطأ المسيحيون الهدفَ تمامًا في الكثيرِ من الأحيان، والتهوا في أمورٍ هامشية، غالبًا بسببِ الخوفِ. كان نفسُ التجاوبِ مع ذوي الإعاقاتِ وذوي الشذوذ الجيني شائعًا جدًا. مارتن لوتر مثالٌ جيد. لكونه لا يترك أحدًا أبدًا يتساءلُ عن رأيه بالضبطِ في موضوعٍ ما، نُقل عن لوتر قوله إن صبيًا معينًا يبلغ من العمر اثني عشر عامًا معاقًا ذهنيًا كان "مجردَ قطعةٍ من اللحم بلا روح" وأوصى بقتلِ الصبي. بول ألتهاموس يقولُ إن لوتر "أشارَ إلى الأطفالِ المشوهين بصفاتهم تغييراتٍ لم يخلقها الله، بل صنعها الشيطانُ. فإما أنهم بلا روح، أو أن الشيطان هو روحهم".^{١٦٢} ٢١

قد تصدمنا مثلُ هذه الرؤيةِ الضيقةِ والتفكيرِ الخاطئِ في تنويرنا الذي نظنُ أنه لدينا، لكن الكثيرين في مقاعدِ كنائسنا يعتنقون على الأرجح منظورًا أقربَ إلى فكرِ لوتر في العصورِ الوسطى أكثرَ مما نعتقد. لا سيما في ضوءِ النقاشِ الدنيوي حولِ الاعتداءِ على "الشخصية" وما يترتبُ على ذلك، يجبُ أن يحترمَ أتباعُ المسيح خليقةَ الله لجميعِ الناسِ

¹⁶² Paul Althaus, *The Ethics of Martin Luther* (Philadelphia: Fortress, 1972), 37–38, 99–100

وألا يروا أنهم مشاكّل يجب التخلص منها أو إبعادها عن الأنظار. بدلاً من ذلك، يجب أن نراهم على أنهم مرايا لإنساننا ولانكسارنا وآليات نعمة إلهية. يجب أن نفعل ما في وسعنا لنحترّم صورة الله حتى في أكثر حالات الانكسار والتشوه، سواء أكانت حياةً وُلدت بالفعل أو لا تزال في الرّحم.^{١٦٣} حتى أقلهم يحمل الكرامة والقيمة المتأصلة فيه.

عند مواجهة الواقع القاسي لطفل حديث الولادة يظهر عليه تشوّه جذري، يجب أن يكونَ في حق السيادة الإلهية عزاءً. البديل، احتمال أنه ليس مسؤولاً ولا هو متحكمٌ في الأمر، مخيفٌ للغاية. هناك أملٌ في خضم عناية إلهية مَرّة ورحمة شديدة. قال تشارلز سبورجن، بطريقته التي لا تُضاهى، عن العناية الإلهية المرة والحلوة ما يلي:

أؤمنُ أن كلّ ذرةٍ من الغُبارِ ترقصُ في شعاعِ الشمسِ ولا تتحرّكُ ذرةً أكثرَ أو أقلَّ مما يشاءُ الله. وأنّ كلّ رذاذٍ من الماءِ المندفعِ ضدّ باخرةٍ له مدارُهُ مثلُ الشمسِ في السمواتِ. إن العُصافَةَ المتساقطةَ من يدِ دارسِ الحِنطةِ يقودُها اللهُ مثلما يقودُ النجومُ في مساراتها، وزحف حشرة المنة فوق البرعم ثابتٌ مثل مسيرة الوباء المدمر. إن سقوطَ الأوراقِ من شجرِ الحورِ معيّنٌ بالكاملٍ مثل انهيارِ الجليد ... ما هو القَدَرُ؟ القَدَرُ هو هذا: مهما يجبُ أن يكونَ، سيحدث. ولكن هناك فرقاً بين ذلك وبين العناية الإلهية. تقولُ العنايةُ الإلهيةُ إن كلّ ما يأمرُ اللهُ به يجبُ أن يكونَ. لكن حكمةَ اللهِ لا تأمرُ أبداً بأي شيءٍ بدونِ قصدٍ. يعملُ كلّ شيءٍ في هذا العالمِ من أجل غايةٍ عظمى. لا يقولُ القَدَرُ ذلك ... شتانَ الفرقُ بين القَدَرِ والعنايةِ الإلهيةِ مثلما هو الفرقُ بين رجلٍ ذي عَيْنين جديتين ورجلٍ أعمى ... من لديه إيمانٌ أفضلُ من الرواقِي.

^{١٦٣} على الرغم من أن التثلك الصبغِي 18 أو الطفل الذي يعاني من انعدام الدماغ أو متلازمة تاي ساكس محكوم عليه بفترة حياة قصيرة وعلى الأرجح مؤلمة، فليس دورنا أن نقرب عمل الله السيادي في الخلق من خلال تدمير هذه الحياة. عندما نفعل ذلك، فإننا نضيف ظلمين بشريين إلى اعتصابنا لسلطة الله: نحرّم الطفل من امتياز أن يُحمل بين أحضان الوالدين المحبة، ونحرّم الوالدين من فرصة احتضان طفلهما - ولو لفترة وجيزة - باعتباره جزءاً حيويًا من عملية حزنهم عند الفقد.

يتحملُ الفيلسوفُ الرواقِيُّ لأنه يؤمنُ أن الأمرَ يجبُ أن يكون. ولكن
المسيحيَّ يتحملُ الأمورَ لأنه يؤمنُ أن ذلكَ يعملُ لخيره.^{١٦٤}

تقلَّبَ مثلُ هذهِ النظرةِ التفكيرَ الدينيَّ رأسًا على عقب، لكن للإنجيلِ طريقته في
فعلٍ ذلك. يختارُ اللهُ دائماً الخاسرينَ والمرفوضينَ بدلاً من الرابحينَ والمطلعينَ ليظهروا
حقَّه ويحملوه. في كتابهِ الرائعِ المؤثرِ عن قيمةِ الناسِ ونعمةِ الله، اقتبسَ كريستوفر
دي فينك عن أمه، وهي تكتبُ عن أخيه المُصابِ بإعاقةٍ شديدةٍ والذي توفي عن سن
الثلاثةِ والثلاثين، قائلة:

كان أوليفر حالةً "ميوؤسا منها" دائماً، لكنه كان هديةً ثمينةً لعائلتنا كلها.
"اخْتَارَ اللهُ جُهَالِ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضَعْفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ
الْأَقْوِيَاءَ" (١ كو ١: ٢٧). هذا الطفلُ لم تكن له فائدةٌ أو معنى ظاهراً،
ويرفضه العالمُ باعتباره عبثاً غيرَ منتج. لكنه كان مقدساً بريئاً، وابن
النور".^{١٦٥}

على الرغمِ من أن حقَّ الكتابِ المقدسِ لا يمكنُ أن يخففَ الألمَ الناجمَ عن حدوثِ
الشذوذِ الجيني، إلا أنه عندما ندركُ حقيقةَ سيادةِ الله نبدأ في فهمِ أن الألمَ والمعاناةَ
ليسا هدرًا أبداً في خطةِ الله. بالفعل، يتم تعلمُ أهمِ دروسِهِ في البريةِ وخلالِ الضيقِ
والتجارب. حتى أن فداءنا نفسَه قد أَشْتَرَى بِأَلَمٍ ومعاناةٍ لامتناهيةٍ لمخلصنا المسيحِ يسوع
على طريقِ وجبلِ الجلجثةِ.

¹⁶⁴ Charles Spurgeon in a sermon "Wheels Within a Wheel" on Ezekiel 1, quoted in John Piper, "Man Satisfied in God's Providence," lecture, Ligonier Ministries Conference, Grand Rapids, MI, October 1995, Ligonier audiocassette GR95.4.

¹⁶⁵ Christopher de Vinck, *The Power of the Powerless* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1995), 95

واحدة من أكثر الآيات اقتباسًا ولكن الأقل تصديقًا من الكتاب المقدس هي رومية ٨: ٢٨، "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ". إذا صدقنا هذه الآية حقًا، إذا صدقنا حقًا أنها صحيحة، يمكننا أن نهدأ في سلام حتى في خضم واقع الحياة المؤلمة، مثل الأطفال المولودين بتشوهات وراثية. لا يعلمنا الكتاب المقدس هنا أن كل الأشياء هي في حد ذاتها جيدة. ليس الشذوذ الجيني مثلما هو الحال مع ابنتي جيدًا بالمعنى المطلق. بل بالأحرى، بالنسبة للمؤمنين هو للخير بالمعنى النهائي. يعمل الله من خلال سقوط هذا العالم، السقوط الذي تقع مسئوليته فعليًا على عاتق البشرية لتحقيق الخير المطلق. وفي الوقت نفسه، في الشذوذ الجيني لدينا فرصة لاختبار حقيقة كلمات الرب يسوع لبولس: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ" (٢ كورنثوس ١٢: ٩).

الملحق ٢

محبة الله للمكسور

٢ صموئيل ٩؛ لوقا ١٥

عظةً لكنيسة عمانوئيل المشيخية

دي لاند، فلوريدا

٣ يوليو، ٢٠١١

د. مايكل أس. بيتس

في واحدة من أكثر الروايات المؤثرة في الكتاب المقدس، كان داود، في ذروة ارتفاع قوته (قبل بداية سقوطه مباشرة مع بثشبع)، يسعى في شفقة إلى منح الرضى لأي شخص تبقى من بيت شاول ويوناثان.. تذكر أن شاول جعل هدفه أن يدمر داود، وأن يطارده، ويتخلص من مسيح الله الذي يمثل تهديدًا لمملكته. ولكن تذكر أيّ ضا أن يوناثان ابن شاول، كان أفضل صديق لداود. قُتل كل من شاول ويوناثان في معركة مع الفلسطينيين ودُمرت عائلتهما في أعقاب ذلك- هي مأساة بكل المقاييس.

لذلك، في ٢ صموئيل ٩ يبحث داود عن أي ناجٍ من بيت شاول ليقدم له البركة الآن بعد أن أصبح ملكًا. انظر كيف يحدث هذا: يكتشف داود، الملك، القوي كأي السيادة، من خادمٍ سابقٍ لشاول أن هناك ناجٍ بالفعل. ثم انظر إلى وصف هذا الناجي في الآية ٣ - هل نحصل على اسم، أو لقب؟ لا، كل ما نحصل عليه إنه: "أعرج الرجلين".

ثم يسأل داود عن مكان وجود هذا الشخص ووجد أنه في لودبار- هذه عبارة عبرية بسيطة تعني "لا شيء". إذا هذا "السيد الذي لا اسم له" يعيش في "لا شيء"، أو ربما

"في المدينة التي لا تُذكر". فأحضر — داودُ هذا الرجلَ، الذي يُعرَفُ أخيرًا في الآية ٦ على أنه مفيبوشث، إلى أورشليم. عندما مثل أمامَ داود، كما يقول النصُّ حرفيًا: " خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَسَجَدَ". هذا ليس مجردَ انحناءٍ مهذبٍ أو ثني عند الخصر — لقد نزل ... إلى الأرض ... على وجهه. أقصى — درجاتِ التكريم، الموقفِ الذي يتسمُ بأقصى — درجاتِ الضعف — في الحقيقة، هذا ما يفعله الناسُ عندما يكلمُهم الله! يخرون على وجوههم إلى الأرض.

انظر الآن بعنايةٍ إلى الآية ٦ إلى أولِ شيءٍ يقوله داودُ لهذا الرجلِ - يناديه بالاسم! هذا أمرٌ جَلَل. منحه داودُ الكرامةَ والقيمةَ من خلالِ الاعترافِ بتفردِه - وقد تتفقُ معي: أعتقدُ أن مفيبوشثَ قد يكونُ الوحيدَ الذي يُسمى بهذه المجموعةِ من الحروف.

انظر الآن إلى ردِ مفيبوشث: "هَأَنْذَا عَبْدُكَ". هذا ردُّ قياسيٍّ جدًّا، لكن انظر إلى ما سيحدثُ بعدَ ذلك في الآية ٧. يقولُ داودُ: "لَا تَخَفْ".

لماذا يخافُ مفيبوشث؟ حسنًا، كان لداودَ قوةَ الحياةِ والموتِ في بلاطه الملكي، كلُّ عائلةٍ شاولَ ويوناثانَ قُتلت، وكان مفيبوشث الناجي الوحيد من عائلةِ الرجلِ الذي حاولَ يائسًا قتلَ الملكِ الجديد - فلماذا يكونُ خائفًا حقًا! وهذا الرجلُ المسكينُ لا يستطيعُ حتى أن يركضَ هربًا! إنه أعرجُ في كلتا رجليه. يقولُ داود: "لَا تَخَفْ".

أين نسمعُ عبارة "لَا تَخَفْ" في الكتابِ المقدس؟ هذا ما يقوله الملائكة، رسلُ الله، وهذا ما قاله اللهُ شخصيًا للناسِ عندما ظهرَ عدَّةَ مراتٍ في ظهورٍ إلهي. لماذا؟ لأن التوقعَ الطبيعيَّ عندما يظهرُ اللهُ هو أن نفكرَ (عن حق): "يا للهول، أنا في ورطة. أقفُ أمامَ شخصٍ قدوسٍ بشكلٍ مُطلق. وأنا لستُ كذلك. بالتأكيد سيديني". وهذا ما لابدُ وأنه دارَ في تفكيرِ مفيبوشث أيضًا. "إنه قوي. أما أنا فلستُ كذلك. إنه ملكٌ وأنا من العائلةِ الخطأ - لابدُ وأنه سيديني!"

لكن بشكلٍ غير متوقع، تأتي كلماتُ داودَ التالية بالمفاجأة الإلهية. في الآية 7، وعده داودُ بالأرض، والميراث، والأمن. ما وقعَ هذا على أذنيه؟ هذا مشابهٌ بشكلٍ مذهلٍ لما قاله الله لإبراهيم، وإسحق، ويعقوبَ عندما أعطى الوعودَ للآباء. الأرض، والميراث، والاسم، والمستقبل.

لكن في الآية ٨ نسمعُ واحدةً من أكثر العباراتِ حزنًا وإثارة للشفقة في كل الكتاب المقدس: مرة أخرى، وهو ساجدٌ على الأرض، يقول مفيبوشث: "مَنْ هُوَ عَبْدُكَ حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَى كَلْبٍ مَيِّتٍ مِثْلِي؟" الشخصُ الوحيدُ المتبقي من بيت شاول هو رجلٌ اعتبرَ نفسه على قدم المساواة مع كلبٍ ميت. دُعِ هذا الإدراكُ يتغللُ في داخلك قليلًا. هو شعرُ أن لا قيمةَ له على الإطلاق، بل شعر أنه مقيت.

ولكن في هذه الحالة، يُعتبرُ داودَ رمزًا للمسيح. أي أنه ظلَّ لواقعٍ أكبر سيأتي، ويتنبأ بالمسيح. ما يفعله داودُ هنا بدعوةٍ هذا "الكلب الميت" إلى مائدة الملكِ هو تبنيه بصفته ابنًا له. هذا الرجلُ الذي رفضه المجتمعُ، الذي لم يكن ضعیفًا وعديمَ الفائدة فحسب، بل كان يمثلُ عبثًا، وخطورة، وحرَجًا لأي شخصٍ من حوله، أُخِذَ من المدينة التي لا تُذكرُ إلى القصر، من اللامعنى إلى الأهمية، من الموتِ إلى الحياةِ برحمة الملك. لم يجلب مفيبوشث أي شيء ليقدّمه لكنه أعطي كل شيء.

هل ترى ظلًا للإنجيل هنا؟ نحن، وحدنا وفي ضعفنا، وجدنا الله، أمواتًا في ذنوبنا وخطايانا. لكن الله الغني بالرحمة يحيينا في المسيح. لم يتوقع مفيبوشث شيئًا، ولا سعى إلى أي شيء، ولم يحلم بالنجاح ولا كانت له أية توقعات بأن يسعى الملكُ إليه أو بأن عليه أن يسعى إليه أو ينقذه. إن كان لديه أي شيء، فقد كان يعلمُ أنه يستحق الموتَ على يد الملك.

هكذا أنتَ وأنا أيضًا - نحن لم نذهب للبحثِ عن الله، ولم نفكر في طرقٍ لإقناعه بأننا يجبُ أن نكونَ جزءًا من خطته أو أن نعملَ في خدمته. لقد كنا أمواتا روحياً، نعيشُ في المدينة التي بلا اسم روحياً. ومثلما هو الحالُ مع داودَ ومفيبوشث، طلبنا الله -

ووجدنا في ضياعنا وانكسارنا. وأقامنا من حالة اليأس هذه إلى مكانٍ من الأمن والرجاء الدائم. هذه، يا أصدقائي، هي الأخبارُ السارة!

بعد ذلك، في الآية ٩، لاحظْ ردَّ داود - أو ربما ينبغي أن أقولَ عدمَ رده. طرحَ مفيوشث سؤالاً ("مَنْ هُوَ عَبْدُكَ حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَى كَلْبٍ مِثْلِي؟")، لكن داودَ كان قد حوَّل انتباهه بالفعل إلى صيِّب، معطيًّا الأوامر لتوفير حاجاتِ مفيوشث وللرفع من شأنه. لقد تجاهل داودُ انتقاصَ مفيوشث من نفسه. في ذهنه، تمت الصفقة. أصبح مفيوشث واحداً من خاصته وينتمي في القصرِ آكلًا على طاولةِ الملك.

هل هذا يبدو مألوفاً؟ يجبُ عليه ذلك. في لوقا ١٥ كان هناك شابٌ آخر ضالًّا ومكسوراً والذي بدأ خطبةً لأبيه. ولكن في مثل الابنِ الضال، يتجاهلُ الأبُّ، مثل داود، الابنَ، ويقطعُ كلامه المُعد، وينادي على الخدام لتجهيزِ احتفالٍ. في الواقع، لن أنفاجأ إذا، بينما يروى الربُّ يسوعُ تلك القصة، إنما يُذكرُ مستمعيه بتجاهلِ داودَ لمفيوشث.

هل ترى الإنجيلَ مرةً أخرى هنا؟ خاصة في عقليتنا الأمريكية التي تركُّزُ على العمل، عندما نأتي وجهًا لوجهٍ مع الله الحي، نرى أنه ليس لدينا أيُّ شيء لنقدمه له، ولا شيء يستحقُّ الاسهامَ به. لكن اللهَ يعتبرنا خاصته بالفعل. إنه مهتمٌّ بالفعل، ليس بتركيزنا القصيرِ النظرِ على الذاتِ الذي يرى الخرقَ أو الضعف، ولكنه يهتم بميراثنا وترقيتنا إلى مكانةِ أولادِ الله. هذه هي أيضًا الأخبارُ السارة.

قلنا إن داودَ هو ظلٌّ للمسيح في هذه القصة ونحن في مكانٍ مفيوشث. ولكن دعونا نضعُ أنفسنا في مكان داودَ لمدةٍ دقيقة. هنا صورةُ التعاطفِ تجاه المحتاج - رفعُ من لا قيمةَ لهم لمجردِ المحبة. النموذجُ الذي عرضه داودُ هو أن شعبَ الله مدعوُّ ليرتبطَ بأولئك المنكسرين الذين يرفضهم العالم، وبأولئك الذين يعتبرهم العالمُ عالةً ومخاطرةً وإحراجاً.

أوضح الرب يسوع هذا في لوقا ١٤. في هذا المثل للمأدبة العظيمة يوضح الرب يسوع أن أولئك الذين يرفضهم العالم ويهمشهم، يجب على شعب الله أن يشملهم ويبحث عنهم بنشاط - بالضبط كما فعل داود مع مفيبوش. شرح الرب يسوع أن الكثيرين كانوا مدعوين إلى المأدبة، لكن هموم العالم إما حولت انتباههم أو منعتهم من الحضور. ساخطاً، أمر مضيف العشاء عبيده أن يملأوا قاعة المأدبة "الْمَسَاكِينَ، الْجُدَع، الْعُرَج، الْعُمَي" (لوقا ١٤: ١٣). أنا متأكد من أن الجمهور المستمع كان مصدوماً بالفعل.

لكن مع استمرار المثل، يقول الرب يسوع إنه عندما أخبره عبيده أن هذا قد تم بالفعل وإنه لا يزال هناك مكان، أخبر مضيف المأدبة العبيد أن يذهبوا خارج المدينة إلى أماكن أكثر غموضاً و"الزَّمَهُم بِالْذُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي" (لوقا ١٤: ٢٣). أعتقد أنه يمكن تقديم حجة نحوية قوية بأنه عندما قال الرب يسوع "الناس" كان يقصد المزيد من الفقراء، والمقعدين، والعميان، والعرج، الذين عاشوا خارج المدينة ولم يكن من السهل العثور عليهم أو رؤيتهم. ربما يكون الضيوف الوحيدون في النهاية هم أولئك غير المتوقعين أن يكونوا في مثل هذه المأدبة على الإطلاق - أي المعاقون جسدياً والمهمشون اجتماعياً - المكسورون.

هل يشعر هؤلاء الأشخاص اليوم بالترحيب في مأدبة الله في الكنيسة؟ في كثير من الأحيان، للأسف، لا يشعرون بذلك. في كثير من الأحيان، مجرد القدم للكنيسة يمثل الكثير من العبء. يواجه الناس عقبات جسدية واجتماعية على حد سواء. وكم عدد الكنائس التي تعمل عمداً للبحث عن مثل هؤلاء الناس واستخدام القوة البشرية للكنيسة للذهاب وإحضارهم؟ مرة أخرى، في كثير من الأحيان، لا تفعل الكنيسة ذلك.

دعونا نعتزف بذلك - فإن دعوة المنبوذين اجتماعياً إلى حفلتك يتعارض مع كل ما نشأنا على توقعه. الأشخاص ذوو الإعاقة هم مخاطرة، ثقب أسود من الجهد والتكلفة دون توقع معقول لأي عائد على هذا الاستثمار، خاصة فيما يتعلق بالأمور المالية. لكن

هؤلاء هم بالتحديد الذين يعلّق الله عليهم مودةً خاصة. ويُلّ لنا إن تجاهلنا أولئك الذين أغدق عليهم بحبه!

وها هي المفاجأة الإلهية: عندما نبدأ في العمل من أجل "هؤلاء الأَصَاغِرِ" (متى ٢٥: ٤٠-٤٥) ما فعله داود لمفبيوشت وما يدعو الرب يسوع أتباعه للقيام به، نكتشف هذا: نحن المكسورون والمحناجون. إنهم نحن. ربما يكون الأمر أكثر صراحةً ولا يمكن إنكاره، ومع ذلك، فهم يذكروننا بحالتنا الحقيقية أمام الله - هذه هي الهبة التي يأتون بها لشعب الله.

نحن الأمريكيين نبذل الكثير من الجهد والطاقة للتغلب على أوجه القصور، لكسب ما ننتلقاه، أو على الأقل للمساهمة بشيء ما. لكن هذين النصين، ٢ صموئيل ٩ ولوقا ١٤، ينبغي أن يقنعنا أننا، في ضعفنا، لا نستطيع أن نقدم أي شيء للإنجيل. الإنجيل قويّ عنا في ضعفنا. إنه قادرٌ عنا في عجزنا. وهو كاملٌ عنا في كسرننا. إن حقّ إنجيل النعمة يحتاج إلى إزالة آخر بقايا عقلية المساعدة الذاتية، والإعتماد على ما يمكننا القيام به، والأعمال الريادية التي تسود الاختبار المسيحي الأمريكي بعمق. يجب أن يؤسس منظورنا العالمي الروحي على فهمٍ لضعفنا مرتبطاً مع فهمٍ أكثر ثراءً لكفاية النعمة. هذه هي الأخبار السارة.

أخيراً، لاحظ في نص صموئيل أن كلمةً صغيرةً تظهر ثلاث مرات: دائماً. نقرأ، ثلاث مرات، مرتين من شفّتي داود (الآيات ٧، ١٠) ومرةً في الرواي (آية ١٣)، أن مفبيوشت سيأكل دائماً على طاولة الملك. هذا ليس بالشيء الصغير. إنه يتحدث عن أمنٍ مستقبلٍ مفبيوشت. لا يذكر أبداً استحقاقه أو شفاءه أو غلبته على ضعفه. يقول ببساطة إنه كان يأكل دائماً مع الملك. بصفتنا أولاد الله، نحن لا نكتسب مكاننا على مائدته، ولا نحافظ عليه من خلال سلوكنا أو جهدنا. إنه قراره، وإعلانه، ووعدّه. هل تقلق بشأن مكانك على مائدة الله؟ نحتاج إلى التوبة عن اعتمادنا على الذات وأن نثق في نعمته.

دعونا نفكرُ في ذلك الأمرِ ونحنُ نستعدُّ للجلوسِ على طاولةِ الملك. إن كنتَ ابنَ الله فهذه وجبتك. يدعوك الله أن تأتي. هو يرغبُ أن تسكنَ في وعده الآمن لك. لكن لاحظْ كيفَ تختتمُ قصَّةَ مفيبوشثَ المختصرة. أولاً، يخبرنا النصُّ أنه بعد أن امتدت رحمةُ داودَ لهذا الرجلِ سكن مفيبوشثُ في أورشليم. ثانيًا، كما ذكرنا، ثلاثَ مراتٍ في الآياتِ الختاميةِ يقولُ النصُّ إن مفيبوشثَ كان يأكلُ دائماً على مائدةِ الملك. وأخيرًا، في العبارةِ الأخيرة - انظرُ إليها - نقرأ أن مفيبوشثَ كان أعرجَ في كلتا رجليه. أهذه طريقةٌ غريبةٌ لانتهاؤِ هذه الرواية؟ لا أعتقدُ ذلك.

لقد أكلَ مفيبوشثُ على مائدةِ الملكِ بانكساره وليس بعد أن شفي منه. هكذا أيضًا نحنُ جميعًا الذين وجدنا النعمةَ في عيونِ الملكِ مدعوون أن يأتيَ إلى مائدته بكسرنا وأن نجدَ نعمةً لمساعدتنا في حاجتنا. تعالَ إلى المائد ونُلِّ القوة في ضعفك، ولتجدَ الصحةَ في انكسارك، وتذوقِ صلاحه.

المراجع المختارة

- Abrams, Judith. *Judaism and Disability: Portrayals in Ancient Texts from the Tanach through the Bavli*. Washington, DC: Gallaudet University Press, 1998.
- Allender, Dan. *The Healing Path: How the Hurts in Your Past Can Lead You to a More Abundant Life*. Colorado Springs, CO: Waterbrook, 1999.
- . *Leading with a Limp: Turning Your Struggles into Strengths*. Colorado Springs, CO: Waterbrook, 2006.
- Althaus, Paul. *The Ethics of Martin Luther*. Philadelphia, PA: Fortress, 1972. Americans with Disabilities Act. US Statutes at Large. 104.327–78 (1990).
- Aquinas, Thomas. *Summa Theologica*. New York: Benzinger, 1947.
- Beates, Michael. “Can You Clone a Soul?” In *Playing God: Dissecting Biomedical Ethics and Manipulating the Body*, edited by R.C. Sproul Jr., 75–78. Grand Rapids, MI: Baker, 1997.
- . “God’s Sovereignty and Genetic Anomalies.” In *Genetic Ethics: Do the Ends Justify the Genes?* edited by Kilner, Pentz and Young, 49–59. Grand Rapids, Eerdmans, 1997. Reprinted by permission of the publisher, all rights reserved.

Berkouwer, G. C. Man: *The Image of God*. Translated by D. W. Jellema. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1962.

Betcher, Sharon. "Wisdom to Make the World Go On: On Disability and the Cultural Delegitimation of Suffering." *Word & World, Supplement Series 4*. St. Paul, MN: Luther Seminary (2000).

Bittner, Robert. *Under His Wings: Meeting the Spiritual Needs of the Mentally Disabled*.

Wheaton, IL: Crossway, 1994.

Block, Jennie Weiss. *Copious Hosting: A Theology of Access for People with Disabilities*.

New York: The Continuum International Publishing Group, 2002.

Boethius. "A Treatise against Eutyches and Nestorius." In *Theological Tractates*. London:

W. Heinemann, 1918.

Bonhoeffer, Dietrich. *Creation and Fall: A Theological Exposition of Genesis 1–3*. Augsburg: Fortress, 2004.

———. *Life Together*. New York: Harper & Row, 1954.

Bosk, Charles L. *All God's Mistakes: Genetic Counseling in a Pediatric Hospital*. Chicago: University of Chicago Press, 1992.

Bridges, Jerry. *The Gospel for Real Life: Turn to the Liberating Power of the Cross . . . Every Day*. Colorado Springs, CO: NavPress, 2002.

———. *Trusting God Even When Life Hurts*. Colorado Springs, CO: NavPress, 1988. Buchanan, Mark. “Life Is Unfair (and That’s Okay).” *Christianity Today* 45 (April 23, 2001):

94–99.

Cairns, David. *The Image of God in Man*. New York: Philosophical Library, 1953.

Calvin, John. *Commentary on the Book of the Prophet Isaiah*. Vol. 2. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1961.

———. *The Institutes of the Christian Religion*. Edited by John T. McNeill. Translated by Ford Lewis Battles. Philadelphia, PA: Westminster, 1960.

Carson, D. A. *The Cross & Christian Ministry: An Exposition of Passages from 1 Corinthians*.

Grand Rapids, MI: Baker, 1993.

———. *How Long, O Lord? Reflections on Suffering and Evil*. Grand Rapids, MI: Baker, 1990.

———. *Showing the Spirit: A Theological Exposition of 1 Corinthians 12–14*. Grand Rapids, MI: Baker, 1987.

- Carter, Erik. *Including People with Disabilities in Faith Communities: A Guide for Service Providers, Families, and Congregations*. Baltimore, MD: Paul H. Brooks, 2007.
- Clines, D. J. A. "The Image of God in Man." *Tyndale Bulletin* 19 (1968): 53–103.
- Cook, Rosemarie S. *Parenting a Child with Special Needs*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1992.
- Cooper, B. "The Disabled God." *Theology Today* 49, no. 2 (1992): 173–82.
- Cosgrove, Mark. *The Essence of Human Nature*. Grand Rapids, MI: Zondervan/Probe, 1977.
- Crabb, Larry. *Shattered Dreams: God's Pathway to Joy*. Colorado Springs, CO: Waterbrook, 2002.
- Dawn, Marva J. *Powers, Weakness, and the Tabernacling of God*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001.
- de Vinck, Christopher. *The Power of the Powerless*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1995.
- Eareckson, Joni. *Joni*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1976.
- Eareckson Tada, Joni. *Glorious Intruder: God's Presence in Life's Chaos*. Portland, OR: Multnomah Books, 1989.

———. *Holiness in Hidden Places*. Nashville, TN: J. Countryman/Thomas Nelson, 1999.

———. “If God Is Not Embarrassed, Why Are We?” *Moody Monthly* 83, no. 2 (1982): 14–19.

———. *When Is It Right to Die? Suicide, Euthanasia, Suffering, Mercy*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1992.

Eareckson Tada, Joni, and Steve Estes. *A Step Further*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1985.

———. *When God Weeps: Why Our Suffering Matters to the Almighty*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1997.

Eareckson Tada, Joni, and Bev Singleton. *Friendship Unlimited: How You Can Help a Disabled Friend*. Wheaton, IL: Harold Shaw, 1987.

Eareckson Tada, Joni, and Dave Draveky, eds. *The Encouragement Bible*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 2001.

Eiesland, Nancy. *The Disabled God: Toward a Liberatory Theology of Disability*. Nashville, TN: Abingdon, 1994.

Eisenberg, M. G., C. Griggins, and R. J. Duval, eds. *Disabled People as Second-Class Citizens*. New York: Springer, 1982.

Elwell, Walter A., ed. *Evangelical Dictionary of Theology*. Grand Rapids, MI: Baker, 1984. Enquist, Roy. “Abortion and the Image of God.” *Dialog* 23 (1984): 198–201.

Evans, Craig. "A Note on Targum 2 Samuel 5:8 and Jesus' Ministry to the 'Maimed, Halt, and Blind.'" *Journal for the Study of the Pseudepigrapha* 15 (1997): 79–82.

Fallon, April. "Culture in the Mirror: Sociocultural Determinants of Body Image." In *Body Image: Development, Deviance, and Change*, edited by Cash and Truzinsky, 80–109. New York: Guilford, 1990.

Frame, John. "Men and Women in the Image of God." In *Recovering Biblical Manhood and Womanhood: A Response to Evangelical Feminism*, edited by John Piper and Wayne Grudem, 225–232, 506–508. Wheaton, IL: Crossway, 1991.

Garber, Stephen. *The Fabric of Faithfulness: Weaving Together Belief and Behavior during the University Years*. Downers Grove, IL: InterVarsity, 1996.

Gartner, Alan, and Tom Joe, eds. *Images of the Disabled, Disabling Images*. New York: Praeger, 1986.

Gay, Craig. *The Way of the Modern World: Or, Why It's Tempting to Live As If God Doesn't Exist*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1998.

Govig, Stuart D. "Children of a Lesser God," *Dialog* 24 (1985): 246–47.

———. *Strong at the Broken Places: Persons with Disabilities and the Church*. Louisville, KY: Westminster, 1989.

Hall, David. *Imaging God: Dominion as Stewardship*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986. Hasker, William. "Brains, Persons, and Eternal Life." *Christian Scholar's Review* 12 (1983):

2.

Hauerwas, Stanley. "The Mentally Handicapped: A Continuing Challenge to the Imagination." In *Dispatches from the Front: Theological Engagements with the Secular*, 177–86. Raleigh, NC: Duke University Press, 1994.

———. *Naming the Silences: God, Medicine, and the Problem of Suffering*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1990.

———. *Suffering Presence: Theological Reflections on Medicine, the Mentally Handicapped, and the Church*. South Bend, IN: Notre Dame Press, 1986.

Henry, Carl F. H. *The Christian Mindset in a Secular Society: Promoting Evangelical Renewal & National Righteousness*. Portland, OR: Multnomah, 1984.

———. "The Theological View of Man." An unpublished paper presented at the symposium "Relating Man in the Image of God to the Health Sciences: Theological, Scientific, and Clinical Implications." Conjointly sponsored by the Christian Medical Society and the American Scientific Affiliation, Gordon College, Wenham, MA, June 2–5, 1988.

Hodge, Charles. *Systematic Theology*. 3 vols. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1940. Hoekema, Anthony. *Created in God's Image*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986.

Hughes, Philip E. *The True Image: The Origin and Destiny of Man in Christ*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989.

Jeeves, Malcolm. *Mind Fields: Reflections on the Science of Mind and Brain*. Grand Rapids, MI: Baker, 1994.

Kushner, Harold. *When Bad Things Happen to Good People*. New York: Schocken, 1981. Lane, Belden C. "Grace and the Grotesque." *Christian Century* 107 (1990): 1067–69.

Lischer, Richard, and Tracy Lischer. "No Handicapped Ministers Need Apply." *Christian Century* 102 (1985): 670–71.

Lysaught, M. T. "From Clinic to Congregation: Religious Communities and Genetic Medicine." *Christian Scholar's Review* 23 (1994): 329–48.

Machen, J. Gresham. *The Christian View of Man*. New York: Macmillan, 1937.

Machuga, Ric. *In Defense of the Soul: What It Means to Be Human*. Grand Rapids, MI: Brazos, 2002.

Mairs, Nancy. *Waist-High in the World: A Life among the Nondisabled*. Boston, MA: Beacon, 1996.

———. “Learning from Suffering.” *Christian Century* 105 (1998): 481.

Müller-Fahrenheit, Geiko, ed. *Partners in Life: The Handicapped and the Church*. Faith, and Order Paper, no. 89, (1975): 177.

Muneharu, Nishimoto. “A Whole Church Includes the Disabled,” *Japan Christian Quarterly* 48 (Winter 1982): 37.

Nelson, Adam E. *Broken in the Right Place: How God Tames the Soul*. Nashville, TN: Nelson, 1994.

Newman, Gene, and Joni Eareckson Tada. *All God’s Children: Ministry to the Disabled*.

Grand Rapids, MI: Zondervan, 1981.

Newman, Robert C. “Perspectives on the Image of God in Man from Biblical Theology.”

Evangelical Journal 2, no. 2 (1984): 66–76.

Nouwen, Henri. *Adam: God’s Beloved*. Maryknoll, NY: Orbis, 1997.

———. “The Call: Finding Vocation in Downward Mobility.” *Leadership* 11, no. 3 (1990): 60–61.

———. *In the Name of Jesus: Reflections on Christian Leadership*. New York: Crossroad, 1994.

———. *The Road to Daybreak: A Spiritual Journey*. New York: Doubleday, 1988.

———. *The Wounded Healer: Ministry in Contemporary Society*. New York: Doubleday, 1972.

O'Connor, Thomas St. James, et al. "Horse of a Different Color: Ethnography of Faith and Disability." *The Journal of Pastoral Care* 53, no. 3 (1999): 269–84.

Outka, Gene H. "Who Is My Neighbor? Love, Equality and Profoundly Retarded Humans." In *The Love Commandments: Essays in Christian Ethics and Moral Philosophy*. Edited by Edmund Santurri and William Werpehowski, 103–137. Washington, DC: Georgetown University Press, 1992.

Pailin, D. A. *A Gentle Touch: From Theology of Handicap to Theology of Human Being*.

London: SPCK, 1992.

Philo. *Philo*. Translated by F. H. Colson and G. H. Whitaker. 12 vols. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1929–1962.

Piper, John. "The Image of God: An Approach from Biblical and Systematic Theology."

Studia Biblica et Theologica 1, no. 1 (1971): 15–32.

- Pohl, Christine. *Making Room: Recovering Hospitality as a Christian Tradition*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1999.
- Reinders, Hans. "Life's Goodness: On Disability, Genetics, and 'Choice.'" In *Theology, Disability, and the New Genetics: Why Science Needs the Church*. Edited by John Swinton and Brian Brock, 163–81. London: T & T Clark, 2007.
- Rixford, Mary Ewing. "From the Walls of the City: Disabilities as Culture." *The Journal of Pastoral Care* 51, no. 2 (1997): 151–64.
- Savage, Timothy B. *Power through Weakness: Paul's Understanding of the Christian Ministry in 2 Corinthians*. Society of New Testament Studies Monograph Series 86. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
- Schaeffer, Francis, and C. Everett Koop. *Plan for Action: An Action Alternative Handbook for "Whatever Happened to the Human Race?"* Old Tappan, NJ: Revell, 1980.
- . *Whatever Happened to the Human Race?* Old Tappan, NJ: Revell, 1979.
- Scheer, J., and N. Groce. "Impairment as a Human Constant: Cross-Cultural and Historical Perspectives on Variation." *Journal of Social Issues* 44 (1988): 23–38.

Shah, Timothy Samuel. "Papers from the Oxford Centre for Missions Consultation 'A Christian Response to Disability.'" *Transformation: An International Journal of Holistic Mission Studies* 15, no. 4 (1998): 2–32.

Shelley, Marshall. "The Sightless, Wordless, Helpless Theologian," *Christianity Today* 37 (April 26, 1993): 34–36.

———. "Two Minutes to Eternity." *Christianity Today* 38 (May 16, 1994): 25–27.

Shelp, Earl E. *Born to Die? Deciding the Fate of Critically Ill Newborns*. New York: The Free Press, 1986.

Singer, Peter. *Practical Ethics*, 2nd ed. Cambridge University Press, 1993.

———. "Sanctity of Life or Quality of Life?" *Pediatrics: Journal of the American Academy of Pediatrics* (July 1983) cited in *Human Life Review* 8, no. 3 (1983): 75.

Singer, Peter, and Helga Kuhse. *Should the Baby Live? The Problem of Handicapped Infants*.

Studies in Bioethics. Oxford University Press, 1985.

Suzuki, David, and Peter Knudson. *Genethics: The Clash between the New Genetics and Human Values*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989.

Swindoll, Charles. "The Parents of a Son Born Blind" from *Insight for Living*. January 7, 2003. Radio program.

Swinton, John. "Restoring the Image: Spirituality, Faith, and Cognitive Disability." *Journal of Religion and Health* 36, no. 1 (Spring 1997): 21–27.

Swinton, John, and Brian Brock, eds. *Theology, Disability and the New Genetics: Why Science Needs the Church*. London: T & T Clark, 2007.

Thielicke, Helmut. *Theological Ethics*. Philadelphia, PA: Fortress, 1966.

Tolkien, J. R. R. *The Lord of the Rings*, 3 vols. London: George Allen & Unwin, 1966.

———. *Tree and Leaf*. London: George Allen & Unwin, 1964. Tozer, A. W. *The Knowledge of the Holy*. New York: Harper, 1961.

Treloar, Linda L. "Spirituality, Adaptation to Disability, and the Church." CCPD (Christian Council on Persons with Disabilities) *Journal* 2, no. 1 (1999): 7–10.

Vanier, Jean. *Becoming Human*. Mahwah, NJ: Paulist, 1998.

Vargon, Shmuel. "The Blind and the Lame." *Vetus Testamentum* 46, no. 4 (1996): 498–514.

Veyne, Paul, ed. "The Roman Empire." In *From Pagan Rome to Byzantium*, 5–234. Vol. 1 of *A History of Private Life*. Edited by Philippe Aries and Georges Duby. Translated by Arthur Goldhammer. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University, 1987.

Waltke, Bruce. "Relating Human Personhood to the Health Sciences: An Old Testament Perspective." An unpublished paper presented at the symposium "Relating Man in the Image of God to the Health Sciences: Theological, Scientific, and Clinical Implications." Conjointly sponsored by the Christian Medical Society and the American Scientific Affiliation, Gordon College, Wenham, MA, June 2–5, 1988.

Webb-Mitchell, Brett. *Dancing With Disabilities: Opening the Church to All God's Children*.

Cleveland, OH: United Church, 1996.

———. "Teaching Anew the Table Gesture: Children with Disabilities Sharing in the Eucharist." *Reformed Liturgy & Music* 29, no. 4 (1995): 236–41.

———. "Welcoming Unexpected Guests." *Perspectives* 10 (1995): 12–16.

Wink, Walter. "Normalcy' as Disease: Facing Disabilities." *Church & Society* (May/June 1995): 10–17.

بدأ اهتمام مايكل بيتس بقضايا الإعاقة منذ ما يقرب من ٣٠ عامًا عندما وُلِدَتْ ابنتُهُ البكرُ بعدة إعاقات بالغة. الآن، مع تزايد العائلات المصابة مثل عائلته مع العدد المتزايد من الصعوبات التي تتراوح من متلازمة داون إلى التوحد إلى الحساسية من الأطعمة المختلفة، أصبحت الحاجة إلى البرامج الكنسية والتغيير في أطر التفكير الشخصية أعظم من أي وقت مضى.

من خلال العمل عبر مقاطع الكتاب المقدس الرئيسية حول الانكسار والإعاقة ومجيئًا على أسئلة صعبة، يقدم مايكل المبادئ المفيدة للمؤمنين ولكنائسهم. هو يوضح لنا كيفية تقبل انكسارنا شخصيًا ثم احتضان الأكثر كسرًا جسديًا ومرئيًا، مما يجلب الرجاء والرؤية لأولئك الذين بيننا هم في أمس الحاجة إليها.

«أتمنى أن أتمكن من التعبير بشكل مناسب عن مدى سعادتي بكتابه الجديد. إن هذا هو مصدر ممتاز يعطي إجابات قوية على الأسئلة الصعبة وأكثر».

جون فريم، أستاذ علم اللاهوت

النظامي والفلسفة، كلية اللاهوت الصلحة

ومؤلف كتاب عقيدة الحياة المسيحية

جوني إيركسون تادا، مؤسسة مركز

جوني وأصدقائها الدولي للإعاقة

«بعد بحثٍ جيد وفي بعض الأحيان استفزازي، يحفز بيتس إلى ما وراء السطح بحثًا عن المصالحة بين واقع المعاناة، والعجز وتعاليم الكتاب المقدس».

ستيف براون، معلم راديو، برنامج الحياة

الفتحية

دوج مازة، رئيس مركز جوني وأصدقائها

الدولي للإعاقة

مايكل أس بيتس (مكتورة في الخدمة من كلية لاهوت الإصلاح) هو زوج ماري وأب لسبعة أبناء، تعاني إحداهم من إعاقات شديدة ويواجه اثنان آخران التحديات. لقد عمل في مجلس الإدارة الدولي في مركز جوني وأصدقائها منذ عام ٢٠٠٠ وشارك في الخدمة المسيحية منذ ٣٠ عامًا. كما أنه يخدم أيضًا بصفته عميدًا للطلاب في كلية جنيف في وينتر بارك، فلوريدا.

CHRISTIAN MINISTRY / DISABILITY

CROSSWAY
www.crossway.org